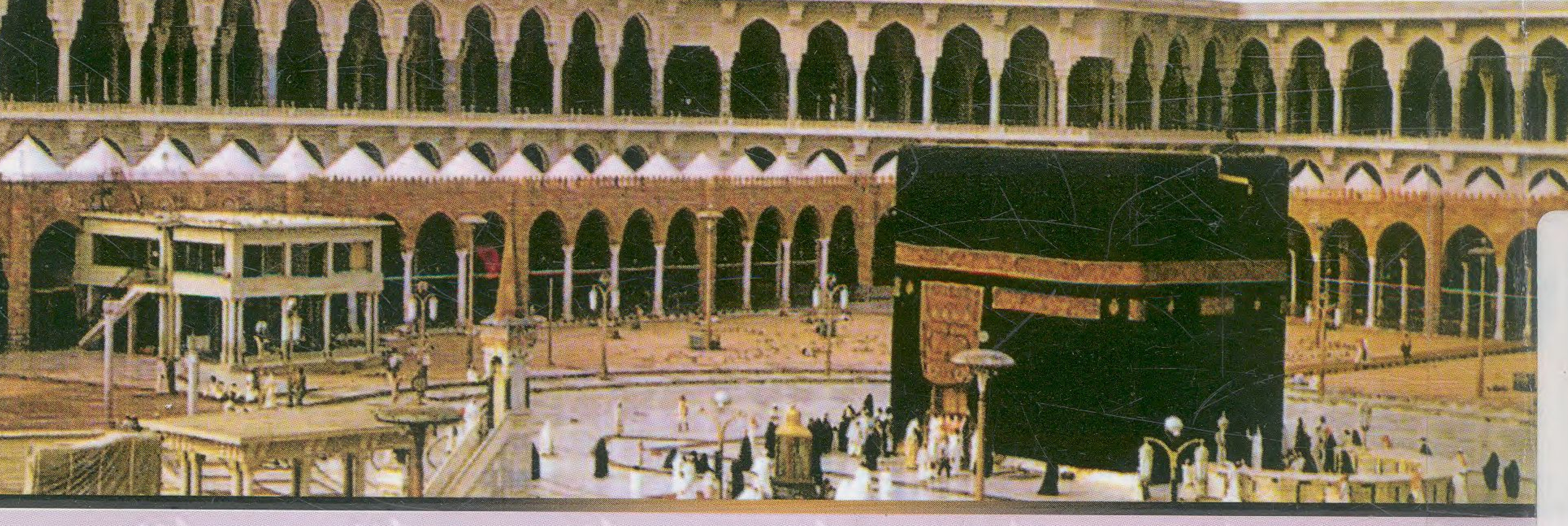
موسوعة الآثار والحضارة الإسلامية
العصر النبوي والراشدي

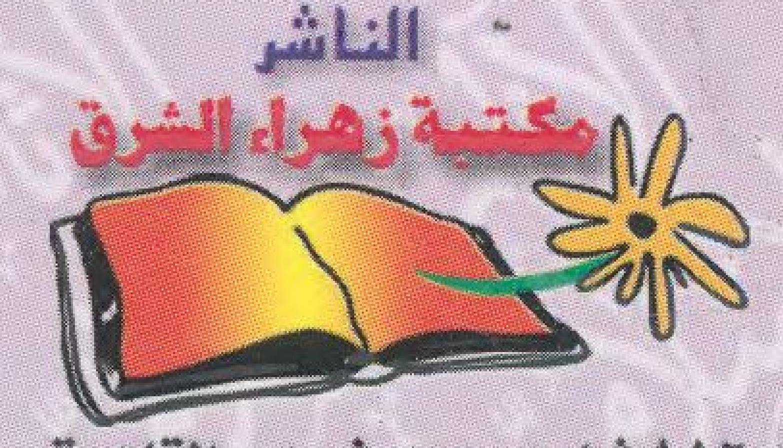
الآثار الإسلامية في الجزيرة العربية والمشرق والمغرب خلال العصرين النبوي والراشدي



دكتور
عبد الله كامل موسى



الناشر
مكتبة زهراء الشرق



١١٦ شارع محمد فريد - القاهرة
تليفاكس: ٠٠٢٠٢/٢٣٩١٣٣٥٤

إهـــــداء ٢٠٠٩
دار الكتب و الوثائق القومية
القاهرة

موسوعة الآثار والحضارة الإسلامية
العصر النبوي والراشدي

الآثار الإسلامية في الجزيرة العربية والمشرق والمغرب خلال العصرين النبوي والراشدي

دكتور
عبد الله كامل موسى

١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م

الناشر
مكتبة زهراء الشرق
١١٦ شارع محمد فريد - القاهرة
تليفاكس: ٢٣٩١٣٣٥٤(٠٠٢٠٢)

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب المصرية

إدارة الشئون الفنية

موسي، عبد الله كامل.
الآثار الإسلامية في الجزيرة العربية والمشرق والمغرب
خلال العصرين النبوي والراشدي/
عبد الله كامل موسى.-
ط١ . – القاهرة زهراء الشرق، ٢٠٠٨.
٢٣٢ ص ؛ ٢٤ سم. (موسوعة الآثار والحضارة الإسلامية
العصر النبوي والراشدي)
تدمك ١ ٣٥١ ٣١٤ ٩٧٧
١- الآثار الإسلامية
أ – العنوان ٩١٥,٣٠٣

اسم الكتاب : الآثار الإسلامية في الجزيرة العربية والمشرق والمغرب خلال العصرين النبوي والراشدي

ترجمه وعلق عليه : الدكتور / عبد الله كامل موسى

رقم الطبعة : الأولى

السنة : ٢٠٠٨

رقم الإيداع : ١٩٩٢٠

الترقيم الدولي : **I.S.B.N**

977 – 314 – 351 – 1

اسم الناشر : زهراء الشرق

العنوان : ١١٦ شارع محمد فريد

البلد : جمهورية مصر العربية

المحافظة : القاهرة

التليفون : ٠٠٢٠٢٢٣٩١٣٨٥٩

فاكس : ٠٠٢٠٢٢٣٩١٣٣٥٤

المحمول : ٠٠٢٠١٢٣١٧٧٥١٠

الإيميل للمراسلة والاقتراحات : **sell_hagag@hotmail.com**

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾[1]

صدق الله العظيم

---

(١) سورة النجم الآيات من ٣٩ إلى ٤١.

إهــــــــداء

إلى روح والدي طيب الله ثراه

إلى أمي الحبيبة أطال الله عمرها

إلى زوجتي وأولادي متعهم الله بالصحة والعافية

عبدالله كامل موسى عبده

المحتويات

الموضوع	الصفحة

الموضــــــــوع	الصفحة

الفصل الرابع

الآثار المعمارية في عهدي أبي بكر وعمر رضي الله عنهما

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

مقدمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي خاتم النبيين وسيد المرسلين سيدنا محمد وعلي آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلي يوم الدين.

وبعد

توفر علي دراسة الآثار والحضارة الإسلامية عبر عصورها المختلفة عدد كبير من العلماء والباحثين، وقدموا لنا في هذا المجال أعمالاً لها قيمتها وأصالتها العلمية، ورغم تعدد الدراسات وتنوعها ما بين مؤلفات وبحوث إلا أنه لا تزال هناك حاجة إلي المزيد من المؤلفات والبحوث العربية في مجال الآثار والحضارة الإسلامية مما دفعني إلي عمل موسوعة أثرية وحضارية تتناول العصور الإسلامية، ومن ثم تخصيص مجلد للآثار والحضارة الإسلامية في العصرين النبوي والراشدي، يتناول الآثار والحضارة الإسلامية منذ ما قبل الهجرة النبوية إلي المدينة المنورة حتى نهاية عصر الخلفاء الراشدين في الجزيرة العربية والمشرق والمغرب.

وكنت قد أصدرت الطبعة الأولي من كتاب " المسلمون وآثارهم المعمارية حتى نهاية عصر الخلفاء الراشدين "، ثم حرصت علي إعادة طبع الكتاب تحت عنوان " الآثار الإسلامية في الجزيرة العربية والمشرق والمغرب خلال العصرين النبوي والراشدي "، فأدخلت عليه مادة جديدة في جوانب متعددة منه تعتمد في المقام الأول علي النص، ثم اتبعت منهجاً مختلفاً بعض الشيء تمثل في تخصيص الفصل الأول للمسجد لغة وشرعاً، وفي القرآن الكريم والحديث الشريف، ثم تخصيص الفصل الثاني للمسجد الحرام حتى نهاية عصر الخلفاء الراشدين بإعتباره أول مسجد وضع علي الأرض مع إضافة مقدمة تاريخية في بداية الفصل الرابع عن الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ثم الخليفة عمر رضي الله عنه، ثم مقدمة تاريخية عن الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه في بداية الفصل الخامس، ثم ختمت الكتاب بنبذة تاريخية عن " الإمام علي بن أبي طالب " رضي الله عنه، وقد صاحب كل ذلك زيادة عدد الفصول إلي ستة، وإضافة نصوص جديدة تخدم موضوع الكتاب.

أسأل الله أن يوفقني لمتابعة البحث في مجال الآثار والحضارة الإسلامية، وأرجو أن يكون كتابي هذا حافزاً للدارسين للإهتمام في مؤلفاتهم وبحوثهم بالدراسات الأثرية سواء من حيث التأصيل أو التحليل والمقارنة وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

عبدالله كامل موسى

٣٠ جماد آخر١٤٢٩هـ/٢٠٠٨/٦/٤م

الفصل الأول
المسجد لغة وشرعاً
وفي القرآن الكريم والحديث النبوي

المسجد لغة وشرعاً

أولاً: المسجد لغة

جاء في المعجم " (سجد) –سجوداً: خضع وتطامن (سكن). و- وضع جبهته علي الأرض. فهو ساجد. (ج) سجد ، وسجود..(الساجد) – يقال: فلان ساجد المنخر: ذليل خاضع. (الساجدة): مؤنث الساجد..(السجاد): الكثير السجود.. (السجادة): الطنفسة. و - البساط الصغير يصلى عليه.و- أثر السجود في الجبهة.(المسجد):الجبهة حيث يكون ندب السجود.(ج) مساجد.والمساجد من بدن الإنسان:الأعضاء التي يسجد عليها ، وهي: الجبهة والأنف واليدان والركبتان والقدمان.(المسجد): مصلى الجماعة..(ج) مساجد".(١)

قال الزركشي عند ذكره المسجد لغة " أما لغة فهو: مفعل بالكسر اسم لمكان السجود ، وبالفتح اسم للمصدر ، قال أبو زكرياء الفراء: كل ما كان علي فعل يفعل كدخل يدخل فالمفعل منه بالفتح اسما كان أو مصدرا ، ولا يقع فيه الفرق، مثل دخل مدخلا. ومن الأسماء ما ألزموها كسر العين، منها: المسجد ، والمطلع، والمغرب، والمشرق وغيرها ، فجعلوا الكسر علامة للاسم، وربما فتحه بعض العرب. قد روي: المسجِد والمسجَد ، والمطلِع والمطلَع. قال: والفتح في كله جائز، وإن لم نسمعه. قال في الصحاح: والمسجد بالفتح جبهة الرجل حيث يصيبه السجود. وقال أبو حفص الصقلي في كتاب تثقيف اللسان: ويقال مَسْيد بفتح الميم حكاه غير واحد فتحصلنا فيه علي ثلاث لغات. والمِسجد بكسر الميم: الخُمرة. وهي الحصير الصغير. قاله العسكري في التصحيف".(٢)

ثانياً: المسجد شرعاً

أورد الزركشي " وأما شرعا فكل موضع من الأرض لقوله ﷺ:" جعلت لي الأرض مسجدا" وهذا من خصائص هذه الأمة. قاله القاضي عياض، لأن من كان قبلنا ، كانوا لا يصلون إلا في موضع يتيقنون طهارته، ونحن خصصنا بجواز الصلاة في جميع الأرض إلا ما تيقنا نجاسته. وقال القرطبي: هذا ما خص الله به نبيه،

وكانت الأنبياء قبله إنما أبيحت لهم الصلوات في مواضع مخصوصة كالبيع (متعبد النصارى) والكنائس. وقال المهلب في شرح البخاري:"المخصوص به ﷺ، جعل الأرض طهورا ، أما كونها مسجدا فلم يأت في أثر أنها منعت من غيره".(٣)

ويضيف الزركشي " وقد كان عيسي عليه الصلاة والسلام يسيح في الأرض ويصلي حيث أدركته الصلاة فكأنه قال:" جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا ، وجعلت لغيري مسجدا ولم تجعل له طهورا"..وهذا هو الظاهر من حديث جابر وأبي هريرة في عد الطهور والمسجد في حكم الواحد. ولما كان السجود أشرف أفعال الصلاة لقرب العبد من ربه اشتق اسم المكان منه فقيل: مسجد ، ولم يقولوا: مركع. ثم إن العرف خصص المسجد بالمكان المهيأ للصلوات الخمس حتى يخرج المصلي المجتمع فيه للأعياد ونحوها فلا يعطي حكمه ، وكذلك الربط والمدارس فإنها هيئت لغير ذلك ".(٤)

والربط التي وردت في نص الزركشي من "(رابط)، مرابطة ، ورباطاً: لازم الثغر وموضع المخافة. يقال: رابط الجيش. وفي التنزيل العزيز:"يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا ". و- واظب علي الأمر ولازمه..(الرابطة)... الجماعة يجمعهم أمر يشتركون فيه..(الرباط): ما يربط به..و- موضع المرابطة.و- ملجأ الفقراء من الصوفية..(ج) ربط..(المرابطة):الجماعة من الناس، و- الخيل تلزم الثغر مما يلي العدو".(٥)

ولقد كانت الأربطة في أصلها منشآت دينية وعسكرية يقيم بها المرابطون أو المحاربون للتعبد والاستعداد للجهاد والتربص لأعداء الإسلام الذين يغيرون علي بلادهم ، وقد اشتق لفظها من القرآن الكريم من سورة آل عمران في الآية التي تقدم ذكرها ، ومع التطور الزمني صار الرباط مجرد مأوى يقيم به المنقطعون للعبادة ، ومن الأربطة ما كان يخصص للنساء ، فكان بمثابة دار كفالة للمرأة ، حيث كان يقيم به البنات اليتامى والأرامل والمطلقات اللاتي لا عائل لهن ، وقد كانت الأربطة تشيد في الثغور علي حدود الدولة الإسلامية لحماية البلاد من المهاجمين من البحر ،

كما أقيمت أيضاً في الصحراء، فقد تطلبت مسيرة الفتح الإسلامي سواء في شرق أو غرب العالم الإسلامي تأمين حدود الدولة الإسلامية.(٦)

أما المدارس والتي وردت في نص الزركشي فهي من " (درس)- درساً، ودروساً:عفا وذهب أثره..و- الكتاب ونحوه درساً، ودراسة:قرأه وأقبل عليه ليحفظه ويفهمه.ويقال:درس العلم والفن..(أدرس) الكتاب ونحوه:درسه.و- فلاناً الكتاب ونحوه: جعله يدرسه.(دارس)الكتاب ونحوه مدارسة، ودراساً:درسه.و- فلاناً: قارأه وذاكره..(درس) الكتاب ونحوه:درسه..و- الكتاب فلاناً:أدرسه إياه..(تدارس) الكتاب ونحوه:درسه وتعهده بالقراءة والحفظ لئلا ينساه. و- الطلبة الكتاب:درسه كل منهم على الآخر.(ادارس) الكتاب ونحوه أتدارسه.. (المدراس):الموضع يدرس فيه كتاب الله..(ج) مدارس.(المدرس):الكثير الدرس والتلاوة في الكتاب.و- المعلم. (المدرس): الموضع يدرس فيه.(ج) مدارس.(المدرسة):مكان الدرس والتعليم. و- جماعة من الفلاسفة أو المفكرين أو الباحثين، تعتنق مذهباً معيناً، أو تقول برأي مشترك..ويقال:هو من مدرسة فلان: على رأيه ومذهبه.(ج)مدارس".(٧)

والواقع أن المسجد منذ نشأته كان هو دار العلم، حيث كان مركزاً للحلقات العلمية والأدبية، يلتقي بين جنباته وأروقته المعلمون والمتعلمون ليتدارسوا أصول عقيدتهم الدينية وأركانها، ويتدبروا القرآن الكريم وأحكامه، ويحيطوا بسنة الرسول ﷺ وأحاديثه.

وقد ظلت المساجد الجامعة في شبه الجزيرة العربية والأمصار الإسلامية تقوم بدورها كمراكز للإشعاع العلمي حتى شيدت المدارس، كذلك كانت حلقات العلم تقام في أماكن مختلفة إضافة للمساجد كقصور الخلفاء والأمراء، ومنازل العلماء والمكتبات، كذلك كانت منتديات الأدب والعلم من الأماكن التي يلتقي فيها رجال الفكر والأدب، مما ساهم في نهضة علمية رائعة حتى شيدت المدارس.(٨)

أما فيما يتعلق بنشأة المدارس فقد أورد الزركشي " وأول من بنى المدارس في الإسلام الوزير قوام الدين نظام (٩)الملك الطوسي الحسن بن علي وكان وزير السلطان ألب (١٠) أرسلان السلجوقي عشر سنين ثم وزر لولده ملكشاه(١١) عشرين سنة، وكان يحب الفقهاء والصوفية ويكرمهم، ويؤثرهم. بني المدرسة النظامية ببغداد (١٢)، وشرع فيها في سنة سبع وخمسين وأربعمائة ونجزت سنة تسع وخمسين وجمع الناس علي طبقاتهم فيها.. وبنى أيضا مدرسة بنيسابور (١٣) تسمى النظامية..فاقتدى به الناس في بناء المدارس..نعم أنكر الحافظ شمس الدين الذهبي في تاريخ الإسلام علي من زعم أن نظام الملك أول من بنى المدارس، وقال قد كانت المدرسة البيهقية بنيسابور قبل أن يولد نظام الملك، والمدرسة السعيدية بنيسابور أيضا بناها الأمير نصر بن سبكتكين أخو السلطان محمود (١٤) لما كان [واليا] بنيسابور ومدرسة ثالثة بنيسابور بناها أبوسعد إسماعيل بن علي بن المثنى الإسترابإذى الواعظ الصوفي.. ومدرسة رابعة بنيسابور أيضا بنيت للأستاذ أبي إسحق الشيرازي. قال الحاكم في ترجمة الأستاذ أبي إسحق:لم تبن بنيسابور مدرسة قبلها مثلها وهذا صريح في أنه بني قبلها غيرها. (و) قال القاضي تاج الدين السبكي في طبقاته الكبرى: قد أدرت فكري، وغلب علي ظني أن نظام الملك أول من رتب فيها المعاليم للطلبة. فإنه لم يصح لي هل كانت للمدارس قبله معاليم أم لا؟ والظاهر أنه لم يكن لهم معلوم ".(١٥)

ويذكر اوقطاي اصلان ابا أن كثيراً من المدارس قد شيد زمن الغزنويين، إلا أنها اندثرت، وقد جاءت كلمة مدرسة في بعض النقوش التي وجدت في قراءة فليزوان في غزنة، وذلك خلال حفريات إيطالية حديثة، وجاء في "تاريخي يميني" ذكر المدرسة في عهد السلطان محمود الغز نوي.(١٦)

مما تقدم يتضح أن المدارس الأولي قد ظهرت في فترة حكم السلطان محمود الغزنوي (٣٩١- ٤٢١هـ/٩٩٩- ١٠٣٠م) في نيسابور ومرو (١٧) وبخاري(١٨) كالمدرسة البيهقية والسعيدية ومدرسة ابن فورك في القرن ٤هـ/١٠م، ويعد القرن

٥هـ/١١م في العصر السلجوقي هو القرن الذي ازدهرت فيه عمارة المدرسة إزدهاراً عظيماً، فقد شيد نظام الملك نظامية بغداد في سنة ٤٥٩هـ/١٠٦٦م، ثم بني بعد ذلك عدداً كبيراً من المدارس في أغلب مدن السلاجقة حتى قيل "ان له في كل مدينة بالعراق وخراسان(١٩) مدرسة" عرفت جميعها " بالنظامية".(٢٠)

أول مسجد وضع علي الأرض

يعد المسجد الحرام أول مسجد وضع علي الأرض وهو مسجد مكة كما قال الله تعالى في سورة آل عمران ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾(٢١)، ونقل الزركشي ما نصه " وفي الصحيحين عن أبي ذر رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن أول مسجد وضع علي الأرض فقال: " المسجد الحرام، قلت ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى، قلت: وكم بينهما؟ قال: أربعون عاما، ثم الأرض لك مسجد فحيثما أدركتك الصلاة فصل، وقال البخاري في بعض طرقه: أينما أدركتك الصلاة فصل فيه، فإن الفضل فيه. خرجه في ذكر الأنبياء. وقال البزار في مسنده: لانعلم أحدا يرويه عن النبي ﷺ إلا أبا ذر..".(٢٢)

وقد جاء في صحيح البخاري في " باب قول النبي صلى الله عله وسلم جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً حدثنا محمد بن سنان قال حدثنا هشيم قال حدثنا سيار هو أبو الحكم قال حدثنا يزيد الفقير قال حدثنا جابر بن عبدالله قال قال رسول الله ﷺ أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي، نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم، وكان النبي يبعث إلي قومه خاصة، وبعثت إلي الناس كافة، وأعطيت الشفاعة ".(٢٣)

أما الجامع لغة فمن " (جمع) الناس: شهدوا الجمعة وقضوا الصلاة فيها..(الجامع): من أسماء الله الحسنى. والمسجد الجامع: الذي تصلى فيه الجمعة. ويقال: مسجد الجامع ".(٢٤)

المسجد في القرآن الكريم

أشار حسين مؤنس إلي أن ذكر المسجد والمساجد والمسجد الحرام ورد في القرآن الكريم – بلفظها – ثمانياً وعشرين مرة، وأن الإشارة إلي المسجد الحرام بلفظ بيت ورد (١٧) مرة، ووردت الإشارة إليه باسم مقام إبراهيم ومصلى مرة واحدة، ووردت الإشارة إلي المسجد بلفظ البيوت مرة واحدة، ولكل مرة مناسبتها.(٢٥)

ويمكن حصر الآيات القرآنية التي تناولت كل ما تقدم من خلال فهرس السور القرآنية علي النحو التالي:

ورد ذكر المساجد في قول الله عز وجل في سورة البقرة ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾.(٢٦)

وورد ذكر المسجد الحرام بلفظ البيت في سورة البقرة في قوله تعالى ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾(٢٧).

وفي قوله عز وجل في سورة البقرة ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾.(٢٨)

وورد ذكر المسجد الحرام في قوله تعالى في سورة البقرة ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ

وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾.(٢٩)

وقوله عز وجل في سورة البقرة ﴿ وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ وَإِنَّهُۥ لَلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾.(٣٠)

وقوله عز وجل في سورة البقرة ﴿ وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيۡكُمۡ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِي وَلِأُتِمَّ نِعۡمَتِي عَلَيۡكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ ﴾.(٣١)

وورد ذكر المسجد الحرام بلفظ البيت في قوله عز وجل في سورة البقرة ﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ ﴾.(٣٢)

وورد فيما يتعلق ببعض أحكام المساجد قول الله عز وجل في سورة البقرة ﴿ أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٞ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَخۡتَانُونَ أَنفُسَكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ وَعَفَا عَنكُمۡۖ فَٱلۡـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقۡرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾.(٣٣)

وقوله عز وجل في سورة البقرة ﴿ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ

حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ ﴾.(٣٤)

وقوله عز وجل في سورة البقرة ﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾ ﴾.(٣٥)

وقوله عز وجل في سورة البقرة ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾.(٣٦)

وورد ذكر المسجد الحرام بلفظ البيت في سورة آل عمران في قوله تعالى ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾.(٣٧)

وقوله عز وجل في سورة المائدة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ

ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾.(٣٨)

وقد إشتملت هذه الآية علي ذكر للمسجد الحرام بلفظ البيت من جهة ثم بلفظة (المسجد الحرام) من جهة أخرى.

وقوله عز وجل في سورة المائدة ﴿ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ﴾.(٣٩)

وجاء في بعض أحكام المساجد في سورة الأعراف قوله تعالى ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾.(٤٠)

وجاء أيضاً في سورة الأعراف قوله عز وجل ﴿ ۞ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾.(٤١)

وورد ذكر المسجد الحرام في قوله تعالى في سورة الأنفال ﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾.(٤٢)

وورد ذكر المسجد الحرام بلفظ البيت في قوله تعالى في سورة الأنفال ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ

تَكۡفُرُونَ ﴾.(٤٣)

وورد ذكر المسجد الحرام في قوله تعالى في سورة التوبة ﴿ كَيۡفَ يَكُونُ لِلۡمُشۡرِكِينَ عَهۡدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ فَمَا ٱسۡتَقَٰمُواْ لَكُمۡ فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ ﴾.(٤٤)

وقد ورد فيما يتعلق بالمشركين وعمارة المساجد قول الله عز وجل في سورة التوبة ﴿ مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلۡكُفۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ وَفِي ٱلنَّارِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ ﴾.(٤٥)

اما فيما يتعلق بالمؤمنين وعمارة المساجد فقد ورد قول الله عز وجل فى سورة التوبة ﴿ إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٨﴾ ﴾. (٤٦)

وورد المسجد الحرام فى سورة التوبة في قوله تعالي ﴿ ۞ أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ كَمَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا يَسۡتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ﴾. (٤٧)

وفي قوله عز وجل فى سورة التوبة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةً فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾. (٤٨)

وقد ورد فيما يتعلق بمسجد الضرار ومسجد التقوى قول الله تعالى فى سورة التوبة ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدًا ضِرَارًا وَكُفۡرًا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادًا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ

يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾. (٤٩)

كما ورد قول الله عز وجل فى سورة التوبة ﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ ﴾. (٥٠)

وورد ذكر المسجد الحرام بلفظ البيت فى قوله تعالى فى سورة إبراهيم ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾.(٥١)

وورد ذكر المسجد الحرام والمسجد الأقصى فى قوله تعالى فى سورة الإسراء ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾. (٥٢)

وورد ذكر المسجد فى قوله تعالى فى سورة الإسراء ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ لِيَسُـۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ ﴾. (٥٣)

وورد ذكر المسجد فيما قبل الإسلام فى قول الله عز وجل فى سورة الكهف ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟

عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ﴿٢١﴾ ﴾. (٥٤)

وورد ذكر المسجد الحرام فى قوله تعالى فى سورة الحج ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٢٥﴾ ﴾.(٥٥)

وقد ورد ذكر المسجد الحرام بلفظ البيت فى قوله تعالى فى سورة الحج ﴿ وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي شَيۡـٔٗا وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ ﴾.(٥٦)

وفى قوله تعالى فى سورة الحج ﴿ ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ﴾.(٥٧)

وفى قوله عز وجل فى سورة الحج ﴿ لَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ﴾. (٥٨)

وفى قوله عز وجل فى سورة الحج ﴿ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾. (٥٩)

ووردت المساجد باسم البيوت فى قوله تعالى فى سورة النور ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ

ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ (٦٠)

وورد ذكر المسجد الحرام فى قوله عز وجل فى سورة الفتح ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾.(٦١)

وقوله عز وجل فى سورة الفتح ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ ﴾. (٦٢)

وقد ورد ذكر المسجد الحرام بلفظ البيت فى قوله عز وجل فى سورة الطور ﴿ وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴾. (٦٣)

وورد فيما يتعلق ببعض أحكام المساجد قول الله عز وجل فى سورة الجن ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾. (٦٤)

وورد ذكر المسجد الحرام بلفظ البيت فى قوله عز وجل فى سورة قريش ﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾ ﴾. (٦٥)

المسجد فى الحديث النبوى

روى أهل الأثر كما ذكر حسين (٦٦) مؤنس أحاديث كثيرة جداً عن رسول الله ﷺ فى المساجد وفضلها وأحكامها، وأذكر من هذه الأحاديث النبوية الشريفة على سبيل المثال ما أورده البخارى فى صحيحه في " باب التعاون في بناء المسجد ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفى النار هم خالدون إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتي الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين حدثنا مسدد قال حدثنا عبد العزيز بن مختار قال حدثنا خالد الحذاء عن عكرمة قال لى ابن عباس ولابنه على انطلقا إلى أبى سعيد فاسمعا من حديثه فانطلقنا فإذا هو فى حائط يصلحه فأخذ رداءه فاحتبى ثم أنشأ يحدثنا حتى أتى ذكر بناء المسجد فقال كنا نحمل لبنة لبنة وعمار لبنتين لبنتين فرآه النبى ﷺ فينفض التراب عنه ويقول ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار قال يقول عمار أعوذ بالله من الفتن ". (٦٧)

وجاء فى صحيح البخارى فى " باب من بنى مسجداً حدثنا يحيى بن سليمان حدثنى ابن وهب أخبرنى عمرو أن بكيراً حدثه أن عاصم بن عمر بن قتاده حدثه أنه سمع عبيد الله الخولاني أنه سمع عثمان بن عفان يقول عند قول الناس فيه حين بنى مسجد الرسول ﷺ إنكم أكثرتم وإنى سمعت النبى ﷺ يقول من بنى مسجداً قال بكير حسبت أنه قال يبتغى به وجه الله بنى الله له مثله فى الجنة ". (٦٨)

وورد فى " باب فضل الصلاة فى مسجد مكة (٦٩) والمدينة (٧٠) حدثنا حفص ابن عمر حدثنا شعبة قال أخبرنى عبد الملك عن قزعة قال سمعت أبا سعيد رضى الله عنه أربعاً قال سمعت من النبى ﷺ وكان غزا مع النبى ﷺ ثنتى عشرة غزوة حدثنا على حدثنا سفيان عن الزهرى عن سعيد عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجد الرسول ﷺ ومسجد الأقصى حدثنا عبد الله بن يوسف قال أخبرنا مالك عن زيد بن رباح وعبيد

الله بن أبي عبد الله الأغر عن أبى عبد الله الأغر عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ". (٧١)

وجاء في صحيح البخاري في " باب قول النبي ﷺ جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً حدثنا محمد بن سنان قال حدثنا هشيم قال حدثنا سيار هو أبو الحكم قال حدثنا يزيد الفقير قال حدثنا جابر بن عبدالله قال قال رسول الله ﷺ...وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل".(٧٢)

وفي " باب وقف الأرض للمسجد " جاء في صحيح البخاري " حدثنا اسحاق حدثنا عبد الصمد قال سمعت أبي حدثنا أبو التياح قال حدثني أنس بن مالك رضي الله عنه لما قدم رسول الله ﷺ المدينة أمر بالمسجد وقال يا بني النجار ثامنوني بحائطكم هذا قالوا لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلي الله ".(٧٣)

وقد أورد الزركشي عند ذكره فضل بناء المساجد ".وقيل: المساجد بيوت الله تضيء لأهل السماء كما تضيء النجوم لأهل الأرض".(٧٤)

كما أورد الزركشي " وعن عائشة رضي الله عنها قالت: أمر رسول الله ﷺ ببناء المساجد في الدور وأن تنظف وتطيب وفي رواية لابن وضاح في مصنفه عنها مرفوعا: من بني مسجداً لله ولو مفحص قطاة بني الله له بيتا في الجنة. قلت: يا رسول الله، وهذه المساجد التي بطريق مكة. قال: وتلك.ورواه ابن ماجة في سننه بإسناد صحيح من حديث جابر. أن رسول الله ﷺ قال: من بني لله مسجدا كمفحص قطاة أو أصغر بنى الله له بيتا في الجنة ".(٧٥)

وجاء في إعلام الساجد أيضاً " وفي صحيح البخاري في حديث طويل عن أنس أن النبي ﷺ أمر ببناء المساجد. وفي مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ، أحب البلاد إلي الله مساجدها وأبغض البلاد إلي الله أسواقها. وفيه أيضا في حديث: سبعة يظلهم الله في ظله

يوم لا ظل إلا ظله. فقال: ورجل قلبه معلق بالمساجد".(٧٦)

وجاء أيضاً في إعلام الساجد فيما يتعلق بسائر المساجد " يكره دخول المسجد علي غير وضوء قاله الغزالي في الإحياء بل صار بعض السلف إلي أنه كالجنب يمر فيه ولا يجلس نقل ذلك عن سعيد بن المسيب والحسن البصري، وقد يحتج له بقوله ﷺ: إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين من حيث إن المأمور بالصلاة مأمور بشرطها، وهو الوضوء. قال الغزالي: فلو دخل وجلس استحب أن يقول سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، فإنها تعدل ركعتين في الفضل. وذكر ابن الرفعة في الكفاية نحوه. قال النووي في الأذكار. قال بعض أصحابنا: من دخل المسجد فلم يتمكن من صلاة التحية لحدث، أو شغل يستحب أن يقول أربع مرات: سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر. فقد قال به بعض السلف. وهذا لابأس به".(٧٧)

وورد أيضاً " يكره اللغط ورفع الصوت في المسجد ففي مصنف ابن أبي شيبة أن عمر سمع رجلا رافعا صوته في المسجد فقال: أتدري أين أنت؟ وفي البخاري نحوه. وحكي ابن عبد البر في كتاب بيان العلم عن مالك أنه سئل عن رفع الصوت في المسجد بالعلم فقال: لاخير في ذلك العلم ولا في غيره".(٧٨)

أما فيما يتعلق بتعليم الصبيان في المسجد فقد ورد " سئل القفال عن تعليم الصبيان في المسجد.فقال: الأغلب من الصبيان الضرر بالمسجد فيجوز منعهم ".(٧٩)

وورد أيضاً " يستحب عقد حلق العلم في المساجد. وذكر المواعظ والرقائق ونحوها، والأحاديث الصحيحة في ذلك كثيرة مشهورة. قاله النووي في شرح المهذب: ونقل ابن بطال فيه الاجماع. وقد ورد في فضل حلق الذكر ما لايخفى وقد روى ابن ماجة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: من دخل مسجدنا هذا ليعلم خيرا أو ليتعلم كان كالمجاهد في سبيل الله، ولافرق في هذا بين المعتكف وغيره ".(٨٠)

وورد " يجوز الاستلقاء في المسجد ومد الرجل، والاتكاء للأحاديث الصحيحة المشهورة. وفي البخاري من طريق عباد بن تميم عن عمه أنه رأى رسول الله ﷺ مستلقيا في المسجد واضعا إحدى رجليه علي الأخرى".(٨١)

وورد " يستحب تجمير المسجد بالبخور، وكان عبدالله بن المجمر يجمر المسجد إذا قعد عمر على المنبر، وأنكر مالك تجمير المسجد، واستحب بعض السلف تخليق المساجد بالزعفران والطيب، وروي عنه ﷺ فعله ". (٨٢)

وورد فى تحلية المساجد بالذهب و الفضة وتعليق قناديلها وجهان، أصحهما التحريم فإنه لم ينقل عن السلف، والثاني الجواز كما يجوز ستر الكعبة بالديباج ".(٨٣)

وورد " أنه يحل الحرير لإلباس الكعبة وحكم البيوت أيضاً، وأما باقي المساجد فقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: لابأس بستر المسجد بالثياب من غير الحرير، وأما الحرير فيحتمل أن يلحق بالتزيين بقناديل الذهب والفضة ".(٨٤)

وورد " يستحب فرش المساجد وتعليق القناديل والمصابيح ويقال: أول من فعل ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما جمع الناس علي أبي بن كعب في صلاة التراويح، ولما رأى علي رضي الله عنه اجتماع الناس في المسجد على الصلاة والقناديل تزهر وكتاب الله يتلى: قال: نورت مساجدنا، نور الله قبرك ياابن الخطاب".(٨٥)

وورد " يكره غرس الشجر والنخل، وحفر الآبار في المساجد لما فيه من التضييق علي المصلين، ولأنه ليس من فعل السلف. وحكاه في البيان عن الصيمري وكذا جزم في الروضة بكراهة الغرس وهو وجه، والصحيح تحريمه لما فيه من تحجير موضع الصلاة والتضييق وجلب النجاسات من ذرق الطيور، وفي فتاوي جمال الإسلام بن البارزي وغيره من الحمويين: قطع العراقيون بمنع الزرع والغرس في المسجد..وقال الغزالي: لايجوز الزرع وإن غرس غرسا يستظل به فهلك به إنسان فلا ضمان، ..وذكر أبو الوليد بن الفرضي في تاريخ الأندلس: أن صعصعة بن سلام الشامي يروي عن الأوزاعي قال – وولي القضاء بقرطبة، وفي أيامه غرست الشجر في المسجد الجامع – قال: وهو مذهب الأوزاعي والشاميين ويكرهه مالك وأصحابه وقال الرافعي في كتاب الوقف: ولا ينبغي أن يغرس في المسجد شجر لأنه يمنع

المصلين قال: في الروضة في باب السجدات، فإن غرس قلعه الإمام، وكلام الأصحاب في باب موجبات الضمان يقتضي جواز الحفر فيه إذا دعت إليه ضرورة، وقال القاضي حسين في تعليقه في الصلاة لا يجوز الغرس في المسجد ولا الحفر فيه، ولا أن يبني فيه منارة، ولا أن يضرب فيه اللبنات ويضعها في زاوية منه، أو يجمع الحشيش في موضع منه، لأن هذه الأشياء مما يشغل موضع الصلاة.وقيل. إن اتخاذ المنارة. أحق لأنه يمكن الصلاة علي رأسها بخلاف حفر البئر ونحوه.قال: ولو اتخذ سرداباً تحت المسجد يتقي به من حر الشمس جاز لأنه يمكن الصلاة فيه ".(٨٦)

وورد " يستحب لداخل المسجد أن يقدم رجله اليمنى في الدخول، واليسرى في الخروج لحديث أنس رضي الله عنه أنه قال: من السنة إذا دخلت المسجد أن تبدأ برجلك اليمنى، وإذا خرجت أن تبدأ برجلك اليسرى. رواه الحاكم في المستدرك. وقال صحيح علي شرط مسلم وقال البخاري: وكان ابن عمر يفعله.". (٨٧)

وورد " تجوز الصلاة علي الميت في المسجد ".(٨٨)

وورد " يكره اتخاذ المسجد طريقا.. وفي المعجم الأوسط للطبراني عن سالم عن أبيه: أن النبي ﷺ قال: لاتتخذوا المساجد طرقا إلا لذكر الله أو صلاة ".(٨٩)

وورد " يكره بناء المسجد بين المقابر، لأنه نهى عن الصلاة في المقبرة، وقد صح: لاتتخذوا قبري مسجدا. قال صاحب المغني: وقد روى قتادة: أن أنسا مر على مقبرة، وهم يبنون فيها مسجدا، فقال أنس: كان يكره أن يبنى مسجد في وسط القبور ".(٩٠)

وورد " يستحب عقد النكاح في المسجد قاله أبو عمرو بن الصلاح واحتج بحديث أعلنوا النكاح في المسجد. رواه الترمذى ".(٩١)

وورد " كره بعض السلف اتخاذ المحاريب في المسجد. قال الضحاك بن مزاحم أول شرك كان في أهل الصلاة هذه المحاريب. وفي مصنف عبد الرزاق عن الحسن أنه صلى واعتزل الطاق أن يصلي فيه، وقال: كره الصلاة في طاق المسجد سعيد بن جبير ومعمر والمراد بطاق المسجد المحراب الذي يقف فيه الإمام، وفي شرح الجامع

الصغير للحنفية: لابأس أن يكون مقام الإمام في المسجد، وسجوده في الطاق، ويكره أن يقوم في الطاق لأنه يشبه اختلاف المكانين، ألا ترى أنه يكره الإنفراد..والمشهور، الجواز بلا كراهة. ولم يزل عمل الناس عليه من غير نكير".(٩٢)

وورد "يستحب جعل المنبر في الجامع لأجل الخطبة.. ".(٩٣)

وورد فيما يتعلق بالمنبر " يكره (اتخاذ) المنبر الكبير الذي يضيق على المصلين إذا لم يكن المسجد متسع الخطة، قاله الرافعي وقال القاضي الحسين: إن كان لايضيق لسعة المسجد لم يكره، وإن كان يضيق المكان عليهم لايجوز. هكذا نقله عن العجلي وظاهره التحريم. وهو ظاهر، لأن فيه تعطيل بقعة من المسجد من غير حاجة. وهذا كله في المنبر الذي لايزال من مكانه، أما لو كان له خزانة وراءه يرد إليها بعد الخطبة كما هو بالإسكندرية وغيرها فلا، لأن حال الخطبة لاصلاة".(٩٤)

وورد " اتخاذ المقاصير في المسجد لم يعهد في الصدر الأول وقال، أبو العباس القرطبي في شرح مسلم: لايجوز إتخاذها ولايصلي فيها لتفريقها الصفوف، وحيلولتها مع التمكن من المشاهدة، وهذا منه مبني علي أن المقصورة تقطع الصف الأول وفيه ماسبق في المنبر. وروي أن الحسن وبكر المزني كانا لايصليان فيها. لأنها أحدثت بعد النبي ﷺ (في المساجد) والمسجد مطلق لجميع الناس.. ".(٩٥)

وورد " الصلاة في الجامع أفضل من المسجد الصغير لكثرة الجماعة. وفي الأوسط للطبراني عن زهير بن عباد الرؤاسي: ثنا عبدالله بن محمد التميمي عن يوسف بن زياد، عن نوح بن ذكوان، حدثني عطاء بن أبي رباح، حدثني نافع عن ابن عمر: أن النبي ﷺ قال: الصلاة في المسجد الجامع، تعدل الفريضة حجة مبرورة، والنافلة كحجة متقبلة. وفضلت الصلاة في المسجد الجامع علي ما سواه من المساجد بخمسمائة صلاة.. ".(٩٦)

وورد " اختلف العلماء فى الصلاة فى المسجد بين السوارى، فكرهه أنس،

وقال: كنا نتقيه على عهد رسول الله ﷺ، وفى لفظ كنا ننهى عن الصلاة بين السوارى ونطرد عنها. صححهما الحاكم فى المستدرك، وقال ابن مسعود: لا تصفوا بين الأساطين وكرهه حذيفة وإبراهيم، وقال القرطبى: إنما كرهت الصلاة بين الأساطين، لأنه روى فى هذا الحديث أنها مصلى الجن المؤمنين، وأجازه الجمهور منهم الحسن ومحمد بن سيرين، وكان ابن جبير وإبراهيم التميمى وسويد بن غفلة يؤمون قومهم بين الأساطين، وهو قول أبي حنيفة وقال مالك: لا بأس بذلك لضيق المسجد...". (٩٧)

وورد " يجوز نبش قبور المشركين، وبناء المسجد موضعها ففى الصحيحين من حديث أنس أن النبى ﷺ أمر بقبور المشركين فنبشت عند بناء المسجد فقيل: لأنها لا حرمة لها، لأنهم ليسوا أهل كتاب، وقيل: لأنها دثرت، ولم يظهر لها أثر، والحاجة داعية إلى الانتفاع بمحالها وكرهه

مالك ". (٩٨)

وورد " يجوز فتح الخوخة والممر فى المسجد.. ". (٩٩)

وورد " قال ابن بطال يجب إتخاذ الأبواب للمساجد لتصان عن التراب وتنزه عما لا يصلح فيها من غير الطاعات بالغلق، وفى صحيح البخارى قال ابن أبى مليكة لابن جريج: لو رأيت مساجد ابن عباس وأبوابها وفيه من حديث ابن عمر أنه ﷺ فتح الباب ودخل الكعبة ". (١٠٠)

وورد " يجوز بناء المطاهر بالقرب من المساجد والتوضئة منها.. ". (١٠١)

وورد " قال القاضى أبو منصور بن الصباغ فى كتاب، الإشعار باختلاف العلماء اختلفوا فى الصلاة فى الكنائس والبيع والنواويس. فحكى ابن المنذر عن ابن عباس ومالك: أنهما كانا يكرهان ذلك لأجل الصور، وأن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لنصراني: إنا لا ندخل عليكم بيعكم من أجل الصور التى فيها وعن أبى موسى الأشعرى أنه صلي فى كنيسة، وعن الحسن والشعبى وغيره الترخيص فى الصلاة فى البيع والكنائس. قال: وذاكرت شيخنا يعنى أبا نصر

بذلك فكان جوابه أنه ينبغى أن يكره لأجل الصور التى فيها، ولدخولها من غير إذن والله أعلم ". (١٠٢)

وورد " كره النخعى وغيره من السلف أن يقال: مسجد بني فلان، لأن المساجد بيوت الله والمشهور الجواز.. ". (١٠٣)

وورد " أفتى الشيخ عز الدين بن عبد السلام رحمه الله بأن متولى تدريس المدرسة هو الذى يقرر مقدار الجامكية (راتب الموظف) للفقهاء وينزلهم، وليس للناظر فى الوقف إلا تحصيل الريع وقسمته على المنزلين ". (١٠٤)

وورد "كره مالك أن يبنى مسجدا ويتخذ فوقه مسكنا يسكن فيه بأهله..".(١٠٥)

وورد فى " باب كنس المسجد وإلتقاط الخرق والقذى والعيدان " حدثنا سليمان ابن حرب قال حدثنا حماد بن زيد عن ثابت عن أبى رافع عن أبي هريرة أن رجلاً أسود أو إمرأة سوداء كان يقم المسجد فمات فسأل النبى ﷺ عنه فقالوا مات قال أفلا كنتم آذنتمونى به دلونى على قبره أو قال قبرها فأتى قبره فصلى عليها ".(١٠٦)

هوامش وتعليقات الفصل الأول

١) مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، جمهورية مصر العربية، الطبعة الثالثة، ج١، ص٤٣٢.

٢) الزركشي (محمد بن عبدالله) ت ٧٩٤هـ/١٣٩١م: إعلام الساجد بأحكام المساجد، تحقيق أبو الوفا مصطفى المراغي، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، صص٢٦- ٢٧.

٣) الزركشي: إعلام، ص٢٧.

٤) الزركشي: إعلام، صص٢٧- ٢٨.

٥) مجمع اللغة العربية: المعجم، ج١، صص٣٣٥- ٣٣٦. أنظر الآية ٢٠٠ من سورة آل عمران، وجاء في قوله عز وجل في سورة الأنفال: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ [الآية" ٦٠].

٦) حسن الباشا: مدخل إلي الآثار الإسلامية، دار النهضة العربية، القاهرة، صص١٦٩- ١٧٠.

٧) مجمع اللغة العربية: المعجم، ج١، ص٢٨٩.

٨) سعيد عبد الفتاح عاشور: العلم بين المسجد والمدرسة (تاريخ المدارس في مصر الإسلامية)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م، صص١٦- ١٧.

٩) أنظر عن نظام الملك: عبد النعيم محمد حسنين: إيران والعراق في العصر السلجوقي، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت، ط١، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص٥٦.

١٠) أنظر عن ألب أرسلان: عبد النعيم محمد: إيران، صص٥٣- ٥٤.

١١) أنظر عن ملكشاه: عبد النعيم محمد: إيران، صص٦٧- ٦٩.

١٢) أنظر عن بغداد: عبدالله كامل موسى عبده: العباسيون وآثارهم المعمارية فى الشرق ومصر والمغرب حتى نهاية القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادي، دار الآفاق العربية، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٨م، صص ٤٨ - ٧٣.

١٣) نيسابور: مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة معدن الفضلاء ومنبع العلماء لم أر فيما طوفت من البلاد مدينة كانت مثلها. مزيد من التفاصيل أنظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٩٥م، مج٥، ص ٣٣١.

١٤) أنظر عن السلطان محمود والغزنويين: عبد النعيم محمد: إيران والعراق، ص ١٥.

١٥) الزركشي: إعلام، صص ٣١- ٣٣.

١٦) أوقطاى اصلان ابا: فنون الترك وعمائرهم، ترجمة أحمد محمد عيسى، الطبعة الأولي، استانبول، ١٩٨٧م، ص٢٣.

١٧) مرو: المرو: الحجارة البيض تقتدح بها النار، ولا يكون أسود ولا أحمر ولا تقتدح بالحجر الأحمر ولا يسمى مرواً، ومرو الشاهجان: هذه مرو العظمي أشهر مدن خراسان وقصبتها. ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج ٥، ص١١٢.

١٨) بخاري: من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلها، يعبر إليها من آمل الشط، وكانت قاعدة ملك السامانية. ياقوت الحموي: معجم، مج١، ص٣٥٣.

١٩) خراسان: بلاد واسعة، أول حدودها مما يلي العراق أزاذوار قصبة جوين وبيهق، وآخر حدودها مما يلي الهند طخارستان وغزنة وسجستان وكرمان، وليس ذلك منها إنما هو أطراف حدودها، وتشتمل على أمهات من البلاد منها نيسابور وهراة ومرو، وهى كانت قصبتها. ياقوت الحموي: معجم، مج ٢، ص ٣٥٠.

٢٠) أيمن فؤاد سيد: المدارس في مصر قبل العصر الأيوبي، تاريخ المدارس في مصر الإسلامية، تاريخ المصريين (٥١)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م، صص ٩٤- ٩٧.

٢١) سورة آل عمران، الآية ٩٦.

٢٢)الزركشي: إعلام، ص٢٩.

٢٣) البخاري: صحيح البخاري، دار مطابع الشعب، مج١، ج١، ص١١٩.

٢٤) مجمع اللغة العربية: المعجم، ج١، ص١٤٠.

٢٥) حسين مؤنس: المساجد، ١٩٩٤م، ص١١.

٢٦) سورة البقرة، آية ١١٤- ١١٥.

٢٧) سورة البقرة، آية ١٢٥.

٢٨) سورة البقرة، آية ١٢٧.

٢٩) سورة البقرة، آية ١٤٤.

٣٠) سورة البقرة، آية ١٤٩.

٣١) سورة البقرة، آية ١٥٠.

٣٢) سورة البقرة، آية ١٥٨.

٣٣) سورة البقرة، آية ١٨٧.

٣٤) سورة البقرة، آية ١٩١.

٣٥) سورة البقرة، آية ١٩٦.

٣٦) سورة البقرة، آية ٢١٧.

٣٧) سورة آل عمران، آية ٩٦- ٩٧.

٣٨) سورة المائدة، آية ٢.

٣٩) سورة المائدة، آية ٩٧.

٤٠) سورة الأعراف، آية ٢٩.

٤١) سورة الأعراف، آية ٣١.

٤٢) سورة الأنفال، آية ٣٤.

٤٣) سورة الأنفال، آية ٣٥.

٤٤) سورة التوبة، آية ٧.

٤٥) سورة التوبة، آية ١٧.

٤٦) سورة التوبة، آية ١٨.

٤٧) سورة التوبة، آية ١٩.

٤٨) سورة التوبة، آية ٢٨.

٤٩) سورة التوبة، الآيات ١٠٧- ١٠٩.

٥٠) سورة التوبة، آية ١١٠.

٥١) سورة إبراهيم، آية ٣٧.

٥٢) سورة الإسراء، آية ١.

٥٣) سورة الإسراء، آية ٧.

٥٤) سورة الكهف، آية ٢١.

٥٥) سورة الحج، آية ٢٥.

٥٦) سورة الحج، آية ٢٦.

٥٧) سورة الحج، آية ٢٩.

٥٨) سورة الحج، آية ٣٣.

٥٩) سورة الحج، آية ٤٠.

٦٠) سورة النور، الآيات ٣٦- ٣٨.

٦١) سورة الفتح، آية ٢٥.

٦٢) سورة الفتح، آية ٢٧.

٦٣) سورة الطور، الآيات ١- ٨.

٦٤) سورة الجن، آية ١٨.

٦٥) سورة قريش، الآيات ١- ٤.

٦٦) حسين مؤنس: المساجد، ص ٢٥.

نقل حسين مؤنس كافة الأحاديث التي أوردها عن الزركشى فى كتابه إعلام الساجد، وذلك عند مراجعته الفهرس الأبجدي للأحاديث النبوية.

٦٧) البخارى: صحيح البخاري، (كتاب الشعب)، دار مطابع الشعب، مج١، ج١، صص ١٢١- ١٢٢.

٦٨) البخارى: صحيح، مج١، ج١، ص١٢٢.
أورد السيد سابق فى فقه السنة فى فضل بناء المساجد " عن عثمان، أن النبى ﷺ قال: " من بنى لله مسجداً، يبتغي به وجه الله، بني الله له بيتاً فى الجنة ". متفق عليه.
السيد سابق: فقه السنة، دار الفتح للإعلام العربي، القاهرة، ط٢، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ج١، ص٢٩٣.

٦٩) مكة: تقع منطقة مكة المكرمة فى غرب المملكة العربية السعودية يحدها من الشمال منطقة المدينة المنورة، ومن الجنوب الغربي منطقة عسير والباحة، ومن الشرق منطقة الرياض ومن الغرب البحر الأحمر، وتبلغ مساحتها الإجمالية ١١٩٥٧٣ كم مربع، ويتبع منطقة مكة إحدى عشرة محافظة، وهى تقع من الناحية الجيولوجية ضمن إقليم الدرع العربي، الذى يمثل الجزء المكمل للدرع النوبي الإفريقي، واللذين يفصل بينهما أخدود البحر الأحمر حالياً.
وزارة المعارف، المملكة العربية السعودية، وكالة الآثار والمتاحف: آثار منطقة مكة المكرمة، سلسلة آثار المملكة العربية السعودية، الرياض، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م، صص ١٩- ٢٧.

٧٠) المدينة المنورة: تقع فى الجهة الغربية من المملكة العربية السعودية، وتبلغ مساحتها ١٤٠,٨٦٨ كم مربع يحدها من الشمال منطقتي تبوك وحائل، ومن الجنوب مكة المكرمة، ومن الشرق مناطق حائل والقصيم والرياض، ومن الغرب منطقة تبوك والبحر الأحمر، ويتبعها عدد من المحافظات والمراكز، وتشكل الجبال فيها جزءا من سلسلة جبال الروات (جبال الحجاز) التي تمتد من جنوب غرب المملكة حتى خليج العقبة فى الشمال الغربي وتسير موازية

للساحل الشرقي للبحر الأحمر، ومن أبرز جبال المنطقة جبل أحد، وجبل عسير، وجبال عوف، وجبال رضوي.

وزارة المعارف، المملكة العربية السعودية: آثار منطقة المدينة المنورة، صص ٢١- ٣٠.

٧١) البخاري: صحيح، مج١، ج٢، ص٧٦.

أورد السيد سابق فى أفضل المساجد " روي البيهقى، عن جابر، أن النبى ﷺ قال:" صلاة فى المسجد الحرام مائة ألف صلاة، وصلاة فى مسجدي ألف صلاة، وفى بيت المقدس خمسمائة صلاة ".

السيد سابق: فقه السنة، ج١، ص٢٩٦.

٧٢) البخاري: صحيح، مج١، ج١، ص١١٩.

أورد السيد سابق عند ذكره المساجد " مما اختص الله به هذه الأمة، أن جعل لها الأرض طهوراً ومسجداً، فأيما رجل من المسلمين أدركته الصلاة، فليصل حيث أدركته، قال أبو ذر: قلت: يارسول الله، أي مسجد وضع في الأرض أولاً؟ قال: " المسجد الحرام ". قلت: ثم أي؟ قال:"ثم المسجد الأقصى". قلت: كم بينهما؟ قال:" أربعون سنة ". ثم قال:" أينما أدركتك الصلاة، فصل، فهو مسجد". وفي رواية:" فكلها مسجد". رواه الجماعة.

السيد سابق: فقه، ج١، ص٢٩٣.

٧٣) البخاري: صحيح، مج٢، ج٤، ص١٤.

٧٤) الزركشي: إعلام، ص٣٦.

٧٥) الزركشي: إعلام، صص٣٧- ٣٨.، السمهودي (نور الدين علي): وفاء الوفا بأخبار دار المصطفي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج٢، ص٦٦٢.

المفحص: الموضع الذي تبيض فيه القطاة. والقطاة: طائر.

السيد سابق: فقه، ج١، ص٢٩٣.

٧٦) الزركشي: إعلام، ص٣٩.

٧٧) الزركشي: إعلام، ص٣٠٤.، السيد سابق: فقه، ج١، ص٢٩٦.

٧٨) الزركشي: إعلام، صص٣٢٦- ٣٢٧.

قال النووي: يجوز التحدث بالحديث المباح في المسجد، وبأمور الدنيا، وغيرها من المباحات، وإن حصل فيه ضحك ونحوه، مادام مباحاً.

السيد سابق: فقه، ج١، ص٣٠١.

٧٩) الزركشي: إعلام، ص٣٢٧.

٨٠) الزركشي: إعلام، ص٣٢٨.

٨١) الزركشي: إعلام، ص٣٣٠.

أورد السيد سابق عند ذكره إباحة الأكل والشرب، والنوم فيها " فعن ابن عمر، قال: كنا في زمن رسول الله ﷺ ننام في المسجد، نقيل فيه، ونحن شباب.وقال عبدالله بن الحارث: كنا نأكل علي عهد رسول الله ﷺ في المسجد الخبز، واللحم. رواه ابن ماجة بسند حسن.

السيد سابق: فقه، ج١،ص٣٠١.

٨٢) الزركشي: إعلام، ص٣٣٨.

روى السمهودي عند ذكره تجمير المسجد " وروى يحيى من طريق ابن زبالة وغيره عن علي بن حسن.أن رسول الله ﷺ أمر باجمار المسجد، قال: ولا أعلمه إلا قال: يوم الجمعة. وروى ابن ماجة عن واسلة بن الأسقع رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وشراءكم وبيعكم وخصوماتكم ورفع أصواتكم وإقامة حدودكم وسل سيوفكم واتخذوا علي أبوابها المطاهر، وجمروها في الجمع".

السمهودي: وفاء، ج٢، ص٦٦٢.

٨٣) الزركشي: إعلام، ص٣٣٨.

٨٤) الزركشي: إعلام، صص٣٣٨- ٣٣٩.

٨٥) الزركشي: إعلام، ص٣٣٩.، السمهودي: وفاء، ج٢، صص٦٦٣- ٦٦٤.

٨٦) الزركشي: إعلام، صص٣٤١- ٣٤٢.

٨٧) الزركشي: إعلام، ص٣٤٧.

أورد السيد سابق " يسن لمن أراد دخول المسجد، أن يدخله برجله اليمنى، ويقول: أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم، من الشيطان الرجيم، باسم الله، اللهم صل علي محمد، اللهم أغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب رحمتك.

وإذا أراد الخروج، خرج برجله اليسرى، ويقول: باسم الله، اللهم صل علي محمد، اللهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب فضلك، اللهم اعصمني من الشيطان الرجيم.

السيد سابق: فقه، ج١، ص٢٩٥.

٨٨) الزركشي: إعلام، صص٣٥١- ٣٥٢.، السمهودي: وفاء، ج٢، ص٥٣٢.

٨٩) الزركشي: إعلام، ص٣٥٦.

٩٠) الزركشي: إعلام، ص٣٥٦.، السيد سابق: فقه، ج١، ص٣٠٢.

٩١) الزركشي: إعلام، ص ٣٦٠.

٩٢) الزركشي: إعلام، ص ٣٦٤.

٩٣) الزركشي: إعلام، ص ٣٧٣.

٩٤) الزركشي: إعلام، ص ٣٧٤.

أورد الزركشى " زعم الغزالى فى الإحياء: أن المنبر يقطع الصف الأول. قال: وإنما الصف الأول المتصل الذى فى بناء المنبر، وما يلي طرفيه مقطوع به. وهذه المقاله غلطها النووى فى شرح مسلم وقال: الصف الأول الممدوح: هو الذى يلي الإمام سواء جاء صاحبه متقدما أو متأخرا، وسواء تخلله مقصورة ونحوها أم لا؟ هذا هو الصحيح الذى تقتضيه ظواهر الأحاديث وصرح به الجمهور. قال: وقالت طائفة من العلماء: الصف الأول هو المتصل من طرف المسجد إلى طرفه،

لا يتخلله مقصورة ونحوها ، فإن تخلل الذى يلي الإمام (شئ) فليس بأول. وقيل: الصف الأول عبارة عن مجئ الإنسان المسجد أولاً ، وإن صلى فى صف متأخر. قال: وهذان القولان غلط نبهت عليهما وقد كان بعض أئمة السلف يوكلون رجالاً يسوون الصفوف.

الزركشى: إعلام، صص ٣٧٤- ٣٧٥.

٩٥) الزركشي: إعلام، ص ٣٧٥.

٩٦) لا يروى هذا الحديث عن نافع إلا عطاء، ولا عن عطاء إلا نوح. تفرد به زهير.

الزركشي: إعلام، ص ٣٧٦.

٩٧) الزركشي: إعلام، ص ٣٨١.، السيد سابق: فقه، ج١، ص ٣٠٢.

٩٨) الزركشي: إعلام، ص ٣٨١.

٩٩) الزركشي: إعلام، ص ٣٨٢.

ذكر السمهودى الأمر بسد الأبواب الشارعة فى المسجد الشريف ".. لا يبقين فى المسجد باب إلا سد إلا باب أبى بكر. ورواه مسلم من طريق مالك بن أنس بنحوه، وقال: لا يبقين فى المسجد خوخة إلا خوخة أبى بكر. والخوخة: طاقة فى الجدار تفتح لأجل الضوء، ولا يشترط علوها ، وحيث تكون سفلى يمكن الاستطرق منها لاستقراب الوصول إلى مكان مطلوب، وهو المقصود هنا ، لهذا أطلق عليها باب، وقيل: لا يطلق عليها باب إلا إذا كانت تغلق ".

السمهودى: وفاء، ج٢ ، ص٤٧١.

١٠٠) الزركشي: إعلام، صص ٣٨٢- ٣٨٣.

١٠١) الزركشي: إعلام، ص ٣٨٣.

١٠٢) الزركشي: إعلام، صص ٣٨٣- ٣٨٤.

١٠٣) الزركشي: إعلام، ص ٣٨٤.

١٠٤) الزركشي: إعلام، ص٣٩٧.

١٠٥) الزركشي: إعلام، ص ٤٠٧.

١٠٦) البخارى: صحيح، مج١، ج١، ص١٢٤.

أورد السيد سابق " المساجد بيوت العبادة، فيجب صيانتها من الأقذار والروائح الكريهة.. ".

السيد سابق: فقه، ج١، ص٢٩٨.

الفصل الثاني

المسجد الحرام من المنظورين القرآني والمعماري

المسجد الحرام (١)

ذكر الله المسجد الحرام في القرآن الكريم في خمسة عشر موضعاً تقدم ذكرها عند ذكر المسجد في القرآن الكريم، وأذكر منها هنا علي سبيل المثال ما جاء في سورة البقرة في قوله تعالي ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾.(٢)

وما ورد في سورة المائدة في قوله عز وجل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾.(٣)

وما ورد في سورة الأنفال في قوله عز وجل ﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾.(٤)

وما ورد في قوله تعالي في سورة التوبة ﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ ﴾.(٥)

وورد في سورة الإسراء في قوله تعالي ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ

ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾.(٦)

وفي قوله تعالي في سورة الحج ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾.(٧)

وفي قوله تعالي في سورة الفتح ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ ﴾.(٨)

وقد ذكر الزركشي نقلاً عن الماوردي " في الحاوي في كتاب الجزية أن كل موضع ذكر الله فيه المسجد الحرام فالمراد به: الحرم. إلا في قوله تعالي: " فول وجهك شطر المسجد الحرام". فإنه أراد به الكعبة، وأما ابن أبي الصيف اليمني فقال بعد ذكر المواضع الخمسة عشر: منها ما أرد به الكعبة كقوله:" فول وجهك شطر المسجد الحرام ". ومنها ما أرد به مكة كقوله:" سبحان الذي أسرى بعبده " وقد روي أنه أسري به من بيت أم هانيء بنت أبي طالب، ومنها ما أراد به الحرم كقوله تعالي:" إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام " قال: وقد روى النسائي في سننه من حديث ميمونة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الكعبة. وروي أيضا من حديث أبي هريرة إلا الكعبة. وفي رواية ابن ماجة:" وصلاته بمكة بمائة ألف " مع ذكر المساجد يظهر أنه أراد مسجد مكة والمصلي فيه مصل بمكة والله أعلم ".(٩)

ويعد المسجد الحرام أول مسجد وضع علي الأرض لقول الله عز وجل في سورة

آل عمران ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾.(١٠)

وفي الصحيحين عن أبي ذر رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن أول مسجد وضع علي الأرض فقال: المسجد الحرام، قلت ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى، قلت: وكم بينهما؟ قال: أربعون عاما، ثم الأرض لك مسجد فحيثما أدركتك الصلاة فصل.(١١)

والمسجد الحرام هو البيت، والبيت الحرام، والبيت المحرم، والبيت العتيق، وسمي أيضاً بالكعبة لتكعيبه أي تربيعه، وكانت العرب تسمي كل بيت مربع مرتفع كعبة، والمربع لغة من "(ربع) الشيء: جعله مربعاً. و- جعله أربعة أجزاء.. (الرباعي): ما ركب من أربعة أشياء. وهي رباعية. و- (في الرياضة والهندسة): شكل مستو محدود بأربع أضلاع مستقيمة، يتلاقى كل ضلعين متجاورين في نقطة تسمى بالرأس".(١٢)

و "(المربع): كل ما له أربعة أركان. و- (في الهندسة): ما له أربع أضلاع متساوية، وزواياه متساوية.".(١٣)

أما الكعبة فهي لغة من "(كعبت)..و- الشيء: جعله مكعباً..(الكعبة): البيت الحرام بمكة. و- كل بيت مربع الجوانب. (ج) كعبات، وكعاب.".(١٤)

وهو الأمر الذي يتضح في ضوئه أن تربيع الكعبة أثر علي العديد من المباني التي شيدت داخل وخارج الجزيرة العربية سواء قبل أو بعد الإسلام، فقد كان للعرب قبل الإسلام فن معماري إزدهر نوع منه وإنتشر خارج الجزيرة العربية يتمثل في عمارة الحصون أو الآطام، حيث تدل بعض الشواهد علي أ ن هذه الحصون أو الآطام كانت تقام عند العيون وآبار المياه علي طول طرق القوافل الممتدة عبر جزيرة العرب، وكانت في كثير من الأحيان ذات تخطيط مربع، وتتألف من عدة طبقات، وكانت هذه الآطام تتخذ مساكن للقبائل والبطون التي تشرف علي طرق القوافل، وأسواقاً للتبادل التجاري، ومستودعات للمؤن والذخائر، وأبراجاً للمراقبة، ومنتديات للإجتماع والتشاور، وملاجيء يتحصن بها عند الأخطار.(١٥)

وقد كان بالمدينة المنورة علي عصر النبي ﷺ حصون وآطام، وكان من أهل المدينة من يتقنون تشييد الآطام، وعمل بعضهم في بنائها خارج المدينة، والآطام لغة من " (أطم) الهودج ونحوه: ستره. وأطم الأطم: علاه ورفع بناءه..(ج) آطام، وأطوم".(١٦)

وبعد الإسلام أمدنا المؤرخ ابن عبد الحكم المتوفي ٢٥٧هـ/٨٦٧م عند ذكره الخطط بالفسطاط وعبدالله بن عمرو بن العاص بنص هام نتبين منه أهمية تربيع الكعبة بالنسبة للعرب والمسلمين بحيث تأثروا بها في عمائرهم سواء كانت مدنية أم دفاعية أو عسكرية، فقد أورد " واختط عبدالله ابنه (عمرو بن العاص) هذه الدار الكبيرة التي عند المسجد الجامع وهو الذي بناها هذا البناء وبنى فيها قصرا علي تربيع الكعبة الأولى ".(١٧)

اشترك النبي ﷺ في بناء الكعبة قبل بعثته (شكل ١، ٢) فكان يعمل في نقل الحجارة مع غيره من أشراف قريش ورجالها، جاء في صحيح البخاري في باب بنيان الكعبة ما نصه " حدثني محمود حدثنا عبد الرازق قال أخبرني ابن جريج قال أخبرني عمرو بن دينار سمع جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال لما بنيت الكعبة ذهب النبي ﷺ وعباس ينقلان الحجارة، فقال عباس للنبي ﷺ اجعل إزارك علي رقبتك يقيك من الحجارة فخر إلي الأرض وطمحت عيناه إلي السماء ثم أفاق فقال: إزاري إزاري فشد عليه إزاره حدثنا أبو النعمان حدثنا حماد بن زيد عن عمرو بن دينار وعبيدالله بن أبي يزيد قالا لم يكن علي عهد النبي ﷺ حول البيت حائط كانوا يصلون حول البيت حتى كان عمر فبني حوله حائطاً فقال عبيدالله جدره قصير فبناه ابن الزبير".(١٨) (خريطة ١)

وعقب فتح مكة (خريطة ٢) مباشرة أمر الرسول ﷺ بتطهير الكعبة مما فيها من تماثيل وصور وأصنام، وجرى الرسول ﷺ علي عادة قريش في كسوة الكعبة، كما أمر الرسول ﷺ بتطيبها، قال ابن الأثير " ولما دخل رسول الله، ﷺ، مكة كانت عليه عمامة سوداء، فوقف علي باب الكعبة وقال:" لا إله إلا الله وحده،

صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا كل دم أو مأثرة أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين، إلا سدانة البيت (خدمة الكعبة)، وسقاية الحج ". ثم قال:" يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم "؟ قالوا: خيراً، أخ كريم، وابن أخ كريم. قال:" اذهبوا فأنتم الطلقاء "، فعفا عنهم، وكان الله قد أمكنه منهم، وكانوا له فيئاً، فلذلك سمي أهل مكة الطلقاء. وطاف بالكعبة سبعاً، ودخلها وصلى فيها، ورأى فيها صور الأنبياء، فأمر بها فمحيت، وكان علي الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً، وكان بيده قضيب، فكان يشير به إلي الأصنام وهو يقرأ:" وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً " (١٩)، فلا يشير إلي صنم منها إلا سقط لوجهه. وقيل بل أمر بها وخدمت وكسرت. ثم جلس رسول الله، ﷺ، للبيعة على الصفا، وعمر بن الخطاب تحته، واجتمع الناس لبيعة رسول الله، ﷺ، علي الإسلام، فكان يبايعهم علي السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا، فكانت هذه بيعة الرجال.(٢٠)

عمارة المسجد الحرام في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

من الناحية المعمارية لم يكن للمسجد الحرام علي عصر الرسول ﷺ جدران (جدر) تحده، بل كانت البيوت تحدق به، والأزقة بينها تفتح عليه، وكانت الدور أو البيوت تصل حتى حدود المطاف، واستمر الأمر علي ذلك في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه (١١- ١٣هـ/٦٣٢- ٦٣٤ م).(٢١)

وقد شهدت مكة المكرمة في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه (١٣-٢٣هـ/٦٣٤- ٦٤٤ م) عمارة المسجد الحرام، فقد شيد الخليفة عمر رضي الله عنه جداراً يحيط به من الجوانب الأربعة، وذلك في سنة ١٧هـ/٦٣٨ م، جاء في صحيح البخاري في باب بنيان الكعبة " حدثني محمود حدثنا عبد الرزاق قال أخبرني ابن جريج قال أخبرني عمرو بن دينار سمع جابر بن عبدالله رضي الله عنهما...حدثنا أبو النعمان حدثنا حماد بن زيد عن عمرو بن دينار وعبيدالله بن أبي يزيد قالا لم يكن علي عهد النبي ﷺ حول البيت حائط كانوا يصلون حول البيت حتى كان عمر

فبنى حوله حائطاً قال عبيدالله جدره قصير فبناه ابن الزبير ".(٢٢)

وفي ذلك أورد الزركشي عند ذكره من بنى المسجد الحرام ما نصه " قال أبو الوليد الأزرقي وأبو الحسن الماوردي: أما المسجد الحرام فكان فناءً حول الكعبة، وقضاءً للطائفين، ولم يكن له علي عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر جدار يحيط به وكانت الدور تحدق به، وبين الدور أبواب يدخل الناس من كل ناحية فلما استخلف عمر، وكثر الناس، وضيقوا علي الكعبة وألصقوا دورهم بها، قال عمر رضي الله عنه: إن الكعبة بيت الله ولابد للبيت من فناء، وإنكم دخلتم عليها ولم تدخل عليكم فاشترى تلك الدور من أهلها وهدمها وبنى المسجد المحيط بها واتخذ له جدارا ".(٢٣)

ويحدثنا ابن الأثير في أحداث سنة ١٧هـ/ ٦٣٨ م عن بناء المسجد الحرام والتوسعة فيه بقوله " وفيها، أعني سنة سبع عشرة، اعتمر عمر بن الخطاب، وبنى المسجد الحرام ووسع فيه، وأقام بمكة عشرين ليلة، وهدم علي قوم أبوا أن يبيعوا، ووضع أثمان دورهم في بيت المال حتى أخذوها، وكانت عمرته في رجب، واستخلف علي المدينة زيد بن ثابت، وأمر بتجديد أنصاب الحرم، فأمر بذلك مخرمة بن نوفل والأزهر بن عبد عوف وحويطب بن عبد العزي وسعيد بن يربوع، واستأذنه أهل المياه في أن يبنوا منازل بين مكة والمدينة، فأذن لهم، وشرط عليهم أن ابن السبيل أحق بالظل والماء ".(٢٤)

ذكر الزركشي نقلاً عن الأزرقي " أن عمر رضي الله عنه كان يكسوها القباطي وكساها معاوية وابن الزبير الديباج الأحمر وكانت تكسى يوم عاشوراء ثم صار معاوية يكسوها مرتين. والمأمون كان يكسوها ثلاثا ".(٢٥)

ويعد نسيج القباطي أحد أنواع النسيج المصري، وقد عرف هذا النسيج من قبل العرب قبل الإسلام، وقد إزدهرت صناعة النسيج منذ العصر الفرعوني في مصر، ثم سارت في سبيل التقدم حتى العصر البيزنطي، وتأثرت في العصر البيزنطي بالأسلوبين البيزنطي والساساني، ويدل نسيج القباطي علي الدور المهم للأقباط المصريين في هذه الصناعة.(٢٦).

عمارة المسجد الحرام
في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه

شهدت مكة المكرمة في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه عمارة المسجد الحرام، فقد قام الخليفة عثمان رضي الله عنه في سنة ٢٤هـ/٦٤٤م وقيل في سنة ٢٦هـ/ ٦٤٦م بعمارته، واتخذ له الأروقة، وهو أول من اتخذ ذلك كما كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أول من اتخذ له جداراً، قال الزركشي " ثم لما استخلف عثمان رضي الله عنه اشترى دورا أخر، ووسعه أيضا، وبنى المسجد والأروقة وكان عثمان أول من اتخذ الأروقة ".(٢٧)

ويحدثنا ابن الأثير في أحداث سنة ٢٦هـ/٦٤٦م عن عمارة المسجد الحرام بما نصه " في هذه السنة أمر عثمان بتجديد أنصاب الحرم. وفيها زاد عثمان في المسجد الحرام ووسعه، وابتاع من قوم، فأبى آخرون، فهدم عليهم ووضع الأثمان في بيت المال، فصاحوا بعثمان، فأمر بهم فحبسوا، وقال لهم: قد فعل هذا بكم عمر فلم تصيحوا به. فكلمه فيهم عبدالله بن خالد بن أسيد فأطلقهم ".(٢٨)

تعظيم حرمة المسجد الحرام
وتخطيط المساجد في العالم الإسلامي

كان تخطيط المسجد الحرام في عصر الخلفاء الراشدين عبارة عن فناء يحيط بالكعبة من الجوانب الأربعة، ويحدد هذا الفناء جدار قصير من جوانبه الأربعة، وذلك لقول الخليفة عمر رضي الله عنه " إن الكعبة بيت الله ولابد للبيت من فناء "، وذلك في عهد الخليفة عمر رضي الله عنه، ثم قام الخليفة عثمان رضي الله عنه بتوسيعه، وبنى المسجد والأروقة حول الفناء، وكان أول من اتخذ الأروقة، غير أن هذا التخطيط يختلف وتخطيط المساجد في العالم الإسلامي خلال تلك الفترة من تاريخ الحضارة الإسلامية، حيث جاء تخطيطها من صحن وظلة للقبلة شأنها في ذلك شأن المسجد النبوي بالمدينة المنورة سواء قبل تحويل القبلة أو بعد تحويل القبلة، فقد كان المسلمون لا يشبهون به المساجد تعظيماً لحرمته، أي حرمة المسجد الحرام، وذلك في العصر الراشدي، وهو الأمر الذي يتضح جلياً في نص الطبري عند ذكره مسجد الكوفة " ثم إن الحريق وقع بالكوفة وبالبصرة، وكان أشدهما حريقاً الكوفة.. فأول شيء خط بالكوفة وبني حين عزموا علي البناء المسجد، فوضع في موضع أصحاب الصابون والتمارين من السوق، فاختطوه، ثم قام رجل في وسطه، رام شديد النزع، فرمى عن يمينه فأمر من شاء أن يبني وراء موقع ذلك السهم، ورمى به بين يديه ومن خلفه، وأمر من شاء أن يبني وراء موقع السهمين. فترك المسجد في مربعة غلوة من كل جوانبه، وبنى ظلة في مقدمه، ليست لها مجنبات ولا مواخير، والمربعة لاجتماع الناس لئلا يزدحموا – وكذلك كانت المساجد ما خلا المسجد الحرام، فكانوا لا يشبهون به المساجد تعظيماً لحرمته ".(٢٩)

والغلوة لغة " مقدار رمية سهم، وتقدر بثلاث مئة ذراع إلي أربع مئة ".(٣٠).

هوامش وتعليقات الفصل الثاني

١) ورد ذكر المسجد الحرام في القرآن الكريم في خمسة عشر موضعاً، ستة في البقرة في الآيات ١٤٤، ١٤٩، ١٥٠، ١٩١، ١٩٦، ٢١٧، وورد في سورة المائدة في الآية ٢، وفي سورة الأنفال في الآية ٣٤، وفي سورة التوبة في الآيات ٧، ١٩، ٢٨، وفي سورة الإسراء في الآية ١، وفي سورة الحج في الآية ٢٥، وفي سورة الفتح في الآية ٢٥، والآية ٢٧.

٢) سورة البقرة، الآية ١٤٤.

٣) سورة المائدة، الآية ٢.

٤) سورة الأنفال، الآية ٣٤.

٥) سورة التوبة، الآية ٧.

٦) سورة الإسراء، الآية ١.

٧) سورة الحج، الآية٢٥.

٨) سورة الفتح، الآية ٢٥.

٩) الزركشي: إعلام، ص٦٠.

١٠) سورة آل عمران، الآية ٩٦.

١١) الزركشي: إعلام، ص٢٩.

١٢) مجمع اللغة العربية: المعجم، ج١، ص٣٣٦.

١٣) مجمع اللغة العربية: المعجم، ج١، ص٣٣٧.

١٤) مجمع اللغة العربية: المعجم، ج٢، ص٨٢١.

١٥) حسن الباشا: مدخل إلي الآثار الإسلامية، دار النهضة العربية، القاهرة، صص٢٢- ٢٤.، وزارة المعارف، وكالة الآثار والمتاحف، آثار منطقة مكة المكرمة، ص١٥٧.

١٦) حسن الباشا: مدخل، ص٢٥.، مجمع اللغة العربية: المعجم، ج١، ص٢١.

١٧) ابن عبد الحكم (أبي القاسم عبد الرحمن بن عبدالله بن الحكم بن أعين القرشي المصري) ت٢٥٧هـ/٨٦٧م: فتوح مصر وأخبارها، (صفحات من تاريخ مصر ١٠)، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ص٩٧.

١٨) البخاري: صحيح، مج٢،ج٥، ص٥١.، ابن سعد: الطبقات، ج١، صص٦٩-٧٠.

١٩) سورة الإسراء، الآية ٨١.

٢٠) ابن الأثير (عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد أبي عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني) ت ٦٣٠هـ/١٢٣٣م: الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ق١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ج٢، ص١٢٥.

٢١) حسن الباشا: مدخل، صص١٠٩- ١١٣.

٢٢) البخاري: صحيح، مج٢، ج٥، ص٥١.

٢٣) الزركشي: إعلام،ص٥٧.، حسن الباشا: مدخل، ص١١٣.، جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، مؤسسة دار الهلال، ١٩٦٨م، ط١، ص٦٩.

ويحدد ياقوت الحموي إرتفاع الجدار بقوله " دون القامة فكانت المصابيح توضع عليه ".

ياقوت الحموي: معجم، مج٥، ص١٢٤.

٢٤) ابن الأثير: الكامل، ج٢، صص٣٦٠- ٣٦١.

٢٥) الزركشي: إعلام، ص٥٢.

٢٦) زكي محمد حسن: فنون الإسلام، دار الرائد العربي، القاهرة، بيروت، صص٣٤٥- ٣٤٧.

٢٧) الزركشي: إعلام، ص٥٧.

٢٨) ابن الأثير: الكامل، ج٢، ص٤٦١.

٢٩) الطبري (أبي جعفر محمد بن جرير) ت ٣١٠هـ/٩٢٢م: تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، مج٢، ص٤٧٩.

٣٠) مجمع اللغة العربية: المعجم، ج٢، ص٦٨٥.

الفصل الثالث

الآثار المعمارية الإسلامية في عصر النبي ﷺ

عمارة المسجد بمكة والمدينة قبل الهجرة النبوية

الصلاة في شعاب مكة المكرمة(١)

أرسل الله تعالى محمداً ﷺ بالحنيفية السمحة، والشريعة الجامعة، التي تكفل للناس الحياة الكريمة المهذبة، والتي تصل بهم إلي أعلى درجات الرقي والكمال، وفي مدى ثلاثة وعشرين عاماً تقريباً، قضاها رسول الله ﷺ في دعوة الناس إلي الإسلام، تم له ما أراد من تبليغ الدين، وأجمع الناس عليه، جاء في صحيح البخاري فيما يتعلق بالفترة التي قضاها النبي ﷺ في مكة قبل الهجرة ثم في المدينة المنورة بعد الهجرة " حدثنا مطر بن الفضل حدثنا روح حدثنا هشام حدثنا عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال بعث رسول الله ﷺ لأربعين سنة فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه، ثم أمره بالهجرة فهاجر عشر سنين، ومات وهو ابن ثلاث وستين ".(٢)

وقد أورد ابن هشام في السيرة عند ذكره " جبريل يعلم الرسول – ﷺ – الوضوء والصلاة " ما نصه " قال ابن إسحاق: وحدثني بعض أهل العلم: أن الصلاة حين افترضت علي رسول الله ﷺ، أتاه جبريل وهو بأعلى مكة، فهمز له بعقبه في ناحية الوادي، فانفجرت منه عين، فتوضأ جبريل عليه السلام، ورسول الله ﷺ ينظر إليه، ليريه كيف الطهور للصلاة، ثم توضأ رسول الله – ﷺ – كما رأى جبريل توضأ، ثم قام به جبريل فصلى به، وصلى رسول الله – ﷺ – بصلاته.. فجاء رسول الله – ﷺ – خديجة، فتوضأ لها.. فتوضأت كما توضأ لها رسول الله – ﷺ – ، ثم صلى بها رسول الله ﷺ.. قال ابن اسحاق: وحدثني عتبة بن مسلم مولى بني تميم، عن نافع عن جبير بن مطعم، وكان نافع كثير الرواية، عن ابن عباس قال: لما افترضت الصلاة علي رسول الله ﷺ أتاه جبريل عليه السلام، فصلى به الظهر حتى مالت الشمس، ثم صلى به العصر حين كان ظله مثله ثم صلى به المغرب حين غابت الشمس، ثم صلى به العشاء الآخرة حين ذهب الشفق، ثم صلى به الصبح حين

طلع الفجر، ثم جاءه فصلى به الظهر من غد حين كان ظله مثله، ثم صلى به العصر حين كان ظله مثليه، ثم صلى به المغرب حين غابت الشمس لوقتها بالأمس، ثم صلى به العشاء الآخرة حين ذهب ثلث الليل الأول، ثم صلى به الصبح.. ثم قال: يا محمد، الصلاة فيما بين صلاتك اليوم وصلاتك بالأمس ".(٣)

ويضيف ابن هشام " قال ابن اسحاق: ثم كان أول ذكر من الناس آمن برسول الله ﷺ وصلى معه وصدق بما جاءه من الله تعالى: علي بن أبي طالب بن عبد المطلب ابن هاشم.. وكان مما أنعم الله به على علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أنه كان في حجر رسول الله ﷺ قبل الإسلام.. قال ابن اسحاق: وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة، وخرج معه علي بن أبي طالب ".(٤)

قال السيد سابق عند ذكره المساجد " مما اختص الله به هذه الأمة، أن جعل لها الأرض طهوراً ومسجداً، فأيما رجل من المسلمين أدركته الصلاة، فليصل حيث أدركته، قال أبو ذر: قلت: يا رسول الله، أي مسجد وضع في الأرض أولاً؟ قال:"المسجد الحرام". قلت: ثم أي؟ قال:" ثم المسجد الأقصى ". قلت: كم بينهما؟ قال:" أربعون سنة ". ثم قال: " أينما أدركتك الصلاة، فصل، فهو مسجد ". وفي رواية: " فكلها مسجد ". رواه الجماعة.(٥)

مسجد أبي بكر الصديق رضي الله عنه بمكة قبل الهجرة النبوية

أورد الزركشي كما تقدم " وعن عائشة رضي الله عنها قالت: أمر رسول الله ﷺ ببناء المساجد في الدور وأن تنظف وتطيب..".

ويحدثنا البخاري في صحيحه في موضعين عن بناء مسجد من قبل أبي بكر الصديق رضي الله عنه بفناء داره بمكة المكرمة قبل هجرة النبي ﷺ من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، حيث أورد "..ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجداً بفناء داره، وكان يصلي فيه، ويقرأ القرآن فينقذف عليه نساء المشركين وأبناؤهم، وهم يعجبون منه، وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلاً بكاءً، لايملك عينيه إذا قرأ القرآن وأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين فأرسلوا إلي ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا إنا قد أجرنا أبا بكر بجوارك علي أن يعبد ربه في داره، فقد جاوز ذلك، فابتنى مسجداً بفناء داره، فأعلن بالصلاة والقراءة فيه..".(٦)

وفي موضع آخر أورد البخاري في باب أفنية الدور والجلوس فيها والجلوس علي الصعدات " وقالت عائشة فابتنى أبو بكر مسجداً بفناء داره يصلي فيه ويقرأ القرآن فيتقصف عليه نساء المشركين وأبناؤهم يعجبون منه والنبي ﷺ يومئذ بمكة ".(٧)

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه قد رغب في الهجرة إلي أرض الحبشة، قال البخاري " حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل.. أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت لم أعقل أبوي قط، إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النهار بكرة وعشية، فلما ابتلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة حتى بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة..".(٨)

عمارة المساجد بالمدينة المنورة قبل الهجرة النبوية وفي أثنائها

شهدت المدينة المنورة عمارة المساجد قبل هجرة الرسول ﷺ وفي أثناءها شأنها في ذلك شأن مكة المكرمة، وفي هذا الصدد يحدثنا السمهودي عند ذكره دخول النبي ﷺ أرض المدينة، وتأسيس مسجد قباء عن عمارة المساجد بالمدينة، وذلك بقوله " وروى يونس بن بكير في زيادات المغازي عن المسعودي عن الحكم بن عتيبة قال: لما قدم النبي ﷺ فنزل بقباء قال عمار بن ياسر: مالرسول الله ﷺ بد من أن يجعل له مكاناً يستظل به إذا استيقظ ويصلي فيه، فجمع حجارة فبنى مسجد قباء، فهو أول مسجد بني، يعني لعامة المسلمين أو للنبي ﷺ بالمدينة، وهو في التحقيق أول مسجد صلى فيه بأصحابه جماعة ظاهراً، وإن كان قد تقدم بناء غيره من المساجد، فقد روى ابن أبي شبة عن جابر قال: لقد لبثنا بالمدينة قبل أن يقدم علينا رسول الله ﷺ سنتين نعمر المساجد ونقيم الصلاة، ولذا قيل: كان المتقدمون في الهجرة من أصحاب رسول الله ﷺ والأنصار بقباء قد بنوا مسجداً يصلون فيه، يعني هذا المسجد، فلما هاجر رسول الله ﷺ وورد قباء صلى بهم فيه إلي بيت المقدس، ولم يحدث فيه شيئاً: أي في مبدأ الأمر، لأن ابن شبة روى ذلك..".(٩)

وفي هذا الإطار يحدثنا السمهودي عن مسجد بناه أسعد بن زرارة في مربد (١٠) سهل وسهيل في موضع المسجد النبوي قبل هجرة الرسول ﷺ وتأسيس المسجد النبوي، وذلك بقوله " وفي كتاب يحيى ما يقتضي أن أسعد بن زرارة كان قد بنى بهذا المربد مسجداً قبل مسجد الرسول ﷺ، فإنه قال: حدثنا بكر ثنا محمد بن عمرثنا معاذ بن محمد عن يحيى بن عبدالله بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة قال: سمعت أم سعد بنت سعد بن الربيع تقول: أخبرتني النوار بنت مالك أم زيد بن ثابت أنها رأت أسعد بن زرارة قبل أن يقدم رسول الله ﷺ يصلي بالناس الصلوات الخمس، ويجمع بهم في مسجد بناه في مربد سهل وسهيل ابني رافع بن أبي عمرو بن

عائذ بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار، قالت: فانظر إلي رسول الله ﷺ لما قدم صلى بهم في ذلك المسجد وبناه، فهو مسجده اليوم ".(١١) .

وقد أورد ابن سعد مسجد أسعد بن زرارة عند ذكره بناء رسول الله، ﷺ، المسجد بالمدينة، وذلك بما نصه " أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثني معمر بن راشد عن الزهري قال: بركت ناقة رسول الله، ﷺ، عند موضع مسجد رسول الله، ﷺ، وهو يومئذ يصلي فيه رجال من المسلمين وكان مربداً لسهل وسهيل، غلامين يتيمين من الأنصار، وكانا في حجر أبي أمامة أسعد بن زرارة، فدعا رسول الله، ﷺ، بالغلامين.. حتى ابتاعه منهما.. وكان جداراً مجدراً ليس عليه سقف، وقبلته إلي بيت المقدس، وكان أسعد بن زرارة بناه فكان يصلي بأصحابه فيه ويجمع بهم فيه الجمعة قبل مقدم رسول الله، ﷺ ".(١٢)

وكان الرسول ﷺ قد أرسل مصعباً بن عمير إلي المدينة المنورة ليفقههم في الدين ويعلمهم الإسلام، فكان يصلي بهم، قال الطبري " حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن اسحاق، قال: فلما انصرف عنه القوم بعث معهم رسول الله ﷺ مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي، وأمره أن يقرئهم القرآن، ويعلمهم الإسلام، ويفقههم في الدين، فكان يسمى مصعب بالمدينة: المقرىء، وكان منزله علي أسعد بن زرارة ابن عدس أبي أمامة".(١٣)

أسس الرسول ﷺ مسجد قباء في أثناء هجرته من مكة المكرمة إلي المدينة المنورة، وهو المسجد الذي أسس علي التقوى، وصلى فيه ﷺ إلي بيت المقدس قبلة المسلمين الأولي، قال ابن هشام " مسجد قباء: قال ابن اسحاق: فأقام رسول الله - ﷺ - بقباء، في بني عمرو بن عوف.. وأسس مسجده ".(١٤)

وفي ذلك أورد السمهودي " وروى يونس بن بكير في زيادات المغازي عن المسعودي عن الحكم بن عتيبة قال: لما قدم النبي ﷺ فنزل بقباء قال عمار بن ياسر: مالرسول الله ﷺ بد من أن يجعل له مكاناً يستظل به إذا استيقظ ويصلي فيه، فجمع حجارة فبني مسجد قباء، فهو أول مسجد بني، يعني لعامة المسلمين أو للنبي

ﷺ بالمدينة، وهو في التحقيق أول مسجد صلى فيه بأصحابه جماعة ظاهراً، وإن كان قد تقدم بناء غيره من المساجد، فقد روى ابن أبي شبة عن جابر قال: لقد لبثنا بالمدينة قبل أن يقدم علينا رسول الله ﷺ سنتين نعمر المساجد ونقيم الصلاة، ولذا قيل: كان المتقدمون في الهجرة من أصحاب رسول الله ﷺ والأنصار بقباء قد بنوا مسجداً يصلون فيه، يعني هذا المسجد، فلما هاجر رسول الله ﷺ وورد قباء صلى بهم فيه إلي بيت المقدس، ولم يحدث فيه شيئاً، أي في مبدأ الأمر، لأن ابن شبة روى ذلك، ثم روى أنه ﷺ بنى مسجد قباء وقدم القبلة إلي موضعها اليوم، وقال: جبريل يؤم بي البيت، وقد اختلف في المراد بقوله تعالى " لمسجد أسس على التقوى من أول يوم " فالجمهور علي أن المراد به مسجد قباء، ولا ينافيه قوله ﷺ لمسجد المدينة " هو مسجدكم هذا " إذ كل منهما أسس علي التقوى".(١٥)

قال تعالى في سورة التوبة ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقۡوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٍ خَيۡرٌ أَم مَّنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٖ فَٱنۡهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.(١٦)

وقد ورد في باب مسجد قباء في صحيح البخاري " حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن علية أخبرنا أيوب عن نافع أن ابن عمر رضي الله عنهما كان لا يصلي من الضحى إلا في يومين يوم يقدم بمكة فإنه كان يقدمها ضحى فيطوف بالبيت ثم يصلي ركعتين خلف المقام ويوم يأتي مسجد قباء فإنه كان يأتيه كل سبت فإذا دخل المسجد كره أن يخرج منه حتى يصلي فيه قال وكان يحدث أن رسول الله ﷺ كان يزوره راكباً وماشياً قال وكان يقول إنما أصنع كما رأيت أصحابي يصنعون

ولا أمنع أحداً أن يصلي في أي ساعة شاء من ليل أو نهار غير أن لا تتحروا طلوع الشمس ولا غروبها ".(١٧)

كما أورد البخاري في باب من أتى مسجد قباء كل سبت " حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا عبد العزيز بن مسلم عن عبدالله بن دينار عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كان النبي ﷺ يأتي مسجد قباء كل سبت ماشياً وراكباً، وكان عبدالله رضي الله عنه يفعله ".(١٨)

أما فيما يتعلق بمسجد الضرار الذي ورد ذكره في الآيات القرآنية التي تقدم ذكرها عند ذكر مسجد قباء فقد ذكره ابن هشام في السيرة، فقال " قال ابن إسحاق: ثم أقبل رسول الله ﷺ حتى نزل بذي أوان بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار، وكان أصحاب مسجد الضرار قد كانوا أتوه وهو يتجهز إلي تبوك، فقالوا: يا رسول الله، إنا قد بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية، وإنا نحب أن تأتينا، فتصلي لنا فيه، فقال: " إني علي جناح سفر، وحال شغل "، أو كما قال ﷺ: " ولو قد قدمنا إنشاء الله لأتيناكم، فصلينا لكم فيه ". فلما نزل بذي أوان، أتاه خبر المسجد، فدعا رسول الله ﷺ مالك بن الدخشم، أخا بني سالم ابن عوف، ومعن بن عدي، أو أخاه عاصم بن عدي، أخا بني العجلان فقال:" انطلقا إلي هذا المسجد الظالم أهله، فاهدماه وحرقاه ".. وكان الذين بنوه اثنى عشر رجلا: خذام بن خالد، من بني عبيد بن زيد، أحد بني عمرو بن عوف، ومن داره أخرج مسجد الشقاق، وثعلبة بن حاطب من بني أمية بن زيد، ومعتب بن قشير، من بني ضبيعة بن زيد، وأبو حبيبة بن الأزعر، من بني ضبيعة بن زيد، وعباد بن حنيف، أخو سهل بن حنيف، من بني عمرو بن عوف، وجارية بن عامر، وابناه مجمع ابن جارية، وزيد بن جارية، ونبتل بن الحارث، من بني ضبيعة، وبحزج، من بني ضبيعة، وبجاد بن عثمان، من بني ضبيعة، ووديعة بن ثابت، وهو من بني أمية بن زيد رهط أبي لبابة بن عبدالمنذر ".(١٩)

مسجد وادي رانوناء

أورد لنا ابن هشام في السيرة مسجداً في بطن وادي رانوناء عند ذكره خروج الرسول ﷺ من قباء يريد المدينة المنورة، حيث قال " ثم أخرجه الله من بين أظهرهم يوم الجمعة.. فأدركت رسول الله ﷺ الجمعة في بني سالم بن عوف، فصلاها في المسجد الذي في بطن الوادي، وادي رانوناء، فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة".(٢٠)

وفي ذلك أورد الطبري عند ذكره ما كان من الأمور المذكورة في أول سنة من الهجرة " فمن ذلك تجميعه ﷺ بأصحابه الجمعة، في اليوم الذي ارتحل فيه من قباء، وذلك أن ارتحاله عنها كان يوم الجمعة عامداً المدينة، فأدركته الصلاة، صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف، ببطن واد لهم – قد اتخذ اليوم في ذلك الموضع مسجداً – فيما بلغني – وكانت هذه الجمعة، أول جمعة جمعها رسول الله ﷺ في الإسلام، فخطب في هذه الجمعة، وهي أول خطبة خطبها بالمدينة فيما قيل ".(٢١) (خريطة ٣)

وفي ذلك أورد ياقوت الحموي أيضاً عند ذكره رانوناء ".. قال ابن اسحاق في السيرة: لما قدم النبي، ﷺ، المدينة أقام بقباء أربعة أيام وأسس مسجده علي التقوى وخرج منها يوم الجمعة فأدركت رسول الله، ﷺ، الجمعة في بني سالم بن عوف وصلاها في المسجد.الذي في بطن الوادي وادي رانوناء، وكانت أول جمعة صلاها بالمدينة، وهذا لم أجده في غير كتاب ابن اسحاق الذي لخصه ابن هشام، وكل يقول صلى بهم في بطن الوادي في بني سالم، ورانوناء بوزن عاشوراء وخابوراء ".(٢٢)

قال السمهودي " فخرج ﷺ من قباء، فعرض له قبائل الأنصار كلهم يدعوه ويعدوه النصرة والمنعة، فيقول: خلوها فإنها مأمورة، حتى أدركته الجمعة في بني سالم، فصلى في بطن الوادي الجمعة وادي ذي صلب. قلت: قيل كانت هذه أول جمعة صلاها رسول الله ﷺ بالمدينة، وقيل: إنه كان يصلي الجمعة في مسجد قباء في إقامته هناك، والله أعلم ".(٢٣)

المسجد النبوي بالمدينة المنورة

يشير الشهري (٢٤) إلي أن بشائر هذا الحدث المعماري العظيم المتمثل في المسجد النبوي بدأت عندما اختار الله تعالى لرسوله ﷺ يثرب (المدينة المنورة) داراً لمهاجره، قال البخاري في صحيحه في باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلي المدينة " وحدثني الأوزاعي عن عطاء بن أبي رباح قال زرت عائشة مع عبيد بن عمير الليثي فسألناها عن الهجرة فقالت لا هجرة اليوم كان المؤمنون يفر أحدهم بدينه إلي الله تعالى وإلي رسوله ﷺ مخافة أن يفتن عليه، فأما اليوم فقد أظهر الله الإسلام، واليوم يعبد ربه حيث شاء، ولكن جهاد ونية ".(٢٥)

ويحدثنا ابن هشام في السيرة عن خروجه ﷺ من وادي بني سالم إلي المدينة المنورة (خريطة ٣) بقوله " فأتاه عتبان بن مالك، وعباس بن عبادة بن نضلة في رجال من بني سالم بن عوف، فقالوا: يا رسول الله. أقم عندنا في العدد والعدة والمنعة، قال: " خلوا سبيلها، فإنها مأمورة"، لناقته: فخلوا سبيلها، فانطلقت حتى إذا وازنت دار بني بياضة، تلقاه زياد بن لبيد، وفروة بن عمرو، في رجال من بني بياضة فقالوا: يا رسول الله: هلم إلينا، إلي العدد والعدة والمنعة، قال: خلوا سبيلها فإنها مأمورة، فخلوا سبيلها. فانطلقت، حتى إذا مرت بدار بني ساعدة، اعترضه سعد بن عبادة، والمنذر بن عمرو، في رجال من بني ساعدة، فقالوا: يا رسول الله، هلم إلينا إلي العدد والعدة والمنعة، قال: " خلوا سبيلها، فإنها مأمورة"، فخلوا سبيلها، فانطلقت، حتى إذا وازنت دار بني الحارث بن الخزرج، اعترضه سعد بن الربيع، وخارجة بن زيد، وعبدالله بن رواحة، في رجال من بني الحارث بن الخزرج، فقالوا: يا رسول الله هلم إلينا إلي العدد والعدة والمنعة قال: " خلوا سبيلها، فإنها مأمورة "، فخلوا سبيلها. فانطلقت حتى إذا مرت بدار بني عدي بن النجار، وهم أخواله دنْيا - أم عبد المطلب، سلمى بنت عمرو إحدى نسائهم – اعترضه سليط بن قيس، وأبو سليط، أسيرة بن أبي خارجة، في رجال من بني عدي بن النجار، فقالوا. يارسول الله، هلم إلي أخوالك، إلي العدد والعدة والمنعة، قال، " خلوا سبيلها فإنها مأمورة "، فخلوا

سبيلها، فانطلقت. مبرك الناقة: حتى إذا أتت دار بني مالك بن النجار، بركت علي باب مسجده ﷺ، وهو يومئذ مربد لغلامين يتيمين من بني النجار، ثم من بني مالك ابن النجار، وهما في حجر معاذ بن عفراء، سهل وسهيل ابني عمرو. فلما بركت، ورسول الله – ﷺ – عليها لم ينزل، وثبت فصارت غير بعيد ورسول الله – ﷺ – واضع لها زمامها لا يثنيها به، ثم التفتت إلي خلفها، فرجعت إلي مبركها أول مرة، فبركت فيها، ثم تحلحلت ورزمت وألقت بجرانها فنزل عنها رسول الله – ﷺ – ، فاحتمل أبو أيوب خالد بن زيد رحله، فوضعه في بيته، ونزل عليه رسول الله –ﷺ– ، وسأل عن المربد لمن هو؟ فقال له معاذ بن عفراء: هو يا رسول الله لسهل وسهيل ابني عمرو وهما يتيمان لي، وسأرضيهما منه، فاتخذه مسجداً: مسجد المدينة قال: فأمر به رسول الله - ﷺ - أن يبنى مسجداً، ونزل رسول الله - ﷺ - علي أبي أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه ".(٢٦)

"عن الزهري أنها بركت عند مسجد الرسول ﷺ، وهو يومئذ يصلي فيه رجال من المسلمين، وكان مربداً لغلامين يتيمين في حجر أسعد بن زرارة، فقال رسول الله ﷺ حين بركت راحلته: هذا إن شاء الله المنزل، وقال: اللهم أنزلنا منزلا مباركا وأنت خير المنزلين، قاله أربع مرات ".(٢٧)

ويضيف السمهودي " وتقدم أن أبا أيوب قال: هو ليتيمين لي، وأنا أرضيهما، فأرضاهما، وكذلك معاذ بن عفراء، فيكون ذلك بعد الشراء. ويحتمل أن كلا من أسعد وأبي أيوب وابن عفراء أرضى اليتيمين بشيء، فنسب ذلك لكل منهم".(٢٨)

ويحدثنا السمهودي عن مكان المسجد النبوي فيقول " وفي كتاب يحيى ما يقتضي أن أسعد بن زرارة كان قد بنى بهذا المربد مسجداً قبل مسجد الرسول ﷺ، فإنه قال: حدثنا بكر ثنا محمد بن عمر ثنا معاذ بن محمد عن يحيى بن عبدالله بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة قال: سمعت أم سعد بنت سعد بن الربيع تقول: أخبرتني النوار بنت مالك أم زيد بن ثابت أنها رأت أسعد بن زرارة قبل أن يقدم رسول

الله ﷺ يصلي بالناس الصلوات الخمس، ويجمع بهم في مسجد بناه في مربد سهل وسهيل ابني رافع بن أبي عمرو بن عائذ ابن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار، قالت: فأنظر إلي رسول الله ﷺ لما قدم صلى بهم في ذلك المسجد وبناه، فهو مسجده اليوم".(٢٩) .

كما يحدثنا السمهودي عن تمهيد الموقع من قبل الرسول ﷺ لبناء مسجده بقوله ".. فأمر رسول الله ﷺ بالنخل التي في الحديقة وبالغرقد أن يقطع، وكان فيه قبور جاهلية، فأمر بها فنبشت، وأمر بالعظام أن تغيب، وكان في المربد ماء مسحل فسيره حتى ذهب – والمسحل: ممشى ماء المطر".(٣٠)

وقد ورد في صحيح البخاري في " باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد لقول النبي ﷺ لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، وما يكره من الصلاة في القبور ورأى عمر أنس بن مالك يصلي عند قبر فقال القبر القبر ولم يأمره بالإعادة.. حدثنا مسدد قال حدثنا عبد الوارث عن أبي التياح عن أنس قال قدم النبي ﷺ المدينة فنزل أعلى المدينة في حي يقال لهم بنو عمرو بن عوف فأقام النبي ﷺ فيهم أربع عشرة ليلة ثم أرسل إلي بني النجار فجاؤا متقلدي السيوف كأني أنظر إلي النبي ﷺ علي راحلته وأبو بكر ردفه وملأ بني النجار حوله حتى ألقى بفناء أبي أيوب وكان يحب أن يصلي حيث أدركته الصلاة ويصلي في مرابض الغنم وأنه أمر ببناء المسجد فأرسل إلي ملإ من بني النجار فقال يابني النجار ثامنوني بحائطكم هذا قالوا لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلي الله فقال أنس فكان فيه ما أقول لكم قبور المشركين وفيه خرب وفيه نخل فأمرالنبي ﷺ بقبور المشركين فنبشت ثم بالخرب فسويت وبالنخل فقطع فصفوا النخل قبلة المسجد وجعلوا عضادتيه الحجارة وجعلوا ينقلون الصخر وهم يرتجزون والنبي ﷺ معهم وهو يقول

اللهم لا خير إلا خير الآخره فاغفر للأ نصار والمهاجره (٣١)

ويرجح الشهري (٣٢) أن الرسول ﷺ قد صلي العصر بالمسلمين في المدينة المنورة، وبالتحديد في موضع المسجد الذي اتخذه أسعد بن زرارة وتقدم ذكره في

مريد سهل وسهيل قبل مقدم رسول الله ﷺ، وذلك إستناداً إلي النص الذي أورده السمهودي وتقدم ذكره "... فأنظر إلي رسول الله ﷺ لما قدم صلي بهم في ذلك المسجد وبناه، فهو مسجده اليوم".

بدأت عمارة المسجد النبوي عقب عملية تمهيد الأرض مباشرة بتقريب الأحجار من حرار المدينة، وإعداد اللبن من " بقيع الخبخبة ناحية بئر أبي أيوب بالمناصع والخبخبة: شجرة كانت تنبت هناك "، وكان إبتداء بنيان المسجد في شهر ربيع الأول من السنة الأولي للهجرة (٦٢٢م)، وقد باشر الرسول ﷺ العمل فيه بنفسه، فقد أورد السمهودي عند ذكره سرد خصائص المدينة " الحادية والعشرون: تأسيس مسجدها الشريف علي يده ﷺ، وعمله فيه بنفسه، ومعه خير الأمة المهاجرون الأولون والأنصار المقدمون ".(٣٣)

وفي ذلك أورد ابن سعد في موضعين مشاركة النبي ﷺ في بناء المسجد من جهة وبناء المساجد بشكل عام من قبل المسلمين من جهة أخري، فقد أورد في الموضع الأول عند ذكره بناء رسول الله ﷺ، المسجد بالمدينة " وأسسوا المسجد.. وجعلوا الأساس قريباً من ثلاثة أذرع علي الأرض بالحجارة ثم بنوه باللبن، وبني رسول الله، ﷺ، وأصحابه، وجعل ينقل معهم الحجارة بنفسه ويقول:

اللهم لا عيش إلا عيش الآخره فاغفر للأنصار والمهاجره

وجعل يقول:

هذا الحمال لا حمال خيبر هذا أبر، ربنا، وأطهر (٣٤)

وفي الموضع الآخر أورد عند ذكره عمار بن ياسر " قال: أخبرنا عبدالله بن نمير عن الأجلح عن عبدالله بن أبي الهذيل قال: لما بني رسول الله، ﷺ، مسجده جعل القوم يحملون وجعل النبي، ﷺ، يحمل هو وعمار، فجعل عمار يرتجز ويقول:

نحن المسلمون نبتني المساجدا

وجعل رسول الله، ﷺ، يقول: المساجدا.(٣٥)

فلسفة اختيار موقع المسجد

رأي الرسول ﷺ أن يتوسط المسجد المدينة المنورة لكي يكون نواة العاصمة والحاضرة الأولي للدولة الإسلامية الناشئة من جهة، ولكي يحقق الغرض الأساسي من إقامته وإنشائه وهو إقامة الصلاة لجماعة المسلمين، فضلاً عن كونه مكاناً للعبادة وتلاوة القرآن، وطلب العلم، ومدارسة العلماء، واستعراض ما يستجد علي المجتمع الإسلامي من جهة أخري، وهو الأمر الذي يتضح جلياً في نص ابن النجار " وعن أبي عمرو بن جحاش قال: إختار رسول الله ﷺ المنازل فنزل في منزله ومسجده فأراد أن يتوسط الأنصار كلها فأحدقت به الأبصار ".(٣٦)

ولقد جاء في شروط ابن أبي الربيع (٣٧)لإنشاء المدن قوله بعد أن ساق شروطاً " وأن يبني فيها جامعا للصلاة في وسطها ليقرب علي جميع أهلها " وهو الأمر الذي يتضح في ضوئه أن هذا التقليد يعد إمتداداً لموقع المسجد النبوي بالمدينة المنورة، وذلك ليكون المسجد الجامع قريباً من المسلمين جميعاً، وليمثل قلب المدينة النابض الذي تتصل به الطرق الرئيسية والفرعية والأزقة.

وفي ذلك أورد السمهودي " وفي رواية لابن زبالة: اختار رسول الله ﷺ علي عينه، فنزل منزله وتخيره، وأراد أن يتوسط الأنصار كلها. قال المطري: وهو غير مناف لما تقدم من قوله " دعوها فإنها مأمورة "، لأن الله اختار له ما كان يختار لنفسه. وفرح أهل المدينة بمقدمه ﷺ إليهم فرحا شديدا ".(٣٨)

إرساء قاعدة إسناد الصنائع إلي أصحابها

قام الرسول ﷺ بإرساء قاعدة تعد من أهم القواعد التي ترتكز عليها الحضارات الإنسانية علي الإطلاق سواء في نشأتها ونموها وإزدهارها أو في تدهورها عبر العصور، وهي قاعدة إسناد الصنائع إلي أصحابها، وذلك عند عمارة المسجد النبوي، وهو الأمر الذي يتضح جلياً فيما أورده السمهودي ونصه " ونقل المجد عن رواية محمد بن سعد نحوه، قال: وجاء رجل يحسن عجن الطين، وكان من حضرموت، فقال رسول الله ﷺ: رحم الله امرأ أحسن صنعته، وقال له: الزم أنت هذا الشغل فإني أراك تحسنه ".(٣٩)

كما نقل " وفي كتاب يحيى من طريق ابن زبالة عن الزهري: كان رجل من أهل اليمامة يقال له طلق من بني حنيفة يقول: قدمت علي النبي ﷺ وهو يبني مسجده، والمسلمون يعملون فيه معه، وكنت صاحب علاج وخلط طين، فأخذت المسحاة أخلط الطين والنبي ﷺ ينظر إلي ويقول: إن هذا الحنفي لصاحب طين. وروى أحمد عن طلق بن علي قال: بنيت المسجد مع النبي ﷺ، فكان يقول: قربوا اليمامي من الطين فإنه أحسنكم له مسكا وأشدكم منكبا ".(٤٠)

وقد حث القرآن الكريم في العديد من الآيات المسلمين علي أن تتسم أعمالهم بالخير والدقة والإتقان، نذكر من هذه الآيات علي سبيل المثال قوله عز وجل في سورة الأنعام ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ۝٣ ﴾.(٤١)

وقوله عز وجل في سورة التوبة ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.(٤٢)

وقوله عز وجل في سورة يونس ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن

مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾.(٤٣)

وقوله عز وجل في سورة الإسراء ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ ﴾.(٤٤)

وقوله عز وجل في سورة النمل ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾.(٤٥)

وجاء في صحيح البخاري في " باب من سئل علماً وهو مشتغل في حديثه فأتم الحديث ثم أجاب السائل، حدثنا محمد بن سنان قال حدثنا فليح وحدثني إبراهيم ابن المنذر قال حدثنا محمد بن فليح قال حدثني أبي قال حدثني هلال بن علي عن عطاء ابن يسار عن أبي هريرة قال بينما النبي ﷺ في مجلس يحدث القوم جاءه أعرابي فقال متى الساعة فمضى رسول الله ﷺ يحدث فقال بعض القوم سمع ما قال فكره ما قال وقال بعضهم بل لم يسمع حتى إذا قضى حديثه قال أين أراه السائل عن الساعة قال ها أنا يا رسول الله قال فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة قال كيف إضاعتها قال إذا وسد الأمر إلي غير أهله فانتظر الساعة ".(٤٦)

وتتأكد قاعدة التخصص في المهن والصنائع في عصر النبي ﷺ فيما أورده ابن هشام في السيرة بالنسبة للمتخصصين في شق الأرض ليجعلوها ضريحاً وذلك عند ذكره دفن رسول الله ﷺ بما نصه " القبر: قال ابن اسحاق: وحدثني حسين بن عبدالله، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: لما أرادوا أن يحفروا لرسول الله ﷺ، وكان أبو عبيدة بن الجراح يضرح كحفر أهل مكة، وكان أبو طلحة زيد بن سهيل هو الذي يحفر لأهل المدينة، (وكان) يلحد، فدعا العباس رجلين، فقال لأحدهما: اذهب إلي أبي عبيدة بن الجراح، وللآخر اذهب إلي أبي طلحة، اللهم خر لرسول الله ﷺ، فوجد صاحب أبي طلحة أبا طلحة، فجاء به، فلحد لرسول الله ﷺ".(٤٧)

عمارة المسجد النبوي في المرحلة الأولى (شكل ٣)

اهتم الرسول ﷺ بأمر بناء المسجد وتعيين اتجاه القبلة بمساعدة جبريل عليه السلام، جاء في إعلام الساجد فيما يتعلق بمصلاه، أو محرابه ﷺ " لا يجتهد في محراب رسول الله ﷺ لأنه، صواب قطعا. إذ لا يقر علي خطأ فلا مجال للإجتهاد فيه حتى لا يجتهد فيه باليمنة واليسرة بخلاف محاريب المسلمين، والمراد بمحرابه ﷺ مكان مصلاه فإنه لم يكن في زمنهِ عليه السلام محراب. قال الرافعي: وفي معنى المدينة سائر البقاع التي صلى فيها رسول الله ﷺ إذا ضبط المحراب.. وفي ضبطه عسر أو تعذر.. ".(٤٨)

وقد صلى الرسول ﷺ في هذه المرحلة إلي بيت المقدس، أي في الجهة الشمالية، وكان المسجد لا يشتمل علي محراب، بل علي موضع مصلاه ﷺ الذي كان مقابلاً لوسط الصف، فقد ورد استحباب وقوف الإمام مقابلاً لوسط الصف " لحديث أبي هريرة، أن النبي ﷺ قال: " وسطوا الإمام، وسدوا الخلل ". رواه أبو داود، وسكت عنه هو والمنذري(٤٩)، وورد في إعلام الساجد أيضاً " سمي موقف الإمام من المسجد محرابا، لأنه أشرف المجالس في المسجد، ومنه قيل للقصر: محراب، لأنه أشرف المنازل، وقال أحمد بن عبيد: المحراب مجلس الملك، سمي بذلك لانفراد الملك فيه، ولتباعد الناس فيه وكذلك محراب المسجد لانفراد الإمام فيه، وقيل: المحراب موضع مستقبل الصلاة، سمي بذلك لأن المصلي بطاعة الله محارب لأعدائه، أو للشيطان ".(٥٠)

المحراب لغة " الغرفة. وفسر به قوله تعالي:" فخرج علي قومه من المحراب ". و- القصر. وفي التنزيل العزيز: " يعملون له ما يشاء من محاريب ". و- صدر البيت وأكرم موضع فيه. و- مقام الإمام من المسجد. ويقال: رجل محراب: خبير بالحرب شجاع. (ج) محاريب ".(٥١)

وقد ورد لفظ المحراب في القرآن الكريم في أكثر من موضع علي النحو التالي:

قال الله تعالي في سورة آل عمران ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾.(٥٢)

وقوله عز وجل في سورة آل عمران ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ (٥٣)

وقوله عز وجل في سورة مريم ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ ﴾(٥٤)

وقوله عز وجل في سورة ص ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴾.(٥٥)

أما لفظ محاريب فقد ورد في القرآن الكريم في سورة سبإ ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾.(٥٦)

هذا فيما يتعلق بإتجاه القبلة وموضع مصلاه ﷺ في المسجد النبوي أما فيما يتعلق بعمارة المسجد فقد جاءت بسيطة تتفق وطبيعة الدولة الإسلامية الناشئة من مختلف جوانبها الدينية والسياسية والإقتصادية والإجتماعية، حيث جاء المسجد النبوي من مساحة مستطيلة أغلب الظن مكشوفة، أي غير مسقوفة، تمتد من الشرق إلي الغرب كما يذكر الشهري(٥٧) بمقدار ٦٣ ذراعاً (٣١,٥م تقريباً)، ومن الشمال إلي الجنوب بمقدار ٥٤ ذراعاً، وثلثا ذراع (٢٧,١٦م تقريباً)، تحددها أربعة جدران (جدر) بارتفاع قامة أو بسطة، وتتمثل في جدار القبلة الذي يعد أهم جدران المسجد، وكان يمتد من الشرق إلي الغرب في اتجاه بيت المقدس (الجهة الشمالية)

قبلة المسلمين الأولي، ثم يقابله ويوازيه جدار آخر يماثله في الجهة الجنوبية، أما الجداران الشرقي والغربي فيمتدان من الشمال إلي الجنوب بهيئة متعامدة من طرفي الجدار الشمالي (جدار القبلة) علي طرفي الجدار الجنوبي.(شكل ٣)

وقد شيدت هذه الجدران في أساسها بالحجر المحفور له في باطن الأرض إلي ارتفاع ثلاثة أذرع (١,٥٠م تقريباً)، وبنيت الجدران أعلي الأساسات باللبن، لبنة فوق لبنة، وهو الأمر الذي يتضح جلياً في نص ابن النجار " وجعلوا أساس المسجد من الحجارة، وبنوا باقيه من اللبن "(٥٨)، وقد اشتمل المسجد علي ثلاثة مداخل، قال ابن سعد " وجعلوا الأساس قريباً من ثلاثة أذرع علي الأرض بالحجارة ثم بنوه باللبن.. وجعل قبلته إلي بيت المقدس. وجعل له ثلاثة أبواب: باباً في مؤخره، وباباً يقال له باب الرحمة، وهو الباب الذي يدعي باب عاتكة، والباب الثالث الذي يدخل فيه رسول الله، ﷺ، وهو الباب الذي يلي آل عثمان، وجعل طول الجدار بسطة ".(٥٩)

تمثل عمارة المسجد النبوي علي هذا النحو المرحلة الأولي، وهي العمارة التي تعد أكثر تنسيقاً وتطوراً عن عمارة المسجد بالمدينة المنورة قبل الهجرة النبوية إلي المدينة المنورة (مسجد أسعد بن زرارة) والذي وصف كما تقدم " وكان جداراً مجدراً ليس عليه سقف، وقبلته إلي بيت المقدس، وكان أسعد بن زرارة بناه "، وقد جاءت هذه المرحلة نتاجاً للتأثيرين العقائدي والبيئي سواء من حيث مواد البناء أو الأسلوب المعماري.

عمارة المسجد النبوي في المرحلة الثانية

في مرحلة أخري تلت المرحلة السابقة ذكر الشهري أن طول المسجد النبوي كان من سبعين ذراعاً، وعرضه أكثر من ستين ذراعاً، وارتفاعه كان عبارة عن قامة وشئ، ونوع البناء لبنة ونصف، وأرضه مكشوفة، وفي ذلك أورد ابن النجار " ثم إن المسلمين كثروا فبنوه لبنة ونصفاً ".(٦٠)

وفي ذلك أورد السمهودي " عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: كان بناء مسجد رسول الله ﷺ بالسميط لبنة علي لبنة، ثم بالسعيدة لبنة ونصف أخري ".(٦١)

ويتناول السمهودي في النص السابق عمارة المسجد النبوي في المرحلتين الأولي والثانية، ويري الشهري(٦٢) أن الزيادة التي تمت في المرحلة الثانية لم تؤثر علي عمارة المسجد، حيث ظل عبارة عن مساحة مستطيلة مكشوفة، أي غير مسقوفة، تحددها أربعة جدران لحفظ حرمة المسجد، بنيت في أساسها بالحجر وفي أعلا الأساسات باللبن، وتشتمل الجدران علي ثلاثة أبواب أحدها في مؤخر المسجد، أي الجدار المقابل لجدار القبلة، والثاني والثالث في الجدارين الشرقي والغربي بواقع باب في كل جدار، وظلت القبلة في الجهة الشمالية، أي جهة بيت المقدس.

عمارة المسجد النبوي في المرحلة الثالثة

تظليل مكان الصلاة "ظلة القبلة" (شكل ٤)

شهدت المرحلة الثالثة التي مر بها المسجد النبوي في عصر النبي ﷺ تطور تخطيط المسجد، حيث قام المسلمون بفعل العوامل البيئية المتمثلة علي وجه التحديد في شدة الحر وبعد إستئذان النبي ﷺ بتظليل مكان الصلاة، أي عمل ظلة للقبلة تقيهم شدة الحر، ومن ثم تغير تخطيط المسجد من مساحة مكشوفة في المرحلتين السابقتين محددة بأربعة جدران إلي صحن مكشوف وظلة للقبلة في هذه المرحلة " الثالثة "، والصحن لغة " ساحة وسط الدار أو المسجد. و- الأرض الواسعة المنبسطة لا شجر فيها. (ج) صحون "، قال ابن النجار " وكان عرض الحائط لبنة، ثم إن المسلمين كثروا فبنوه لبنة ونصفاً ثم قالوا: يا رسول الله لو أمرت فزيد فيه. قال: نعم. فأمر به فزيد فيه وبني جدار لبنتين مختلفتين، ثم اشتد عليهم الحر فقالوا: يا رسول الله لو أمرت بالمسجد فظلل، قال: نعم. فأمر به فأقيم له سواري من جذوع النخل شقة ثم شقة ثم طرحت عليها العوارض والخصف والأذخر، وجعل وسطه رحبة فأصابتهم الأمطار فجعل يكف عليهم، فقالوا: يارسول الله لو أمرت بالمسجد يعمر فطين، فقال ﷺ لهم: " عريش كعريش موسي ثمام وخشيبات والأمر أعجل من ذلك " فلم يزل كذلك حتي قبض ﷺ ".(٦٣)

وفي ذلك نقل السمهودي " وفي كتاب رزين ما لفظه عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: كان بناء مسجد رسول الله ﷺ بالسميط لبنة علي لبنة، ثم بالسعيدة لبنة ونصف أخرى، ثم كثروا فقالوا: يا رسول الله لو زيد فيه، ففعل، فبنى بالذكر والأنثى، وهي لبنتان مختلفتان، وكانوا رفعوا أساسه قريباً من ثلاثة أذرع بالحجارة.. وفي رواية جعفر: ولم يسطح، فشكوا الحر فجعلوا خشبه وسواريه جذوعا، وظللوا بالجريد ثم بالخصف، فلما وكف عليهم طينوه بالطين وجعلوا وسطه رحبة وكان جداره قبل أن يظلل قامة وشيئاً ".(٦٤)

مما تقدم يتضح سواء في نص ابن النجار أو فيما أورده السمهودي وجود ثلاث

مراحل، وقد تقدم ذكر المرحلة الأولي والثانية، وما يعنينا هنا المرحلة الثالثة التي شيد الجدار فيها من لبنتين مختلفتين أو معترضتين نظراً لما يتطلبه تسقيف المسجد من متانة في البناء، ثم أعقب ذلك تظليل مكان الصلاة بفعل العوامل البيئية التي تقدم ذكرها من خلال سواري من جذوع النخل عليها العوارض والخصف والأذخر، ثم نتيجة الأمطار تم استخدام الطين في تغشيتها حتي لا يقطر السقف، ومن ثم تكون العوامل البيئية لها التأثير الأول والمباشر في تطور تخطيط المسجد النبوي، وكان إستخدام السواري من جذوع النخل علي مسافات منتظمة من الناحيتين الأفقية والرأسية حتي يمكن وضع العوارض وربطها بجدران المسجد، ويري أحمد فكري (٦٥) أن ظلة القبلة في الجهة الشمالية كانت تتكون أغلب الظن من ثلاث بلاطات تفصلها ثلاثة صفوف من جذوع النخل، وهي بلاطات موازية تنقسم إلي بلاطات عمودية بالنسبة لجدار القبلة، وتصميم المسجد علي هذا النحو يعد تصميما جديداً أملته العوامل البيئية من جهة، وفكر الرسول ﷺ من جهة أخري، فقد آثر الرسول ﷺ أن لا يقتبس أفكاراً لتخطيط مسجده من المعابد القديمة أو الكنائس كما فعل الرومان والمسيحيون من قبل، وهو الأمر الذي يعكس بوضوح فكراً جديداً استمده الرسول ﷺ والمسلمون من روح العقيدة الإسلامية من جهة، والبيئة العربية من جهة أخري.

لفظ الظلة لغة وفي القرآن الكريم

تغير تخطيط المسجد النبوي بعد عمارته في المرحلة الثالثة إلي صحن مكشوف يقع بالجهة الجنوبية، وظلة للقبلة تقع بالجهة الشمالية، أي جهة بيت المقدس قبلة المسلمين الأولي (شكل٤)، وقد أخذنا لفظة ظلة هنا من ابن النجار في نصه الذي تقدم ذكره " ثم اشتد عليهم الحر فقالوا: يارسول الله لو أمرت بالمسجد فظلل "، ومن نص السمهودي الذي تقدم ذكره " فشكوا الحر فجعلوا خشبه وسواريه جذوعا، وظللوا بالجريد ثم بالخصف ".

والظلة لغة من " (ظلل).. وظلل الله عليهم الغمام، وظلله من الشمس. وظلل

الرسم: جعل في أجزاءه ظلالاً متفاوتة النصيب من الإضاءة والظل والإعتام.. (تظلل) بالشئ: كان في ظله واكتن به. ويقال: تظلل من الشمس. (استظل): تظلل. ويقال: استظل بالظل: مال إليه وقعد فيه.. (الظلال): ما أظلك.. (الظلة): ما أظلك من شجر وغيره. و- المظلة. (ج) ظلل ".(٦٦)

وورد لفظ ظلة في القرآن الكريم في قوله عز وجل في سورة الأعراف ﴿ ۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾.(٦٧)

عمارة المسجد النبوي في المرحلة الرابعة

تحويل القبلة من جهة بيت المقدس إلي مكة المكرمة (شكل ٥)

كان لتحويل القبلة من بيت المقدس في الجهة الشمالية إلي مكة المكرمة في الجهة الجنوبية أثره في تعديل الشكل العام لتخطيط المسجد النبوي، حيث أصبح أغلب الظن من صحن مكشوف وظلتين إحداهما في الجهة الجنوبية والأخري في الجهة الشمالية، غير أنه لم يحدث أي تعديل في الوظيفة، حيث كانت الظلة الأولي أو القديمة أو الشمالية قبل تحويل القبلة هي المخصصة للصلاة، ثم أصبحت الظلة الثانية أو المستحدثة أو الجنوبية بعد تحويل القبلة هي المخصصة للصلاة وتركت الأولي أو القديمة أو الشمالية لأهل الصفة فقط، ومن ثم فإن المسجد النبوي في الحالتين سواء قبل أو بعد تحويل القبلة كان من صحن مكشوف وظلة واحدة للقبلة أو للصلاة، وتفصيل ذلك فيما يتعلق بتحويل القبلة أن البخاري أورد في صحيحه في "باب التوجه نحو القبلة حيث كان وقال أبو هريرة قال النبي ﷺ استقبل القبلة وكبر حدثنا عبدالله بن رجاء قال حدثنا إسرائيل عن أبي اسحاق عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال كان رسول الله ﷺ صلي نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرا وكان رسول الله ﷺ يحب أن يوجه إلي الكعبة فأنزل الله قد نري تقلب وجهك في السماء، فتوجه نحو الكعبة وقال السفهاء من الناس وهم اليهود ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلي صراط مستقيم ".(٦٨)

قال الطبري عند ذكره بقية ما كان في السنة الثانية من سني الهجرة " ومن ذلك ما كان من صرف الله عز وجل قبلة المسلمين من الشأم إلي الكعبة، وذلك في السنة الثانية من مقدم النبي ﷺ المدينة في شعبان. واختلف السلف من العلماء في الوقت الذي صرفت فيه من هذه السنة، فقال بعضهم – وهم الجمهور الأعظم: صرفت في النصف من شعبان علي رأس ثمانية عشرة شهراً من مقدم رسول الله ﷺ المدينة ".(٦٩)

وقال الزركشي نقلاً عن الحافظ الذهبي " هذه القبلة كانت في شمال المسجد ، لأنه عليه السلام صلي سبعة عشر شهرا إلي بيت المقدس، فلما حولت القبلة بقي حائط القبلة الأولي مكان أهل الصفة ".(٧٠)

وقد ورد ذكر أهل الصفة في صحيح البخاري في باب نوم الرجال في المسجد بما نصه " وقال أبو قلابة عن أنس قدم رهط من عكل علي النبي ﷺ فكانوا في الصفة، وقال عبد الرحمن بن أبي بكر كان أصحاب الصفة الفقراء حدثنا مسدد قال حدثنا يحيي عن عبيد الله قال حدثني نافع قال أخبرني عبدالله أنه كان ينام وهو شاب أعزب لا أهل له في مسجد النبي ﷺ حدثنا قتيبة بن سعيد قال حدثنا عبد العزيز بن أبي حازم عن أبي حازم عن سهل بن سعد.. حدثنا يوسف بن عيسي قال حدثنا ابن فضيل عن أبيه عن أبي حازم عن أبي هريرة قال رأيت سبعين من أصحاب الصفة ما منهم رجل عليه رداء إما إزار وإما كساء قد ربطوا في أعناقهم فمنها ما يبلغ نصف الساقين ومنها ما يبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية أن تري عورته".(٧١)

والقبلة لغة " الجهة. يقال: ما لكلامه قبلة: جهة: وأين قبلتك: جهتك. و- الكعبة لأن المسلمين يستقبلونها في صلاتهم. ويقال: اجعلوا بيوتكم قبلة: مسجداً. وفي التنزيل العزيز: " فلنولينك قبلة ترضاها ". وما له قبلة ولا دبرة: إذا لم يهتد لجهة أمره ".(٧٢)

أما الصفة لغة فهي " الظلة. و- البهو الواسع العالي السقف. و- مكان مظلل في مسجد المدينة كان يأوي إليه فقراء المهاجرين ويرعاهم الرسول، وهم أصحاب الصفة ".(٧٣)

وقد ترتب علي استحداث الظلة الجنوبية وجود مدخل يتوسط الجدار الشمالي الذي كان قبل تحويل القبلة يمثل جدار القبلة، وأصبح بعد تحويل القبلة يمثل مؤخر المسجد، حيث قام الرسول ﷺ والمسلمون معه بسد المدخل الذي كان يتوسط الجدار الجنوبي بعد أن أصبح هذا الجدار يمثل جدار القبلة بعد تحويل القبلة،

وكان قبل تحويل القبلة يمثل مؤخر المسجد، وترك ﷺ والمسلمون معه البابين الآخرين في الجدارين الشرقي والغربي وهما باب الرحمة وباب آل عثمان، فقد نقل السمهودي ما نصه ".. وجعل له ثلاثة أبواب: باب في مؤخره، أي وهو في جهة القبلة اليوم، وباب عاتكة الذي يدعي باب عاتكة ويقال باب الرحمة، والباب الذي كان يدخل منه رسول الله ﷺ، وهو باب آل عثمان اليوم، وهذان البابان لم يغيرا بعد أن صرفت القبلة، ولما صرفت القبلة سد النبي ﷺ الباب الذي كان خلفه وفتح هذا الباب، وحذاء هذا الباب – أي ومحاذيه- هذا الباب الذي سد. وعبر ابن النجار عن ذلك بقوله: ولما صرفت القبلة سد الباب الذي كان خلفه وفتح بابا حذاءه. قال المجد: أي تجاهه ".(٧٤) (شكل ٥)

هذا وقد أورد السمهودي فيما يتعلق بأول صلاة إلي الكعبة " قال الحافظ ابن حجر: التحقيق أن أول صلاة صلاها في بني سلمة الظهر، وأول صلاة صلاها بالمسجد النبوي العصر(٧٥)، ويذكر الشهري " ومن ثم انتشر نبأ تحويل القبلة في المدينة وما يحيط بها من قرى، فكان وقت وصول الخبر يختلف من مكان لآخر".(٧٦)

اهتم الرسول ﷺ بأمر بناء الظلة الجديدة أو الجنوبية وتعيين إتجاه القبلة كما اهتم ﷺ من قبل تحويل القبلة بأمر بناء الظلة القديمة أو الشمالية، وذلك بمساعدة جبريل عليه السلام، جاء في إعلام الساجد " لا يجتهد في محراب رسول الله ﷺ لأنه، صواب قطعا. إذ لا يقر علي خطأ فلا مجال للإجتهاد فيه حتى لا يجتهد فيه باليمنة واليسرة بخلاف محاريب المسلمين، والمراد بمحرابه ﷺ مكان مصلاه فإنه لم يكن في زمنه عليه السلام محراب ".(٧٧)

جاء في كتاب الفقه علي المذاهب الأربعة فيما يتعلق بتعريف القبلة " القبلة هي جهة الكعبة، أو عين الكعبة، فمن كان مقيماً بمكة أو قريباً منها فإن صلاته لا تصح إلا إذا استقبل عين الكعبة يقيناً مادام ذلك ممكناً، فإذا لم يمكنه ذلك، فإن عليه أن يجتهد في الإتجاه إلي عين الكعبة، إذا لا يكفيه الإتجاه إلي جهتها ما

دام بمكة، علي أنه يصح أن يستقبل هواءها المحاذي لها من أعلاها، أو من أسفلها.. فاستقبال هواء الكعبة المتصل بها من أعلى أو أسفل، كاستقبال بنائها عند الأئمة وخالف المالكية ".(٧٨)

وجاء أيضاً " ومن كان بمدينة النبي ﷺ، فإنه يجب عليه أن يتجه إلي نفس محراب المسجد النبوي. وذلك لأن استقبال عين محراب مسجد النبي ﷺ هو استقبال لعين الكعبة، لأنه وضع بالوحي، فكان مسامتاً لعين الكعبة بدون انحراف، أما من كان بعيداً عن مكة، فالشرط في حقه أن يستقبل الجهة التي فيها الكعبة، ولا يلزمه أن يستقبل عين الكعبة، بل يصح أن ينتقل عن عين الكعبة إلي يمينها أو شمالها، ولا يضر الإنحراف اليسير عن نفس الجهة أيضا، لأن الشرط هو أن يبقى جزء من سطح الوجه مقابلاً لجهة الكعبة، مثلا إذا استقبل المصلي في مصر الجهة الشرقية بدون انحراف إلي جهة اليمين، فإنه يكون مستقبلاً القبلة، لأن القبلة في مصر وإن كانت منحرفة إلي جهة اليمين، ولكن ترك هذا الانحراف لا يضر، لأنه لا تزول به المقابلة بالكلية، فالمدار علي استقبال جهة الكعبة أن يكون جزء من سطح الوجه مقابلاً لها، وهذا رأي ثلاثة من الأئمة، وخالفهم الشافعية ".(٧٩)

والواقع أنه فيما يتعلق بمسألة تحويل القبلة فإن الرسول ﷺ رغب في أن تكون قبلة المسلمين إسلامية خالصة من خلال فكر إسلامي جديد لكون القبلة الأولي كانت لليهود من جهة، ولأن مكة المكرمة كانت أحب البلاد إليه ﷺ من جهة أخرى فأحب أن يتوجه في صلاته إليها، وأن يتوجه المسلمون معه وبعده في كافة أقطار الأرض إليها، ومن ثم نلحظ ذاتية إسلامية جديدة نابعة من فكر الرسول ﷺ ومباركة من قبل الله عز وجل.

وقد إشتد إستياء اليهود عندما حولت القبلة فأنزل فيهم الله عز وجل قوله في سورة البقرة ﴿ ۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُواْ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ ﴾.(٨٠)

وقال تعالى في سورة البقرة ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٤٣) ﴾.(٨١)

وقال الله عز وجل في سورة البقرة ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ (١٤٥) ﴾.(٨٢)

وقال تعالى في سورة البقرة ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (١٤٨) وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٤٩) وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٠) ﴾(٨٣)

زيادة مساحة المسجد النبوي عقب غزوة خيبر" المرحلة الخامسة ":

مما تقدم نؤكد علي أن تصميم وعمارة المسجد النبوي من قبل الرسول ﷺ والمسلمين معه سواء قبل أو بعد تحويل القبلة كانتا بفعل العوامل الدينية والبيئية، وقد أمر الرسول ﷺ بعد نحو سبع سنوات بزيادة مساحة المسجد، وذلك عقب عودته ﷺ من غزوة خيبر، وذلك نتيجة تزايد أعداد المصلين عقب صلح الحديبية، فزاد في شرقيه مقدار عشرة أذرع أو أسطوانة، وزاد في غربيه بمقدار عشرين ذراعاً أو أسطوانتين، وزاد في شماليه بمقدار أربعين ذراعاً، ولم يزد ﷺ في الجهة الجنوبية

حيث يوجد جدار القبلة، وأصبح المسجد بعد هذه الزيادة التي تعد الأخيرة في حياة النبي ﷺ يشغل مساحة مربعة يبلغ طول ضلعها ١٠٠ ذراعاً.(٨٤)

جاء في صحيح البخاري في باب بنيان المسجد " حدثنا علي بن عبدالله قال حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد قال حدثني أبي عن صالح بن كيسان قال حدثنا نافع أن عبدالله أخبره أن المسجد كان علي عهد رسول الله ﷺ مبنياً باللبن وسقفه الجريد وعمده خشب النخل ".(٨٥)

ويرى أحمد فكري بعد استعراض عدة محاولات لرسم تخطيط المسجد النبوي في عصر النبي ﷺ من قبل كريزويل **Creswell**، وبوتى **Pauty**، ومحمود عكوش ونقدها أن ظلة القبلة في المسجد كانت تنقسم إلي ثلاث بلاطات تمتد من الشرق إلي الغرب موازية لجدار القبلة، وكان كل صف منها يشتمل علي تسع سوار من جذوع النخل، وقد إعتمد أحمد فكري في ذلك علي ما أورده السمهودي من أنه كان بالمسجد علي عهد الرسول ﷺ خمسة أساطين عن يسار المنبر وأربعة عن يمينه.(٨٦)

تحصيب المسجد النبوي

فيما يتعلق بتحصيب المسجد النبوي فقد قيل أن هذا التحصيب كان في عصر النبي ﷺ، وقيل في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد نقل السمهودي في الرواية الأولي " روى أبو داود في سننه عن أبي الوليد قال: سألت ابن عمر عن الحصباء الذي في المسجد فقال مطرنا ذات ايلة، فأصبحت الأرض مبتلة، فجعل الرجل يأتي بالحصباء في ثوبه ويبسطه تحته، فلما قضي رسول الله ﷺ الصلاة قال: ما أحسن هذا؟ وهوصريح في جعل الحصباء في المسجد في زمنه ﷺ ".(٨٧)

أما فيما يتعلق بالرواية الثانية فقد نقل السمهودي " والذي يقتضيه كلام المؤرخين أن تحصيب المسجد إنما حدث في زمان عمر بن الخطاب، فقد روى يحيي عن عبد الحميد بن عبد الرحمن الأزهري قال: قال عمر بن الخطاب حين بنى مسجد رسول الله ﷺ: ما ندري ما نفرش في مسجدنا، فقيل له: إفرش الخصف

والحصر، قال: هذا الوادي المبارك فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول " العقيق واد مبارك " قال: فحصبه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ".(٨٨)

الأذان والمؤذن ونشأة المئذنة وفكر الرسول ﷺ:

أولاً: الأذان

الأذان اسم مصدر من التأذين وهو لغة: الإعلام.

وشرعا: الإعلام بوقت الصلاة بوجه مخصوص معروف. ويطلق أيضاً علي الألفاظ المخصوصة المعروفة.(٨٩)

جاء في فقه السنة في تعريف الأذان " هو الإعلام بدخول وقت الصلاة، بألفاظ مخصوصة، ويحصل به الدعاء إلي الجماعة، وإظهار شعائر الإسلام، وهو واجب، أو مندوب، قال القرطبي، وغيره: الأذان – علي قلة ألفاظه – مشتمل علي مسائل العقيدة، لأنه بدأ بالأكبرية، وهي تتضمن وجود الله وكماله، ثم ثنى بالتوحيد، ونفي الشريك، ثم بإثبات الرسالة لمحمد ﷺ، ثم دعا إلي الطاعة المخصوصة، عقب الشهادة بالرسالة، لأنها لا تعرف إلا من جهة الرسول ﷺ، ثم دعا إلي الفلاح، وهو البقاء الدائم، وفيه الإشارة إلي المعاد، ثم أعاد ما أعاد توكيداً ".(٩٠)

ويقال فيه: الأذان، والأذين، والإيذان، قاله الهروي، قال: وقال شيخي الأذين هو المؤذن المعلم بأوقات الصلاة، فعيل بمعنى مفعل. وقال الأزهري في شرح ألفاظ المختصر الأذان: اسم من قولك: آذنت فلانا بكذا أوذنه إيذاناً، أي أعلمته إعلاما إعلام الصلاة.(٩١)

قال ابن الأثير: وقد ورد في الحديث ذكر الأذان، وهو الإعلام بالشيء، يقال منه: أذن يؤذن إيذانا، وأذن يؤذن تأذينا، والمشدد مخصوص في الإستعمال بإعلام وقت الصلاة، والأذان: الإقامة، ويقال: أذنت فلانا تأذينا، أي رددته، قال ابن بري: شاهد الأذان قول الفرزدق:

وحتى علا في سور كل مدينة مناد ينادي فوقها، بأذان

والأذان والأذين والتأذين: النداء إلي الصلاة، وهو الإعلام بها وبوقتها.(٩٢)

وفي قول: أذن المؤذن تأذينا وأذانا، أي: أعلم الناس بوقت الصلاة، وضع الاسم موضع المصدر. قال واصل هذا من الأذن، كأنه يلقي في اذان الناس بصوته، ما إذا سمعوه علموا أنهم قد ندبوا إلي الصلاة.(٩٣)

وأذن للتكثير أي: نادى مرارا.(٩٤)

ويوم الأذان: يوم القيامة.(٩٥)

وفي القرآن الكريم في سورة التوبة ﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥۚ فَإِن تُبۡتُمۡ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ ﴾.(٩٦)

وفي سورة الأعراف ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾.(٩٧)

وفي سورة يوسف ﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحۡلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلۡعِيرُ إِنَّكُمۡ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾.(٩٨)

وفي سورة الحج ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ﴿٢٧﴾ ﴾.(٩٩)

وفي سورة المائدة ﴿ وَإِذَا نَادَيۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوٗا وَلَعِبٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾.(١٠٠)

وفي سورة الجمعة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٩﴾ ﴾.(١٠١)

وقال جرير يهجو الأخطل:

هل تشهدون من المشاعر مشعراً أو تسمعون من الأذان أذينا (١٠٢)

والحارث بن حلزة يقول:

آذنتنا ببينها أسماء رب ثاو يمل منه الثواء

أذن المؤذن بالصلاة أعلم بها.(١٠٣)

بدء الأذان

كان المسلمون في عصر النبي ﷺ يجتمعون في المسجد النبوي لأداء فريضة الصلاة عندما تحين مواقيتها بغير دعوة لقلة عددهم من جهة، ولاستمرار تواجدهم مع الرسول ﷺ ومصاحبتهم له من جهة أخري، ولما انتشر الإسلام بين أهل المدينة والقبائل الضاربة حولها تشاوروا في أن ينصبوا علامة يعرفون بها وقت صلاة الرسول ﷺ كيلا تفوتهم الجماعة، قال ابن سعد عند ذكره الأذان " أخبرنا محمد بن عمر الأسلمي، أخبرنا سليمان بن سليم القاري عن سليمان بن سحيم عن نافع بن جبير قال: وحدثنا عبدالحميد بن جعفر عن يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قال: وحدثنا هشام ابن سعيد عن زيد بن أسلم قال: وحدثنا معمر بن راشد عن الزهري عن سعيد بن المسيب قالوا: كان الناس في عهد النبي، ﷺ، قبل أن يؤمر بالأذان ينادي منادي النبي، ﷺ، الصلاة جامعة، فيجتمع الناس،فلما صرفت القبلة إلي الكعبة أمر بالأذان وكان رسول الله، ﷺ، قد أهمه أمر الأذان وأنهم ذكروا أشياء يجمعون بها الناس للصلاة فقال بعضهم البوق وقال بعضهم الناقوس، فبيناهم على ذلك إذ نام عبد الله بن زيد الخزرجى فأرى فى النوم أن رجلاً مر وعليه ثوبان أخضران وفى يده ناقوس، قال فقلت: أتبيع الناقوس؟ فقال: ماذا تريد به؟ فقلت: أريد أن أبتاعه لكى أضرب به للصلاة لجماعة الناس، قال: فأنا أحدثك بخير لكم من ذلك، تقول: الله أكبر.. "، كما أورد الجزيرى عند ذكره متى شرع الأذان وسبب مشروعيته وفضله " شرع الأذان فى السنة الأولى من الهجرة النبوية بالمدينة المنورة وهو معلوم من الدين بالضرورة، فمن أنكر مشروعيته يكفر، أما سبب

مشروعيته فهو أن النبى ﷺ لما قدم المدينة صعب على الناس معرفة أوقات صلاته، فتشاوروا فى أن ينصبوا علامة يعرفون بها وقت صلاة النبى ﷺ كيلا تفوتهم الجماعة، فأشار بعضهم بالناقوس، فقال النبى ﷺ: " هو للنصارى" وأشار بعضهم بالبوق فقال: " هو لليهود " وأشار بعضهم بالدف، فقال: " هو للروم " وأشار بعضهم بإيقاد النار، فقال: " ذلك للمجوس " وأشار بعضهم بنصب راية: فإذا رآها الناس أعلم بعضهم بعضاً فلم يعجبه ﷺ ذلك، فلم تتفق آراؤهم علي شئ، فقام ﷺ مهتماً فبات عبدالله بن زيد مهتماً باهتمام رسول الله ﷺ فرأي في نومه ملكاً علمه الأذان والإقامة، فأخبر النبي ﷺ بذلك وقد وافقت الرؤيا الوحي فأمر بهما النبي ﷺ.(١٠٤)

ثبوت الأذان بالقرآن والسنة

أصل الأذان بمعناه الاصطلاحي ثابت بالقرآن الكريم في سورة المائدة ﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾.(١٠٥)

وفي سورة الجمعة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ ﴾. (١٠٦)

ومن المعلوم من الدين بالضرورة أن الأذان مأمور به، أورد البخاري في باب من قال ليؤذن في السفر مؤذن واحد حدثنا معلي بن أسد قال حدثنا وهيب عن أيوب عن أبي قلابة عن مالك بن الحويرث أتيت النبي ﷺ في نفر من قومي فأقمنا عنده عشرين ليلة وكان رحيماً رفيقاً فلما رأى شوقنا إلي أهالينا قال ارجعوا فكونوا فيهم وعلموهم وصلوا فإذا حضرت الصلاة، فليؤذن لكم أحدكم، وليؤمكم أكبركم ". (١٠٧)

وفي الحديث أيضاً: " ما من ثلاثة لا يؤذنون ولا تقام فيهم الصلاة إلا استحوذ عليهم الشيطان ".(١٠٨)

ويذكر الشوكاني أنه يستدل بهذا الحديث علي وجوب الأذان والإقامة لأن الترك الذى هو نوع من استحواذ الشيطان يجب تجنبه.(١٠٩)

كيفيات ورود الأذان

ورد الأذان بكيفيات ثلاث:

أولاً: تربيع التكبير الأول، وتثنية باقي الأذان، بلا ترجيع، ما عدا كلمة التوحيد، فيكون عدد كلماته خمس عشرة كلمة، لحديث عبدالله بن زيد المتقدم.

ثانياً: تربيع التكبير، وترجيع كل من الشهادتين، بمعنى أن يقول المؤذن: أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله، أشهد أن محمداً رسول الله. يخفض بها صوته، ثم يعيدها مع الصوت، فعن أبي محذورة، أن النبي ﷺ علمه الأذان تسع عشرة كلمة.

ثالثاً: تثنية التكبير، مع ترجيع الشهادتين، فيكون عدد كلماته سبع عشرة كلمة، لما رواه مسلم، عن أبي محذورة، أن رسول الله ﷺ علمه هذا الأذان:

" الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله، أشهد أن محمداً رسول الله، ثم يعود، فيقول: أشهد أن لا إله إلا الله - مرتين – أشهد أن محمداً رسول الله - مرتين – حي علي الصلاة - مرتين- ، حي علي الفلاح - مرتين – الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله. (١١٠)

المؤذن

ورد ذكر المؤذن فى القرآن الكريم فى قوله تعالى فى سورة الأعراف ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾. (١١١)

وفى قوله عز وجل فى سورة يوسف ﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحۡلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلۡعِيرُ إِنَّكُمۡ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾. (١١٢)

ولقد ورد فى معاجم اللغة الأذين بمعنى المؤذن فى البيت:

طهور الحصى كانت أذينا ولم تكن بها ريبة مما يخاف تريب

وبيت امرئ القيس:

وانى أذين أن رجعت مملكا بسير ترى فيه الغرانق ازورا

قال جرير يهجو الأخطل:

هل تشهدون من المشاعر مشعرا أو تسمعون من الأذان أذينا؟

ويروى هذا البيت ابن برى، والأذين ههنا بمعنى المؤذن، والأذين بمعنى الأذان أيضاً، قال والأذين أيضاً المؤذن للصلاة، والداعي: المؤذن.

ولقد عرف بمكة قبل الإسلام مؤذنون كانوا يقومون بدعوة الناس إلي الاجتماع في الملأ غير أن هذا المصطلح قد اقتصر بعد ظهور الإسلام وسن الأذان علي المؤذن للصلاة. (١١٣)

وظيفة المؤذن

تعد وظيفة المؤذن من بين الوظائف الدينية الهامة الخاصة بأداء شعائر الصلاة في المساجد والمدارس والخوانق والزوايا والأربطة وغيرها من المنشآت الدينية التي تقام فيها الصلاة والصلاة الجامعة، ويؤذن فيها للصلاة، ونظراً لصلة المؤذن بالصلاة كانت هذه الوظيفة موضع عناية المسلمين، وقد ذكر ابن قدامة: قال عمر رضي الله عنه " لولا الخلافة لأذنت ". (١١٤)

المؤذن خلال عصر النبي ﷺ

يعد بلال بن رباح رضي الله عنه أول من أذن لرسول الله ﷺ، وكان يؤذن له في حياته سفرا وحضرا، فقد أورد ابن سعد ما نصه " قال: أخبرنا محمد بن عبيد الطنافسي والفضل بن دكين قالا: أخبرنا المسعودي عن القاسم بن عبدالرحمن قال: أول من أذن بلال ".(١١٥)،

وكما أذن بلال رضي الله عنه لرسول الله ﷺ بالمدينة أذن له يوم الفتح بمكة، وفي ذلك أورد ابن سعد " أخبرنا عارم بن الفضل قال: أخبرنا حماد بن زيد عن أيوب عن أبي مليكة أو غيره أن رسول الله ﷺ، أمر بلالاً أن يؤذن يوم الفتح

علي ظهر الكعبة فأذن علي ظهرها".(١١٦)

وكان ابن أم مكتوم رضي الله عنه ثاني اثنين أذنا لرسول الله ﷺ وهو عمرو ابن قيس كما يذكره أهل العراق، وهشام بن محمد السائب، وقيل عبدالله بن قيس كما يذكره أهل المدينة، وكان ضرير البصر، ورد في طبقات ابن سعد " قال: أخبرنا عبيد الله بن موسي قال: أخبرنا إسرائيل عن جابر عن عامر قال: كان لرسول الله، ﷺ، ثلاثة مؤذنين: بلال وأبو محذورة وعمرو بن أم مكتوم، فإذا غاب بلال أذن أبو محذورة، وإذا غاب أبو محذورة أذن عمرو بن أم مكتوم ". (١١٧)

وقد أذن لرسول الله ﷺ بمكة بعد الفتح أبو محذورة القرشي الجمحي رضي الله عنه واسمه اوس وقيل سمرة بن معير بن لوذان أقام بمكة ومات بها، ذكره ابن الأثير فقال " أن رسول الله ﷺ " أقعده، وألقي عليه الأذان حرفا حرفا ".(١١٨)

ولقد أذن لرسول الله ﷺ سعد القرظ بقباء.(١١٩)

وقد أذن بلال رضي الله عنه بعد رسول الله ﷺ لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، وقد أراد عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يؤذن له فأبي بلال عليه فقال له عمر من تري أن أجعل النداء؟ فقال إلي سعد القرظ فإنه قد أذن لرسول الله ﷺ فدعي عمر سعداً فجعل النداء إليه وإلي عقبه من بعده. (١٢٠)

جاء أن الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه كان يؤذن بين يدي رسول الله ﷺ عند المنبر. (١٢١)

ويحيل عبد الحى الكتانى إلى " كنز العمال " خبر مؤذن غير أولئك هو ثوبان مولى النبي ﷺ. (١٢٢)

وأذن لرسول الله ﷺ زياد بن الحارث الصدائي لكنه لم يكن راتباً. (١٢٣)

قال ابن حجر وروى الدارمي أن النبى ﷺ أمر نحواً من عشرين رجلاً فأذنوا، ومن الواضح أن هؤلاء لم يشتهروا لأنهم لم يؤذنوا للنبى ﷺ إلا نادراً، وقد أورد لبيب السعيد نقلاً عن صاحب السيرة الحلبية مؤذناً لعله من هؤلاء " لا يرد عبد العزيز بن

الأصم بين مؤذنيه ﷺ، فإنه أذن بين يديه ﷺ مرة واحدة ". (١٢٤)

توارث الأذان

كان توارث الأذان منذ بداية العصر الإسلامى، فقد بقى الأذان بمكة فى نسل أبى محذورة مؤذن رسول الله ﷺ وأولاده من بعده. (١٢٥)

كما أورد ابن سعد فى طبقاته كما تقدم أن الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه جعل الأذان بعد بلال إلى سعد القرظ الذى أذن لرسول الله ﷺ وإلى عقبه من بعده. (١٢٦)

المئذنة

فيما يتعلق بالمئذنة فقد كان المسجد النبوي يشتمل علي كتلة بنائية مربعة مرتفعة فوق ركن المسجد، حيث يتيسر إقامتها يرقي إليها بلال رضي الله عنه لإعلان الأذان من خلال أقتاب (درجات)، وذلك منذ السنة الأولي للهجرة، قال ابن سعد " أخبرنا محمد بن عمر، حدثنا معاذ بن محمد عن يحيي بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة قال: أخبرني من سمع النوار أم زيد بن ثابت تقول: كان بيتي أطول بيت حول المسجد فكان بلال يؤذن فوقه من أول ما أذن إلي أن بني رسول الله مسجده، فكان يؤذن بعد علي ظهر المسجد وقد رفع له شئ فوق ظهره".(١٢٧) (شكل٦، ٧)

ويذكر السمهودى مرحلة أكثر تطوراً وإستقلالية عن مكان الأذان، حيث قال " قال ابن زبالة: حدثني محمد بن إسماعيل وغيره قال: كان في دار عبد الله بن عمر أسطوان في قبلة المسجد يؤذن عليها بلال يرقي إليها بأقتاب، والأسطوان مربعة قائمة إلي اليوم يقال لها المطمار، وهي في منزل عبيد الله بن عبد الله بن عمر". (١٢٨) (شكل٨)

مما تقدم يتضح أن المئذنة انتقلت من مجرد كتلة معمارية بسيطة تعلو أحد أركان المسجد النبوي، ويرقي إليها بدرجات، وكانت مشيدة باللبن إلي كيان معماري مستقل يعرف بالمطمار، وهو عبارة عن تكوين معماري مربع من قاعدته

إلي أعلاه يرقي إليه المؤذن من خلال درجات تلتصق به من إحدي جهاته الأربعة، ووجود الأقتاب من الخارج يعني أن المطمار كان عالياً ومصمتاً، وهو أمر تتحقق به الفائدة الإنتفاعية التي تتمثل في إعلام أكبر عدد من سكان المدينة المنورة، وعند تأصيل التكوين المربع للمئذنة نجد أن هذا التصميم كان معروفاً في الجزيرة العربية قبل الإسلام، فقد كانت الكعبة مربعة، وقد ذكر الله عز وجل " المسجد الحرام في كتابه العزيز في خمسة عشر موضعا.. وذكر الماوردي في الحاوي في كتاب الجزية أن كل موضع ذكر الله فيه المسجد الحرام فالمراد به: الحرم. إلا في قوله تعالي: " فول وجهك شطر المسجد الحرام ". فإنه أراد به الكعبة..." .(١٢٩)

ويعد البيت الحرام أول بيت مبارك وضع للناس ليعبدوا فيه الله عز وجل ويهتدوا بفضله إلي الصراط المستقيم، قال تعالي في سورة آل عمران ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾.(١٣٠)

وقد سمي المسجد الحرام أيضاً بالكعبة لتكعيبه أي تربيعه، وكانت العرب تسمي كل بيت مربع مرتفع كعبة، والمربع لغة من " (ربع) الشئ: جعله مربعاً. و- جعله أربعة أجزاء. ".. (الرباعي): ما ركب من أربعة أشياء. وهي رباعية. و- (في الرياضة والهندسة): شكل مستو محدود بأربع أضلاع مستقيمة، يتلاقي كل ضلعين متجاورين في نقطة تسمي بالرأس ".(١٣١)

و" (المربع): كل ما له أربعة أركان. و- (في الهندسة): ما له أربع أضلاع متساوية، وزواياه متساوية. ".(١٣٢)

أما الكعبة فهي لغة من " (كعبت).. و- الشئ: جعله مكعباً.. (الكعبة): البيت الحرام بمكة. و- كل بيت مربع الجوانب. (ج) كعبات، وكعاب. ".(١٣٣)

مما تقدم يتضح أن الكعبة المشرفة لغة وعمارة كانت عبارة عن تكوين معماري مربع، وتؤكد النصوص التاريخية علي أن تربيع الكعبة أثر علي العديد من المباني التي شيدت داخل وخارج الجزيرة العربية سواء قبل أو بعد الإسلام، وقد كان للعرب قبل الإسلام فن معماري ازدهر نوع منه وانتشر خارج الجزيرة العربية

كما يذكر حسن الباشا ويتمثل في عمارة الحصون والآطام، حيث تدل بعض الشواهد علي أن هذه الحصون والآطام كانت تقام عند العيون وآبار المياه علي طول طرق القوافل عبر جزيرة العرب، وكانت في كثير من الأحيان ذات تخطيط مربع، وتتألف من عدة طبقات،وكانت هذه الآطام تتخذ مساكن للقبائل والبطون التي تشرف علي طرق القوافل، وأسواقاً للتبادل التجاري، ومستودعات للمؤن والذخائر، وأبراجاً للمراقبة، ومنتديات للاجتماع والتشاور، وملاجئ يتحصن بها عند الأخطار.(١٣٤)

وقد كان بالمدينة المنورة علي عصر النبي ﷺ حصون وآطام، وكان من أهل المدينة من يتقنون تشييد الآطام، وعمل بعضهم في بنائها خارج المدينة، والآطام لغة من " (أطم) الهودج ونحوه: ستره. و- الأُطُمَ: علاه ورفع بناءه.. (الأُطْم - الأُطُمُ): الحصن. و- البيت المرتفع (ج) آطام، وأطُوم". (١٣٥)

وبعد الإسلام أمدنا المؤرخ ابن عبد الحكم المتوفى ٢٥٧هـ/٨٦٧م عند ذكره الخطط بالفسطاط وعبدالله بن عمرو بن العاص بنص هام نتبين منه أهمية تربيع الكعبة بالنسبة للعرب والمسلمين بحيث تأثروا بها في عمائرهم سواء كانت مدنية أم دفاعية أو عسكرية، فقد أورد " واختط عبدالله ابنه (عمرو بن العاص) هذه الدار الكبيرة التي عند المسجد الجامع وهو الذي بناها هذا البناء وبنى فيها قصرا علي تربيع الكعبة الأولى".(١٣٦)

ويدل هذا النص دلالة واضحة علي أن تأثير تربيع الكعبة إمتد خارج الجزيرة العربية مع الفتوحات العربية الإسلامية والمد الإسلامي خارج الجزيرة العربية بمصر.

المستشرقون وتخطيط المسجد النبوي

تطرق المستشرقون وفي مقدمتهم Creswell إلي رسم مخططات للمسجد النبوي في أثناء حياة النبي ﷺ، غير أنه استناداً لما تقدم من نصوص نجد أن الرسول ﷺ لم يلجأ لبناء مسجد يكون فيه جدار القبلة أقل من جدار المؤخرة، أو تخطيط مساجد يكون فيها المخطط علي هيئة دائرية، أو شبه المنحرف، أو المثلث، حيث

أن كل هذه الأشكال لا تؤدي إلي إمتداد صفوف المصلين في خط مستقيم يمتد خلف الإمام موازياً لجدار القبلة، وهو الإمتداد الذي روعي عند تأسيس المسجد النبوي سواء قبل أو بعد تحويل القبلة انطلاقاً من القرآن والسنة.(١٣٧)

وتفصيل ذلك كما يذكر الشهري أن كريزويل أعد مخططاً للمسجد النبوي في عصر الرسول ﷺ (شكل٩) رفضه أحمد فكري (١٣٨)، وقال عنه أنه من نسج الخيال، حيث أورد أحمد فكري أن كريزويل تصوره بيتاً من تسع حجر، كل واحدة منها مربعة لا يتعدى ضلعها ثلاثة أمتار، أو ستة أذرع، صفت الواحدة بجوار الأخرى، ولكل منها باب، ينفذ البابان الأولان منها إلي ظلة، وتنفذ الأبواب الأخر إلي رحبة واسعة، أعدت في ركنها الشمالي الغربي ظلة أخرى صغيرة، تعبر عن منزل أهل الصفة، وجعلت الظلة الأولى، في هذا الرسم، فسحة طويلة، عرضها عشرة أذرع، وطولها مائة، يمتد فيها صفان من جذوع النخل بكل صف ثمانية عشر جذعاً، وقد أهمل (كريزويل) روايات المؤرخين، المتقدمين منهم والمتأخرين، أو لعله تجاهلها، لأنه لا يعترف بإقامة مسجد جامع للصلاة في عهد الرسول ﷺ، وقد أخطأ أخطاء فاحشة في هذا الرسم، وجانب الحقائق جميعاً، حتى في تحديد مقاسات جدران ذلك البناء الذي وصفه ببيت محمد، إذ جعل كل ضلع من أضلاعه يعادل مائة ذراع، معتمداً علي رواية واحدة، دون تمحيص لأقوال المؤرخين، ولهذا فإن تخطيطه لا يستند علي الحقائق التاريخية، وهو من نسج الخيال، وكان في هذا الرفض كما يذكر الشهري ما يغني لولا أن تشابه المخططات التي أعدها كل من فريد شافعي (شكل ١٠)، وسعاد ماهر (شكل١١)، لمخطط كريزويل، وهو الأمر الذي دعا الشهري إلي دراسة هذه المخططات ومقارنتها بمخطط أحمد فكري (شكل ١٢) من ناحية، وبما اتضح له من خلال دراسته للمسجد النبوي في عهد الرسول ﷺ من ناحية أخرى.(١٣٩) (شكل ١٣- ١٤)

يعلق الشهري علي مخطط كريزويل والمخططات المشابهة فيرى أنه قصر ظلة مؤخر المسجد، وهي الظلة الأولى قبل تحويل القبلة علي جزء من بلاطة واحدة تشغل

الجانب الشمالي الغربي من المسجد، ولا يعقل أن يكون المسجد قد بقي دون ظلة تحمي المسلمين من الحر والمطر قبل تحويل القبلة، ولا يظن أن الرسول ﷺ قد هدم هذه الظلة الشمالية عند تحويل القبلة إلي الظلة الجنوبية، إلا إذا كانت جدران المسجد كلها قد تعرضت للتغيير عقب تحويل القبلة، وهو احتمال له وجاهته، وعلي ذلك فإن ما يحظى بالقبول والتأييد هو أن هذا الجزء المخصص للصلاة قبل تحويل القبلة والذي كان مسقوفاً بسعف النخيل أو غيره قد خصص لأهل الصفة – لنومهم وراحتهم – دون بقية المسجد، وكان عددهم يتراوح بين السبعين والمائة، ولم تشر النصوص الكثيرة التي وجدت وتم الإطلاع عليها إلي ما يشير إلي تحديد موقعها من مؤخر المسجد، مما يزكي أن الظلة كانت بإمتداد الجدار الشمالي للمسجد، وقد جاء موقع هذه الظلة في المخطط الذي أعده محمود عكوش (شكل١٥)، ومخطط المسجد النبوي بعد عمارة السلطان عبد المجيد له سنة ١٢٧٧هـ/١٨٦٠م (شكل١٦) في الجانب الشمالي الشرقي من المسجد بخلاف كريزويل ومن أخذ برأيه فإنهم يجعلونها في الجهة الشمالية الغربية، علي غير سند في كلتا الحالتين.(١٤٠)

أما فيما يتعلق بمقدم المسجد فيري الشهري (١٤١) أن المخططات قد قصرت هذا المخطط علي بلاطتين فقط، بينما مقدم المسجد كان يتألف من ثلاث بلاطات ومثلها أيضاً في مؤخر المسجد، وهو في ذلك يتفق مع أحمد فكري في مشروعه لرسم تخطيط المسجد النبوي في عصر النبي ﷺ.

أما فيما يتعلق ببيوت أمهات المؤمنين كلها في الجهة الشرقية من المسجد علي إمتداد جدار المسجد الشرقي حتى باب جبريل عليه السلام فإنه يرى أن الكثير من الروايات تؤيد إمتداد بيوت أمهات المؤمنين إلي الجنوب من حجرة عائشة رضي الله عنها علي الرغم من تأييد بعض الروايات لوجودها في الجهة الشرقية من المسجد، ومنها دار حفصة رضي الله عنها، وقد دخل بعضها في المسجد النبوي في عمارة الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك، بعد إتفاق عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه مع أصحابها علي فتح الخوخة المعروفة بخوخة آل عمر.(١٤٢)

ويرى الشهري (١٤٣) أن في نقد أحمد فكري لمخطط كل من Pauty (بوتي) (شكل١٧) ومحمود عكوش (شكل١٥) ما يفي الغرض، لاسيما وأن محمود عكوش قد شارك المخططات السابقة في قصره ظلة مؤخر المسجد على جانب أمام الجدار الشمالي، وفي ذلك يذكر أحمد فكري أن Pauty حاول أن يرسم شكلاً آخر للمسجد النبوي في عهد الرسول ﷺ، فلم يكن أكثر توفيقاً من كريزويل، إذ رسم حدود المسجد المربعة مختلفة الشكل، متعرجة الأضلاع، وكان Pauty يعتقد أن الأعراب كانوا، في عهد الرسول ﷺ، عاجزين عن تخطيط المربع تخطيطاً سليماً، ومع ذلك فإنه جعل للقبلة جداراً مستقيماً في داخل المربع المتعرج، وجعل أمامها ظلة، وجعل للمسجد باباً واحداً في مؤخره، وكانت القبلة متجهة إلي بيت المقدس ويرى أحمد فكري أن مشروع Pauty لا يستند إلي الحقائق التاريخية، ولهذا فإنه لا يعدو أن يكون أيضا من نسج الخيال، ثم يعلق أحمد فكري علي رسم محمود عكوش للمسجد النبوي في عهد الرسول(ﷺ) وحجر زوجاته قائلاً أن هذا الرسم مصغر غير واضح المعالم، وهو فوق هذا يشتمل علي أربعة أخطاء:

١) أنه جعل لأهل الصفة ظلة صغيرة محدودة في ركن شمال المسجد، في حين أن المعروف أنه كان للمسجد مؤخر، هو بيت صلاته الأول الذي كان متجهاً إلي بيت المقدس وأن ظلته كانت تمتد من المشرق إلي المغرب، وأن أهل الصفة كان لهم موضع من هذه الظلة.

٢) أنه جعل حدود المسجد، بعد زيادته الأولى، مائة ذراع، وقد أوضحت أنها تسعون ذراعاً من الشرق إلي الغرب، لا مائة، وكان مائة ذراع من القبلة إلي الشام.

٣) أنه جعل زيادة الرسول ﷺ للمسجد قدر أسطوانتين في شرقيه، وأسطوانة في غربيه، وكانت الزيادة عكس ذلك، في شرقيه بمقدار عشرة أذرع أو أسطوانة، وفي غربيه بمقدار عشرين ذراعاً، أو أسطوانتين.

٤) في رسم عكوش أنه فتح أبواب المسجد الثلاثة في غير مواضعها منه، وهي ما زالت محتفظة بهذه المواضع إلي اليوم.(١٤٤)

ويذكر أحمد فكري أنه آثر أن يرسم مشروعاً جديداً لتخطيط المسجد النبوي في عهد الرسول ﷺ، ويظهر في الرسم الذي نشره لتخطيط المسجد النبوي، بعد تحويل القبلة إلي الكعبة المكرمة وزيادته الأولى في ٧هـ/٦٢٨م، أن بيت الصلاة فيه كان ينقسم إلي ثلاثة أساكيب (بلاطات موازية لجدار القبلة) بكل صف منها تسعة من جذوع النخل، إذ ذكر السمهودي أنه كان بالمسجد علي عهد الرسول ﷺ خمسة أساطين عن يسار المنبر وأربعة عن يمينه، ويضيف أحمد فكري أن جميع البناة في العصور المتتالية احتفظوا بمواضع الأساطين الأولى في مسجد الرسول ﷺ، وابقوا محرابه ومنبره في موضعهما منه، وكذلك احتفظوا بمواضع الأبواب الثلاثة التي كانت بذلك المسجد، ومازالت تعرف بأسمائها، وهي باب جبريل، وسط الجدار الشرقي، وباب النساء، في شمالي هذا الجدار، يقابله باب الرحمة في الجدار الغربي، وهي محاولة أولى كما يذكر أحمد فكري نفسه " أعترف أن جزءا منها افتراضي". (شكل١٢).

ويلاحظ الشهري علي مخطط أحمد فكري (شكل١٢) أنه قصر طول جدار القبلة الممتد من الشرق إلي الغرب علي تسعين ذراعاً، وهو ما تقدم ذكره، ويرى أن في هذا إهمال لكثير من الروايات التي تؤيد تربيع المسجد، وتنص صراحة علي أنه مائة في مائة ذراع، هذا فضلاً عن أن مخططه يحتوي علي عشر بوائك بكل من الظلتين، وقد ورد أن بعد الاسطوانات عن بعضها عشرة أذرع، وفي هذا تأييد لكون جدار القبلة مائة ذراع، ولكنه يذكر في موضع آخر أن طوله تسعون ذراعاً.(١٤٥)

كما يلاحظ موقع باب النساء من المخطط الذي أعده، مع أن هذا الباب لم يفتح إلا في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بالإضافة إلي إهماله للباب الذي نقل بعد تحويل القبلة من الجدار الجنوبي إلي منتصف الجدار الشمالي علماً بأن الأبواب الثابت وجودها في عهد الرسول ﷺ ثلاثة أبواب، باب في خلفه

وباب عن يمين المصلى وباب عن يساره.(١٤٦)

ويذكر حسن الباشا أن المسجد النبوي (شكل١٨- ١٩) خطط علي هيئة فناء مربع متساوي الأضلاع تقريباً يبلغ طول ضلعه نحو ٧٠ ذراعاً (حوالي ٣٥م) وتحف به جدران أربعة إرتفاعها نحو سبعة أذرع، ويتجه أحد جوانبه نحو المسجد الأقصى في الشمال، والجانب المقابل نحو الكعبة المكرمة في الجنوب، وكان أسفل الجدران مبنياً بالحجارة وأعلاها باللبن، وجعلت القبلة في الجدار الشمالي من حجارة منضودة بعضها علي بعض، وأمر النبي ﷺ بأن يبنى خارج الطرف الجنوبي من الجانب الشرقي وفي محاذاته مسكنان لزوجتيه السيدة عائشة بنت أبي بكر والسيدة سودة بنت زمعة رضي الله عنهما، ثم أضيف إلي هذين المسكنين بيوت أخر لباقي الزوجات، ولم تكن هذه البيوت ملتصقة بالمسجد، بل كان يفصل بينها وبين المسجد طريق عرضه عشرة أذرع، ويبدو أن المسجد لم يكن في أول الأمر يشتمل علي ظلة، وبعد نحو سبع سنوات من الهجرة أمر النبي ﷺ بتوسيعه فأصبح طول كل ضلع بالمسجد مائة ذراع، وصار جدار المسجد الشرقي ملتصقاً ببيوت النبي ﷺ، ويرى الشهري أن المخطط الذي أعده حسن الباشا (شكل١٨) عن المسجد النبوي بعد تحويل القبلة رغم إشتماله علي ظلة جنوبية وأخرى شمالية، إلا أنه قصر البلاطات في كل منهما علي بلاطتين، وهو مخالف لعدد البلاطات الثلاث التي ثبت وجودها في رواق القبلة، بالإضافة إلي أنه جعل بين الحجرات التي ظهرت بالمخطط وبين المسجد طريقاً ضيقاً، وهو مخالف لما ثبت من أن الحجرات شرعت في المسجد النبوي بعد الزيادة الأخيرة سنة سبع من الهجرة، هذا فضلاً عن قصره الحجرات علي حجرتين فقط.(١٤٧)

كما يرى أن المخطط الذي أعده أيضاً حسن الباشا (شكل١٩) في كتابه المدخل عن المسجد النبوي في فجر الإسلام لا يشير إلا إلي تحديد موضع الزيادات من المسجد الشريف دون ذكر عدد الأذرع المضافة في كل زيادة سواء في المتن أو علي الرسم، إلا أنه يدل بشكل واضح علي نسبة الزيادات، كما أنه تدارك ما فاته

في المخطط الأول فجعل بيوت أمهات المؤمنين ملاصقة لجدار المسجد الشرقي، وإن كان قد قصرها علي ثماني حجرات بدلاً من تسع.(١٤٨) (شكل٢٠) (أنظر أيضاً شكل٢١)

المستشرقون وعمارة المئذنة

الواقع أن المستشرقين فيما عدا سوفاجيه Sauvget وتبعهم فى ذلك العرب المحدثون فى منهج البحث عن أصل المئذنة وحلقات تطوراتها الأولى ساروا على نفس الأسلوب الذى سارت عليه بقية دراسات الوحدات والعناصر المعمارية الإسلامية خلال عصرها المبكر، وهو الأسلوب الذى يهدف إلى نسبة مصدرها إلى مصادر غير عربية وإسلامية وذلك عن طريق محاولات التأصيل والدراسات المقارنة للوحدات والعناصر المعمارية فى العمائر السابقة على الإسلام خاصة فى العمائر الساسانية والهندية والرومانية والبيزنطية، وأذكر من بين آراء المستشرقين رأى العالم كريزويل من خلال دراسة تناول فيها تطور المئذنة، حيث انتهى فيها إلى أن فكرة المئذنة نشأت فى سوريا خلال العصر الأموى، وأن المئذنة الأولى اشتقت معمارياً من برج الكنيسة السورية. (١٤٩)

وهذه النظرية نشرها مارسيه Marcais فى عام ١٣٢٤هـ / ١٩٠٦م، وقبلها شويزى Shoisy ثم تيرش Thiersch فيما يتعلق بمآذن شمال إفريقية والأندلس على الرغم من أن هذه المنطقة كانت تشتمل على مثلين على غير هذا النمط المربع أحدهما فى الجامع الكبير بأجدابية فى برقة الإقليم، والآخر فى جامع طرابلس الغرب ٣٠٠هـ/ ٩١٢م. (١٥٠)

والواقع أن كريزويل ومن تبعه من المستشرقين والعرب المحدثين لم يتجهوا الوجهة الصحيحة فى دراسة أصل وتطور المئذنة، حيث كان ينبغى عليهم أن يتجهوا ببصرهم مباشرة إلى المدينة المنورة والمسجد النبوى الذى يعد أصل عمارة المسجد إلى حد كبير فى العالم الإسلامى وليس إلى سوريا والجامع الأموى بدمشق، وهو الأمر الذى سوف يتأكد لنا تماماً عند ذكر المسجد النبوى فى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه وتشييد المآذن المربعة من واقع النصوص التاريخية.

المستشرقون وعمل المنبر

تطرق المستشرقون وفى مقدمتهم Backer إلى أن الرسول ﷺ لم يتخذ منبراً إلا عندما أصبح رجلاً عظيماً يستقبل السفارات، وذهب كريزويل إلى أن المنبر كانت تنقصه الدلالة الدينية فى الأيام المبكرة من الإسلام. (١٥١)

والواقع أنه من خلال النصوص التاريخية يتضح أن الرسول ﷺ كان يستند إلى جذع نخل عندما يخطب الناس، فقد نقل السمهودى فى خبر الجذع الذى كان يخطب إليه ﷺ " روينا فى صحيح البخارى عن ابن عمر قال: كان النبى ﷺ يخطب إلى جذع، فلما اتخذ المنبر تحول إليه، فحن الجذع، فأتاه فمسح يده عليه ". (١٥٢)

وفي مرحلة لاحقة دعت الضرورة الصحية من جهة، وكثرة الناس وحاجتهم إلى رؤيته وسماعه ﷺ من جهة أخرى إلى إتخاذ المنبر، وقد ورد أن صناعته كانت من خشب الطرفاء، وقيل أن الطرفاء هى العرعر، وقيل من خشب الأثل وقد جاء فى صحيح البخارى فى باب الاستعانة بالنجار والصناع فى أعواد المنبر والمسجد " حدثنا قتيبة قال حدثنا عبد العزيز عن أبى حازم عن سهل قال بعث رسول الله ﷺ إلى إمرأة مرى غلامك النجار يعمل لى أعواداً أجلس عليهن حدثنا خلاد قال حدثنا عبد الواحد ابن أيمن عن أبيه عن جابر أن إمرأة قالت يا رسول الله ألا أجعل لك شيئا تقعد عليه فإن لى غلاماً نجاراً قال إن شئت فعملت المنبر ". (١٥٣)

وكان المنبر يتألف من ثلاث درجات عبارة عن درجتين ومجلس، قال ابن النجار " وطول منبر النبى ﷺ ذراعان وشبر وثلاث أصابع، وعرضه ذراع راجح، وطول صدره وهو مستند النبى ﷺ ذراع وطول رمانتى المنبر التى يمسكها رسول الله ﷺ إذا جلس يخطب شبر وإصبعان ". (١٥٤)

نقل السمهودى فيما يتعلق بالمنبر " وروى يحيي عن ابن أبى الزناد أن النبى ﷺ كان يجلس على المجلس، ويضع رجليه على الدرجة الثانية ". (١٥٥)

دور (بيوت) الرسول ﷺ

تعد دور الرسول ﷺ الملحقة بالمسجد النبوى بالمدينة المنورة من جهته الشرقية الأمثلة الأولى للعمارة السكنية فى العصر الإسلامى، وتتكون هذه الدور من تسع حجرات عبارة عن بيوت تضم فى داخلها هذه الحجرات، وقد شيدت فى أوقات مختلفة، نقل السمهودى " أنه ﷺ لما بنى مسجده الشريف بنى بيتين لزوجتيه عائشة وسودة رضى الله عنهما على نعت بناء المسجد من لبن وجريد النخل. قال ابن النجار: وكان لبيت عائشة مصراع واحد من عرعر أو ساج، قال: ولما تزوج رسول الله ﷺ نساءه بنى لهن حجراً، وهى تسعة أبيات، وهى ما بين بيت عائشة رضى الله عنها إلى الباب الذى يلي باب النبى ﷺ " (١٥٦)، وتتسم هذه الدور ببساطتها من حيث التصميم والعمارة شأنها فى ذلك شأن المسجد النبوى عند تأسيسه، فقد جاء كل بيت يشغل مساحة مربعة يبلغ طول ضلعها من ٣- ٣,٥م يغطيها سقف منخفض، وقد جاءت جدرانها من خشب العرعر، وأكسية من الشعر، يتقدمها مدخل صغير بسيط لا حلق له. (١٥٧)

وقد نقل السمهودى " وورد أن بابه ﷺ كان يقرع بالأظافير: أى لا حلق له ". (١٥٨)

وقال ابن النجار فى الدرة الثمينة " لما بنى رسول الله ﷺ مسجده بنى بيتين لزوجتيه عائشة وسودة رضى الله عنهما على نعت بناء المسجد من لبن وجريد النخل".(١٥٩)

وجاء فى إعلام الساجد عند ذكر بناء المسجد " وجعل عمده الجذوع، وسقفه بالجريد، وبنى بيوتا إلى جانبه ولما فرغ من بنائه بنى بعائشة فى البيت الذى بناه لها شرقى المسجد، وهو مكان حجرته اليوم. وقال الحافظ شمس الدين الذهبي فى بلبل الروضة لم يبلغنا أنه عليه السلام بنى له تسعة أبيات حين بنى المسجد، ولا أحسبه بعد ذلك إنما كان يريد بيتا واحدا حينئذ لسودة أم المؤمنين. ثم لم يحتج إلى بيت آخر حتى بني بعائشة فى شوال سنة اثنتين، وكأنه عليه السلام بناها فى أزمان

مختلفة، وقال السهيلي: قال الحسن البصرى كنت أدخل بيوت النبى ﷺ وأنا غلام مراهق وأنال السقف بيدى. وكان لكل بيت حجرة، وكانت حجره من أكسية من شعر مربوطة فى خشب، عرعر". (١٦٠)

وقد أورد السمهودى " وقد أضيفت البيوت فى القرآن العظيم مرة إليه ﷺ ومرة إليهن، والظاهر أن الإضافة الأولى هى الحقيقية، لما تقدم من أن النبى ﷺ بناها، ولأنه كان يجب عليه إسكانهن، غير أن لهن فيها بعده حق السكنى لحبسهن لحقه ﷺ ". (١٦١)

قال تعالى فى سورة الأحزاب ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ [الآية ٣٣].

وقال تعالى فى سورة الأحزاب أيضاً ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ ﴾ [الآية ٥٣].

المدينة المنورة وعمائرها الإسلامية فى عصر الرسول ﷺ:

غدت المدينة المنورة عقب هجرة الرسول ﷺ إليها عاصمة وحاضرة للدولة الإسلامية الناشئة، وقد شيد بها الرسول ﷺ مسجده الجامع ومساكنه فى موضع آثر الرسول ﷺ أن يتوسط المدينة المنورة والأنصار حتى يكون المسجد الجامع بمثابة القلب من المدينة، قال ابن النجار كما تقدم " اختار رسول الله ﷺ المنازل فنزل فى

منزله ومسجده فأراد أن يتوسط الأنصار كلها فأحدقت به الأبصار ". (١٦٢)

وقد اختطت القبائل من المهاجرين حول المسجد الجامع والمساكن فى الأرض التى وهبها الأنصار للرسول ﷺ، قال ياقوت الحموى عند ذكره مدينة يثرب " فلما قدم رسول الله، ﷺ، من مكة إلى المدينة مهاجراً أقطع الناس الدور والرباع فخط لبنى زهرة فى ناحية من مؤخر المسجد فكان لعبد الرحمن بن عوف الحصن المعروف به وجعل لعبد الله وعتبة ابنى مسعود الهذليين الخطة المشهورة بهم عند المسجد وأقطع الزبير بن العوام بقيعاً واسعاً وجعل لطلحة بن عبيد الله موضع دوره ولأبى بكر، رضى الله عنه، موضع داره عند المسجد، وأقطع كل واحد من عثمان ابن عفان وخالد بن الوليد والمقداد وعبيد والطفيل وغيرهم مواضع دورهم، فكان رسول الله، ﷺ، يقطع أصحابه هذه القطائع فما كان فى عفاً من الأرض فإنه أقطعهم إياه وما كان من الخطط المسكونة العامرة فإن الأنصار وهبوه له فكان يقطع من ذلك ما شاء، وكان أول من وهب له خططه ومنازله حارثة بن النعمان فوهب له ذلك وأقطعه".(١٦٣)

وتوزعت المساجد على الخطط، تلك الخطط التى وزعت من خلال الرسول ﷺ، وقد هدف منهجه كما يذكر محمد عبد الستار عثمان فى توزيع الخطط إلى تجميع كل قبيلة فى خطة خاصة بها، وتركت حرية تقسيم الخطة للقبيلة وفقاً لظروفها وإمكاناتها فى الإنشاء والتعمير، ومدى الحاجة إلى ذلك، فكأنما روعيت النظرة المستقبلية للإمتداد العمرانى، فقد بلغ عدد المساجد تسعة مساجد للصلوات الخمس أما الصلوات الجامعة فكانت تقام فى المسجد النبوى بإعتباره المسجد الجامع، كما شيد الرسول ﷺ مصلى العيد، وبذلك تكاملت عمائر المدينة المنورة الدينية والمدنية. (١٦٤)

هذا وقد اشتملت كل خطة على مقبرة خاصة بها حسب التقليد القبلى، وبالرغم من أن البقيع غدت منذ عام ١٠هـ / ٦٣١م أرض دفن جامعة، فإن كل قبيلة عرفت لها جزءا من أرضها استخدمته للدفن، وشيد الرسول ﷺ السوق، نقل

السمهودى فيما جاء فى سوق المدينة الذى تصدق به النبى ﷺ على المسلمين " روى عمر بن شبة عن عطاء بن يسار قال: لما أراد رسول الله ﷺ أن يجعل للمدينة سوقا أتى سوق بنى قينقاع، ثم جاء سوق المدينة فضربه برجله وقال: هذا سوقكم، فلا يضيق، ولا يؤخذ فيه خراج. وروى ابن زبالة عن يزيد بن عبيد الله بن قسيط أن السوق كانت فى بنى قينقاع حتى حول السوق بعد ذلك " (١٦٥)، وكان الرسول ﷺ قد أراد أن يجعل للمدينة المنورة سوقاً واحدة، ورغب فى أن يتخذها أولاً فى موضع بقيع الزبير، واعترض كعب بن الأشرف أحد زعماء اليهود المناوئين للإسلام، وقطع أطناب الخيام التى وضعها الرسول ﷺ فى ذلك الموضع، فنقلها الرسول ﷺ إلى موضع سوق المدينة، وأقر الرسول ﷺ نظام المراقبة فيه فكان يمر بنفسه، ويوضح الأسس الإسلامية فى التعامل، ولإحكام المراقبة استعمل ﷺ على السوق عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وكانت السوق فضاءً واسعاً لا بناء فيه، وضربت فيها الخيام، وقد حرص الخلفاء الراشدون على أن تبقى السوق بهذه الهيئة، وربطت الطرق الرئيسية (حوالى عشر أذرع أو خمسة أمتار تقريباً) والفرعية (ما بين خمس وسبع أذرع) بين هذه التكوينات المعمارية الدينية والمدنية والجنائزية، وعندما دعت الحاجة إلى حفر الخندق للدفاع عن المدينة المنورة وتأمينها من جهة الشمال، أخذ الرسول ﷺ بمشورة سلمان الفارسي فى ضرورة حفره، وباشر العمل فيه بنفسه حتى أنجز فى فترة وجيزة، وقام بتحصين جدران المنازل التى قرب الخندق، واتخذ المعسكرات لجنده خارج المدينة مثل معسكر الجرف، وسن الرسول ﷺ إنشاء مقار للعلاج والتطبيب، فأمر بعد عودته من غزوة الخندق بوضع خيمة فى المسجد للتداوى، وخصصت بالمدينة المنورة على عهده دور للضيافة، واستقبال الوفود، وكانت تسمى " دار الضيفان " أو " دار الأضياف "، وأقر اتخاذ الحبس، ونظام الوقف، وجددت مواضع لقضاء الحاجات تسمى " المناصع "، إضافة إلى بيوت الخلاء الملحقة بالمنازل، واختار مواضع الذبح، فقامت المدينة المنورة بدورها السياسي والديني والإدارى، وبتشييد الخندق وتحصين جدران المنازل القريبة منه قامت المدينة المنورة بدورها الحربى. (١٦٦)

الإستحكامات الدفاعية " الحربية "
والتأثير الفكرى الفارسي (خريطة ٤)

يعد حفر الخندق من التأثيرات التى انتقلت من الحضارة الساسانية إلى الحضارة الإسلامية قبل الفتوحات الإسلامية في المشرق والمغرب، ويعد الخندق من العناصر الدفاعية الهامة في العمارة الحربية " الدفاعية " لتحصين المدن والقلاع، فقد عرف المسلمون حفر الخنادق منذ فجر الإسلام بتأثير فكري فارسي، إذ أحيطت المدينة المنورة في أثناء غزوة الخندق سنة ٥هـ/٦٢٦م بخندق، فقد نقل السمهودي في أحداث السنة الخامسة من الهجرة عند ذكره غزوة الخندق " سميت بذلك لحفر النبي ﷺ الخندق بإشارة سلمان الفارسي، وتسمى بالأحزاب لإجتماع طوائف من المشركين فيها علي الحرب، وهم الذين سماهم الله تعالى الأحزاب "(١٦٧)، قال الطبري " فلما سمع بهم رسول الله ﷺ وبما أجمعوا له من الأمر، ضرب الخندق علي المدينة. فحدثت عن محمد بن عمر، قال: كان الذي أشار علي رسول الله ﷺ بالخندق سلمان وكان أول مشهد شهده سلمان مع رسول الله ﷺ، وهو يومئذ حر، وقال: يارسول الله، إنا كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا علينا".(١٦٨) (خريطة٤)

وقد شارك الرسول ﷺ في حفر الخندق مثلما شارك من قبل في بناء المسجد النبوي بالمدينة المنورة والمساكن لكي يرغب المسلمين في العمل فيه، واتسم عملهم بالدقة والإحكام، قال الطبري " رجع الحديث إلي حديث ابن إسحاق: فعمل رسول الله ﷺ ترغيباً للمسلمين في الأجر، وعمل فيه المسلمون: فدأب فيه ودأبوا، وأبطأ عن رسول الله ﷺ وعن المسلمين في عملهم رجال من المنافقين... وعمل المسلمون فيه حتى أحكموه ".(١٦٩)

وقال الطبري " فحدثنا محمد بن باشر، قال: حدثنا محمد بن خالد بن عثمة، قال: حدثنا كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف المزني، قال: حدثني أبي، عن أبيه، قال: خط رسول الله ﷺ الخندق عام الأحزاب من أجم الشيخين طرف بني حارثة،

حتى بلغ المذاد ثم قطعه أربعين ذراعاً بين كل عشرة، فاحتق المهاجرون والأنصار في سلمان الفارسي – وكان رجلاً قوياً – فقالت الأنصار: سلمان منا، وقالت المهاجرون: سلمان منا، فقال رسول الله ﷺ: سلمان منا أهل البيت. قال عمرو بن عوف: فكنت أنا وسلمان، وحذيفة بن اليمان، والنعمان بن مقرن المزني، وستة من الأنصار في أربعين ذراعاً، فحفرنا تحت ذو باب حتى بلغنا الندى، فأخرج الله عز وجل من بطن الخندق صخرة بيضاء مروة فكسرت حديدنا، وشقت علينا. فقلنا: ياسلمان، ارق إلي رسول الله ﷺ فأخبره خبر هذه الصخرة، فإما أن نعدل عنها فإن المعدل قريب، وإما أن يأمرنا فيها بأمره، فإنا لا نحب أن نجاوز خطه. فرقى سلمان حتى أتى رسول الله ﷺ وهو ضارب عليه قبة تركية، فقال: يارسول الله، بأبينا أنت وأمنا! خرجت صخرة بيضاء من الخندق مروة، فكسرت حديدنا، وشقت علينا حتى ما نحيك فيها قليلاً ولا كثيراً، فمرنا فيها بأمرك، فإنا لا نحب أن نجاوز خطك. فهبط رسول الله ﷺ مع سلمان في الخندق، ورقينا نحن التسعة على شقة الخندق، فأخذ رسول الله ﷺ المعول من سلمان، فضرب الصخرة ضربة صدعها، وبرقت منها برقة أضاء مابين لابتيها – يعني لابتي المدينة - حتى لكأن مصباحاً في جوف بيت مظلم. فكبر رسول الله ﷺ تكبير فتح، وكبر المسلمون ... ثم أخذ بيد سلمان فرقى... ".(١٧٠)

وقد قام الرسول ﷺ بتحصين جدران المنازل التي تقع قرب الخندق، واتخذ المعسكرات لجنده خارج المدينة مثل معسكر الجرف الذي يبعد ثلاثة أميال في اتجاه الشمال مما يدل علي إهتمامه الكبير بالناحية الدفاعية فكان ذلك بمثابة إقرار وسنة بتشييد العمارة الدفاعية التي أعدت من البناء الواجب شرعا.(١٧١)

ونقل السمهودي " وعملوا في الخندق خمسة عشر يوما، وكان لقريش ما بين راتج إلي مسجد الأحزاب، والأنصار ما بين مسجد الأحزاب إلي بني سلمة، وللموالي ما بين راتج إلي بني عبد الأشهل، فلما وصل القوم عسكروا بالجرف، وبعثوا رجالا من رجالهم، فأحدقوا بالمدينة من كل ناحية، فما يجدون مدخلا،

والناس متلبسون السلاح قد قاموا علي أفواه الخنادق يرمون بالنبل والحجارة..".(١٧٢)

وقد أورد ابن الأثير " ثم إن فوارس من قريش منهم: عمرو بن عبد ود.. وأقبل هو وأصحابه حتى وقفوا علي الخندق، ثم تيمموا مكانا ضيقا فاقتحموه.. وخرج علي ابن أبي طالب في نفر من المسلمين فأخذوا عليهم الثغرة ".(١٧٣)

ويضيف ابن الأثير "... وتسلل عنه جماعة من المنافقين بغير علم رسول الله ﷺ، فأنزل الله في ذلك: ﴿ لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾.(١٧٤)

وكان الرجل من المسلمين إذا نابته نائبة لحاجة لابد منها يستأذن رسول الله ﷺ، ويقضي حاجته ثم يعود، فأنزل الله تعالى في سورة النور فيما يتعلق بالمؤمنين " ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ ﴾.(١٧٥)

مساجد الرسول ﷺ فيما بين المدينة إلي تبوك

قال ابن هشام " مساجد الرسول: وكانت مساجد رسول الله ﷺ فيما بين المدينة إلي تبوك معلومة مسماة: مسجد بتبوك، ومسجد بثنية مدران، ومسجد بذات الزراب، ومسجد بالأخضر، ومسجد بذات الخطمي، ومسجد بألاء، ومسجد بطرف البتراء. من ذنب كواكب، ومسجد بالشق، شق تارا ء،ومسجد بذي الجيفة، ومسجد بصدر حوضي، ومسجد بالحجر، ومسجد الصعيد، ومسجد بالوادي، اليوم، وادي القرى، ومسجد بالرقعة من الشقة، شقة بني عذرة، ومسجد بذي

المروة، ومسجد بالفيفاء، ومسجد بذي خشب ".(١٧٦) (خريطة٥)

أما تبوك التي نسب إليها المسجد الأول فقد ذكرها ياقوت الحموي بقوله " بالفتح ثم الضم، وواو ساكنة، وكاف: موضع بين وادي القرى والشام،... وهو حصن به عين ونخل وحائط ينسب إلي النبي ﷺ،... وأقام النبي، ﷺ، بتبوك أياماً حتى صالحه أهلها ".(١٧٧)

أما ثنية مدران فقد ذكرها ياقوت الحموي بقوله " بكسر الميم: موضع في طريق تبوك من المدينة، بنى النبي، ﷺ، فيه مسجداً في مسيره إلي تبوك".(١٧٨)

أما الزراب فقد ذكرها ياقوت بقوله " الزراب: موضع فيه مسجد رسول الله، ﷺ، بناه في مسيره إلي تبوك من المدينة ".(١٧٩)

أما مسجد الأخضر فقد أورده ياقوت بقوله " الأخضر: بضاد معجمة، بلفظ الأخضر من الألوان: منزل قرب تبوك بينه وبين وادي القرى، كان قد نزله رسول الله، ﷺ، في مسيره إلي تبوك، وهناك مسجد فيه مصلى النبي، ﷺ ".(١٨٠)

أما مسجد ذات الخطمي فقد ورد عنه " الخطمي: ذات الخطمي: موضع فيه مسجد لرسول الله، ﷺ، بناه في مسيره إلي تبوك من المدينة..".(١٨١)

وذكر ياقوت عن مسجد طرف البتراء " البتراء... موضع ذكره في غزوة النبي، ﷺ، لبني لحيان، قال ابن هشام: سلك النبي، ﷺ..وذكر ابن اسحاق في مساجد النبي، ﷺ، في طريقه إلي تبوك فقال: ومسجد بطرف البتراء من ذنب الكواكب".(١٨٢)

كما أورد ياقوت " شق: بكسر أوله ويروى بالفتح، عن الغوري في جامعه: اسم موضع.. وقيل: هو الناحية، والشق، بالفتح، عن الزمخشري، ويروى بالكسر أيضاً: من حصون خيبر".(١٨٣)

كذلك أورد " تاراء: بالراء، قال ابن اسحاق وهو يذكر مساجد النبي، ﷺ، بين المدينة وتبوك فقال ومسجد الشق شق تاراء، قال نصر: تاراء موضع

بالشام".(١٨٤)

أما مسجد ذي الجيفة فقد ذكره ياقوت بقوله " الجيفة: وهو ذو الجيفة: موضع بين المدينة وتبوك: بنى النبي، ﷺ، عنده مسجداً في مسيره إلي تبوك ".(١٨٥)

هذا وقد أورد ياقوت " حوضي بالفتح ثم السكون.. هو اسم ماء لبني طهمان بن عمرو ابن سلمة بن سكن ابن قريط بن عبد بن أبي بكر بن كلاب إلي جنب جبل في ناحية الرمل، وقد تقدم أنه حوضاء ممدود..".(١٨٦)

كما أورد " الحجر: بالكسر ثم السكون.. والحجر: اسم ديار ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام ".(١٨٧)

أما فيما يتعلق بمسجد الصعيد فقد أورد ياقوت " الصعيد: بالفتح ثم الكسر، قال الزجاج: الصعيد وجه الأرض.. والصعيد: واد قرب وادي القرى فيه مسجد لرسول الله، ﷺ، عمره في طريقه إلي تبوك ".(١٨٨)

كما أورد " وادي القرى.. واد بين المدينة والشام من أعمال المدينة كثير القرى، والنسبة إليه وادي..وفتحها النبي، ﷺ، سنة سبع عنوة ثم صولحوا علي الجزية".(١٨٩)

وذكر ياقوت مسجد الرقعة بقوله " الرقعة: بالفتح ثم السكون: موضع قرب وادي القرى من الشقة شقة بني عذرة، فيه مسجد للنبي، عليه الصلاة والسلام، عمره في طريقه إلي تبوك سنة تسع للهجرة ".(١٩٠)

كما أورد " المروة: واحدة المرو.. وذو المروة: قرية بوادي القرى، وقيل: بين خشب ووادي القرى..".(١٩١)

وقد أورد الطبري فيما يتعلق بمسجد الفيفاء " ثم غزا يريد قريشاً، فسلك علي نقب بني دينار بن النجار، ثم علي فيفاء الخبار، فنزل تحت شجرة ببطحاء ابن أزهر، يقال لها: ذات الساق، فصلى عندها، فثم مسجده..".(١٩٢)

قال ياقوت " فيفاء: بالفتح، وتكرير الفاء، الفيف: المفازة التي لا ماء فيها من

الاستواء والسعة... وقيل: الفيفاء الصحراء الملساء، وقد أضيف إلى عدة مواضع، منها: فيفاء الخبار.. وهو بالعقيق..".(١٩٣)

كما أورد " خشب: بضم أوله وثانيه.. واد على مسيرة ليلة من المدينة، له ذكر كثير في الحديث والمغازي ".(١٩٤)

عمارة المسجد بالمنطقة الشرقية بالحجاز وبلاد اليمن في عصر النبي ﷺ

أولاً: مسجد عبد القيس بالمنطقة الشرقية بالحجاز

من الإشارات التاريخية الهامة التي تؤكد علي أن الإسلام عرف عمارة المسجد في حياة النبي ﷺ تلك التي تتعلق بمسجد عبد القيس ١هـ/٦٢٢م، ذلك أن أهل المنطقة الشرقية دخلوا في الإسلام عندما خرج وفدان ووصلا إلي المدينة المنورة، وقد قدم الوفد الأول المدينة علي النبي ﷺ في نهاية السنة الأولى للهجرة، وما إن عاد هذا الوفد حتى قام ببناء أول مسجد في شرق الجزيرة، عرف هذا المسجد بمسجد عبد القيس، وأما الوفد الثاني فقد خرج من المنطقة عام ٨هـ/٦٢٩م.(١٩٥)

ثانياً: مساجد بلاد اليمن (**خريطة ٦**)

(مساجد: ضهر، وصنعاء، وذمار، والجند)

كانت بلاد اليمن في طليعة البلاد التي شهدت بناء المساجد الأولى في صدر الإسلام، وخاصة في حياة النبي ﷺ، وفق ما ورد في المصادر التاريخية، ومن الإشارات التي تدلنا علي ذلك ما أورده الرازي في تاريخه ونصه " قال الكشوري: ذكر بعض المشائخ أن مسجد ضهر بني سنة سنة: يعني في أول سنة التأريخ ".(١٩٦)

ويعد الجامع الكبير(١٩٧) بصنعاء من المساجد الجامعة التي شيدت في حياة النبي ﷺ، وكذلك مسجد ذمار (١٩٨)، ومسجد الجند (١٩٩)، قال الرازي " كان بين عمارة مسجد صنعاء وبين مسجد ذمار أربعون يوماً، وهو المسجد (الثاني) ثم مسجد الجند ومسجد رسول الله ﷺ قبلها ".(٢٠٠)

وتكمن أهمية النص إلي جانب ذكر المساجد الجامعة اليمنية الأولى في أنه يربط ما بين هذه المساجد والمسجد النبوي بالمدينة المنورة في ترتيب تاريخي رائع خلال تلك الفترة من تاريخ الحضارة الإسلامية.

هوامش وتعليقات الفصل الثالث

١) قال الزركشى " لها أسماء كثيرة، وحكمة ذلك أن كثرة الأسماء تدل على عظم المسمى ". مزيد من التفاصيل أنظر: الزركشى: إعلام، صص ٧٨ – ٨٣.

٢) البخارى: صحيح، مج٢، ج٥، صص ٧٢- ٧٣.، الطبرى: تاريخ، مج١، صص ٥٧٢- ٥٧٣.

٣) ابن هشام: السيرة النبوية، تحقيق عمر عبد السلام تدمرى، بيروت، ط ٥، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م، ج١، صص ٢٧٨- ٢٧٩.

٤) ابن هشام: السيرة، ج١، صص ٢٨١- ٢٨٢.

٥) السيد سابق: فقه، ج١، ص ٢٩٣.

٦) البخارى: صحيح، مج ٢، ج٥، صص ٧٤- ٧٥.

٧) البخارى: صحيح، مج ١، ج٣، ص ١٧٣.

٨) البخارى: صحيح، مج ٢، ج٥، صص ٧٣- ٧٤.

٩) السمهودى: وفاء، ج١، صص ٢٥٠- ٢٥١.

١٠) قال السمهودى " والمريد: الموضع الذى يبسط فيه التمر ليبيبس".

السمهودى: وفاء، ج١، ص ٢٥٠.

١١) السمهودى: وفاء، ج١، ص ٣٢٥.

١٢) ابن سعد: الطبقات، ج١، ص ١١٥.

١٣) الطبرى: تاريخ، مج ١، ص ٥٥٩.

قال السمهودى ".. فكان يصلى بهم، وقيل: بعثه إليهم بعد ذلك بطلبهم ليعلمهم ويقرئهم القرآن، فكان يسمى " المقرئ " وهو أول من سمى به، فنزل على أسعد بن زرارة، وقيل: بعث إليهم مصعب بن عمير وابن أم مكتوم، فكان مصعب بن عمير يؤمهم، وذلك أن الأوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمه بعض، فجمع بهم أول جمعة فى الإسلام – وفى الدارقطني عن ابن عباس أن النبى ﷺ

كتب إلى مصعب بن عمير أن يجمع بهم فجمع بهم وكانوا اثني عشر- "
السمهودى: وفاء، ج١، ص ٢٢٤.

١٤) ابن هشام: السيرة، ج٢، ص ١٣٦.، الطبرى: تاريخ، مج ١، ص ٥٧٢.
تقع قباء فى الجنوب الغربى من المدينة المنورة. مزيد من التفاصيل أنظر: أحمد عبد الرازق أحمد: الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى (العلوم العقلية)، دار الفكر العربى، ١٤١١هـ / ١٩٩١م، ص ٢١.، محمد إلياس عبد الغنى: المساجد الأثرية فى المدينة، المدينة المنورة، ط ٢، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م، ص ٢٥.، تاريخ المدينة المنورة (قسم المساجد)، المدينة المنورة، ط ١، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م، ص ٢٠.
أورد الشهرى الروايات الخاصة بمدة بقاء النبى ﷺ بقباء، وهى المدة التى يجملها المراغى بقوله " أقام.. اثنتين وعشرين ليلة.. وفى صحيح مسلم.. أربع عشرة ليلة "، ويشير الشهرى أن المدة التى أوردها ابن هشام تعد كافية لتأسيس المسجد وتحديد جوانبه.
محمد هزاع الشهرى: عمارة المسجد النبوى منذ إنشائه حتى نهاية العصر المملوكي، دار القاهرة، ط ١، ٢٠٠١م، ص ٢٣.

١٥) السمهودي: وفاء، ج١، صص ٢٥٠- ٢٥١.
أورد الزركشى نقلاً عن ابن الجوزى فى تلقيح فهوم أهل الأثر "أول من بنى مسجداً فى الإسلام عمار بن ياسر. قلت: وهو مسجد قباء "، ونقل وليد عبدالله من " التراتيب الإدارية " " بنى ﷺ مسجد قباء أول ما ورد المدينة ووقف على أساسه، قال السهيلي فى " الروض " ذكر ابن قتيبة أن رسول الله ﷺ حين أسس مسجد قباء كان هو أول من وضع حجراً فى قبلته ثم جاء أبو بكر بحجر فوضعه ثم جاء عمر بحجر فوضعه إلى حجر أبى بكر ثم أخذ الناس فى البنيان فقال هذا أول مسجد بنى فى الإسلام ".
الزركشى: إعلام، ص٣١.، وليد عبدالله عبدالعزيز المنيسي: الحسبة على

المدن والعمران، حوليات كلية الآداب، مجلس النشر العلمى، جامعة الكويت، الحولية السادسة عشر، الرسالة المائة وستة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م – ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م، صص ٥٨ – ٥٩.

١٦) سورة التوبة، الآيات ١٠٧- ١٠٩.

١٧) البخارى: صحيح، مج ١، ج٢، صص ٧٦- ٧٧.

١٨) البخارى: صحيح، مج ١، ج٢، ص ٧٧.

١٩) ابن هشام: السيرة، ج٤، صص ١٧١- ١٧٢.

٢٠) ابن هشام: السيرة، ج٢، ص ١٣٦.

ذكرت سعاد ماهر مسجد الجمعة فقالت هو اليوم فى وسط صفصف خال، وفى جهته الشرقية بعض أشجار الطرفاء، وفى جهته الغربية أرض جرداء، وفى جهته الجنوبية بستان، وكذلك فى جهته الشمالية، ويقع هذا المسجد فى بطن وادى رانوناء شرقى الطريق المستحدث إلى مسجد قباء، ويراه سالك هذا الطريق إلى قباء عن يساره.

سعاد ماهر: مساجد، ص ٤٨.

٢١) الطبرى: تاريخ، مج ٢، ص٧.، ابن الأثير: الكامل، ج٢، ص٥.

٢٢) ياقوت الحموى: معجم، مج ٣، ص١٩.

٢٣) السمهودى: وفاء، ج١، ص٢٥٦.

٢٤) الشهرى: عمارة، ص٢٣.

٢٥) البخارى: صحيح، مج ٢، ج٥، ص٧٢.

٢٦) ابن هشام: السيرة، ج٢، صص ١٣٦- ١٣٧.، الطبرى: تاريخ، مج ٢، ص٨.، ابن الأثير: الكامل، مج ٢، ص٥.

٢٧) السمهودى: وفاء، ج١، ص ٣٢٢.

٢٨) السمهودى: وفاء، ج١، ص ٣٢٤.

٢٩) السمهودى: وفاء، ج١، ص ٣٢٥.

٣٠) السمهودى: وفاء، ج١، ص ٣٢٦.

الغرقد: شجيرة تسمو من متر إلى ثلاثة من الفصيلة الباذنجانية، ساقها وفروعها بيض تشبه العوسج فى أوراقها اللحمية وفروعها الشائكة، وأزهارها الطويلة العنق عبقة الريح بيضاء مخضرة، وثمرتها مخروطة تؤكل، وتسمى أيضاً: الغردق. مجمع اللغة العربية: المعجم، ج٢، ص٦٧٥.

٣١) البخاري: صحيح، مج١، ج١، صص١١٦- ١١٧.

٣٢) الشهري: عمارة، ص٢٩.

٣٣) المناصع: موضع خارج المدينة المنورة.

الشهري: عمارة، صص٣٠- ٣١.

٣٤) ابن سعد: الطبقات، ج١، ص١١٥.

٣٥) ابن سعد: الطبقات، ج٣، ص١٣٤.

٣٦) ابن النجار: الدرة الثمينة في تاريخ المدينة، تحقيق محمد زينهم، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص٥٥.

٣٧) وليد عبدالله: الحسبة علي المدن والعمران، ص٦٧.

٣٨) السمهودي: وفاء، ج١، ص٢٦٢.

٣٩) السمهودي: وفاء،ج١، ص٣٣٣.

٤٠) السمهودي: وفاء، ج١، صص٣٣٣- ٣٣٤.

" وعنه أيضاً قال: جئت إلي النبي ﷺ وأصحابه يبنون المسجد، وقال: فكأنه لم يعجبه عملهم، قال: فأخذت المسحاة فخلطت بها الطين، فكأنه أعجبه أخذي المسحاة وعملي فقال: دعوا الحنفي والطين فإنه من أصنعكم للطين ".

السمهودي: وفاء، ج١، ص٣٣٤.

هذا وقد أرسل الرسول ﷺ إلي الملوك في داخل الجزيرة العربية وخارجها يدعوهم إلي الإسلام في السنة السادسة للهجرة، وكان منهم ملكا اليمامة هوذه بن علي، وثمامة بن أثال الحنفي فأتاهما سليط بن عمرو موفدا من قبل الرسول

ﷺ يدعوهما للإسلام، وكان الكثير من أهل المنطقة قد هاجروا إلي المدينة المنورة، نذكر منهم علي سبيل المثال الصحابي طلق بن علي الحنفي الذي أسهم في بناء مسجد الرسول ﷺ، والواقع أن منطقة الرياض التي تقع في موقع متوسط في المملكة العربية السعودية تعرف بعارض اليمامة، ولا يطلق العارض الآن إلا علي جزء منها، وهي المساحة ما بين الشعيب شمالاً والخرج جنوبياً أي مدينة الرياض. مزيد من التفاصيل أنظر: وزارة المعارف، المملكة العربية السعودية: آثار منطقة الرياض، ص ص ٢٠- ٥٤.

٤١) سورة الأنعام، آية ٣.

٤٢) سورة التوبة، الآية ١٠٥:

٤٣) سورة يونس، آية ٦١.

٤٤) سورة الإسراء، آية ٨٤.

٤٥) سورة النمل، آية ٨٨.

٤٦) البخاري: صحيح البخاري، مج ١، ج١، ص٢٣.

٤٧) ابن هشام: السيرة، ج٤، ص٣١٤.

٤٨) الزركشي: إعلام، ص ص ٢٥٨ – ٢٥٩.

٤٩) السيد سابق: فقه السنة، ج١، ص ٢٨٨.

٥٠) الزركشي: إعلام، ص ٣٦٤.

٥١) مجمع اللغة العربية: المعجم، ج١، ص١٠٧.

٥٢) سورة آل عمران، آية ٣٧.

٥٣) سورة آل عمران، آية ٣٩.

٥٤) سورة مريم، آية ١١.

٥٥) سورة ص، آية ٢١.

٥٦) سورة سبأ، آية ١٣.

٥٧) الشهري: عمارة، ص٣٨.

البسطة هي قامة الرجل مع رفع اليد لأعلي. الشهري: عمارة، ص٣٤ هامش ٦.

٥٨) ابن النجار: الدرة، ص١٤٦.

٥٩) ابن سعد: الطبقات، ج١، ص ص ١١٥- ١١٦.

٦٠) ابن النجار: الدرة، ص ١٤٧.، الشهري: عمارة، ص ٣٨.

٦١) السمهودي: وفاء، ج١، ص ٣٣٥.

٦٢) الشهري: عمارة، ص٣٨.

٦٣) ابن النجار: الدرة، ١٤٧.، مجمع اللغة العربية: المعجم، ج١، ص ص ٥٢٧- ٥٢٨. والخصف من خصفت و " خصفت الشئ إلي الشئ: ضمه إليه.. (أخصف) العريان الورق علي بدنه: خصفه "، والأذخر: حشيش طيب الريح. مجمع اللغة العربية: المعجم، ج١، ص٢٤٧.، الشهري: عمارة، ص ٣٥ هامش ١.

٦٤) السمهودي: وفاء، ج١، ص ٣٣٥.

٦٥) أحمد فكري: مساجد (المدخل)، ص ص١٧٠- ١٧١.

٦٦) مجمع اللغة العربية: المعجم، ج٢، ص ص ٥٩٧- ٥٩٨.

٦٧) سورة الأعراف، آية ١٧١.

٦٨) البخاري: صحيح، مج١،ج١، ص١١٠.

أورد ابن سعد عند ذكره صرف القبلة عن بيت المقدس إلي الكعبة " أخبرنا محمد بن عمر، أخبرنا إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة، عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال: وأخبرنا عبدالله بن جعفر الزهري عن عثمان بن محمد الأخنسي وعن غيرهما أن رسول الله، ﷺ، لما هاجر إلي المدينة صلى إلي بيت المقدس ستة عشر شهراً وكان يحب أن يصرف إلي الكعبة فقال: يا جبريل وددت أن الله صرف وجهي عن قبلة يهود، فقال جبريل: إنما أنا عبد فادع ربك وسله، وجعل إذا صلى إلي بيت المقدس يرفع رأسه إلي السماء، فنزلت عليه: " قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها، فوجه إلي الكعبة إلي الميزاب ".

ابن سعد : الطبقات، ج١، ص١١٦.

٦٩) الطبري: تاريخ، مج٢، صص١٧- ١٨.

" قال أبو جعفر: وقال آخرون: انما صرفت القبلة إلي الكعبة لستة عشر شهراً مضت من سني الهجرة ".

الطبري: تاريخ، مج٢، ص١٨.، ابن الأثير: الكامل، ج٢، ص١٢.

٧٠) الزركشي: إعلام، صص ٢٢٣- ٢٢٤.

أورد ابن سعد عند ذكره الصفة ومن كان فيها من أصحاب النبي، ﷺ " قال: أخبرنا محمد بن عمر الأسلمي قال: حدثني واقد بن أبي ياسر التميمي عن يزيد بن عبدالله بن قسيط قال: كان أهل الصفة ناساً من أصحاب رسول الله، ﷺ، لا منازل لهم، فكانوا ينامون علي عهد رسول الله، ﷺ، في المسجد ويظلون فيه ما لهم مأوى غيره، فكان رسول الله، ﷺ، يدعوهم إليه بالليل إذا تعشى فيفرقهم علي أصحابه وتتعشى طائفة منهم مع رسول الله، ﷺ، حتى جاء الله تعالى بالغنى. قال: أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثني محمد ابن مسلمة عن عمر بن عبدالله عن أبي كعب القرظي في قوله، جل ثناؤه:" للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله "، قال: هم أصحاب الصفة وكانوا لا مساكن لهم بالمدينة ولا عشائر فحث الله عليهم الناس بالصدقة ".

ابن سعد : الطبقات، ج١، ص١٢٣.

٧١) البخاري: صحيح، مج ١، ج١، ص١٢٠.

نقل السمهودي في الصفة وأهلها " قال عياض: الصفة – بضم الصاد وتشديد الفاء – ظلة في مؤخر مسجد النبي ﷺ، يأوي إليها المساكين، وإليها ينسب أهل الصفة علي أشهر الأقاويل. وقال الحافظ الذهبي: إن القبلة قبل أن تحول كانت في شمالي المسجد، فلما حولت القبلة بقي حائط القبلة الأعلي مكان أهل الصفة. وقال الحافظ ابن حجر: الصفة مكان في مؤخر المسجد النبوي مظلل أعد لنزول الغرباء فيه ممن لا مأوى له ولا أهل، وكانوا يكثرون فيه

ويقلون بحسب من يتزوج منهم أو يموت أو يسافر. وقد سرد أسماءهم أبو نعيم في الحلية فزادوا علي المائة، وقد أخرج أبو نعيم في الحلية من مرسل الحسن قال: بنيت صفة في المسجد لضعفاء المسلمين.. وروى البيهقي عن عثمان بن اليمان قال: لما كثرت المهاجرون بالمدينة ولم يكن لهم دار ولا مأوى أنزلهم رسول الله ﷺ المسجد، وسماهم أصحاب الصفة، فكان يجالسهم ويأنس بهم.

السمهودي: وفاء، ج٢، صص٤٥٣- ٤٥٤.

٧٢) مجمع اللغة العربية: المعجم، ج٢، ص٧٤٠.

٧٣) مجمع اللغة العربية: المعجم، ج١، صص٥٣٦- ٥٣٧.

٧٤) السمهودي: وفاء، ج١، صص٣٣٦- ٣٣٧.

يذكر الشهري أن المصادر التي أمكن الاطلاع عليها لم تشر إلي تغيير اتجاه جدار القبلة، وبيت المقدس والمدينة المنورة ومكة المكرمة ليست علي خط طول واحد، ومعنى ذلك أن الإكتفاء بعمل ظلة في المسجد بإزاء جدار القبلة قد يترتب عليه انحراف في ترتيب الصفوف داخل هذه الظلة وباقي المسجد، فالمدينة المنورة تقع علي خط طول ٣٩,٣٦شرقاً، ومكة المكرمة علي خط طول ٤٠,٩ شرقاً، وبيت المقدس علي خط طول ٣٥,١٣ شرقاً، أي أن هناك خط يشبه القوس يربط ما بين هذه المدن الثلاث، ومما يؤيد تشككي في بقاء جدران المسجد علي حالها الأول ما ورد في الروايات، فابن المحجوب ينقل عن ابن زبالة " أنه ﷺ لما أمره الله باستقبال الكعبة أتاه جبريل عليه السلام فرفع له الكعبة، وقال يا رسول الله ابن قبلة مسجدك وأنت تنظر إلي الكعبة فصوب قبلته وهو يشاهدها لا يحال بينه وبينها، حتى إذا فرغ قال جبريل للجبال والشجر هكذا وأشار إليها فعادت كما كانت ".

الشهري: عمارة، ص٤٣.

٧٥) السمهودي: وفاء، ج١، ص٣٦٤.

٧٦) الشهري: عمارة، ص٤٢.

٧٧) الزركشي: إعلام، ص٢٥٨.

٧٨) عبدالرحمن الجزيري: كتاب الفقه علي المذاهب الأربعة، مؤسسة المختار، القاهرة، الطبعة الأولي، ٢٠٠١م، ج١، ص ١٥٣.

٧٩) عبدالرحمن الجزيري: كتاب الفقه، ج١، ص١٥٣.

" الشافعية قالوا: يجب علي من كان قريباً من الكعبة أو بعيداً عنها أن يستقبل عين الكعبة، أو هوائها المتصل بها.. ولكن يجب علي القريب أن يستقبل عينها أو هوائها يقيناً بأن يراها أو يلمسها أو نحو ذلك مما يفيد اليقين،أما من كان بعيداً عنها فإنه يستقبل عينها ظناً لاجهتها علي المعتمد، ثم إن الانحراف اليسير يبطل الصلاة إذا كان بالصدر بالنسبة للقائم والجالس، فلو انحرف القائم أو الجالس في الصلاة بصدره بطلت أما إذا انحرف بوجهه فلا، والانحراف بالنسبة للمضطجع يبطل إذا كان بالصدر أو بالوجه وبالنسبة للمستلقي يبطل إذا انحرف بالوجه أو بباطن القدمين ".

الجزيري: الفقه، ج١، ص ص ١٥٣ - ١٥٤.

٨٠) سورة البقرة: آية ١٤٢.

٨١) سورة البقرة، آية ١٤٣.

٨٢) سورة البقرة، آية ١٤٥.

٨٣) سورة البقرة، آية ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠.

٨٤) الشهري: عمارة، صص٥١ -٥٥.

يذكر الشهري أنه فيما يتعلق بالوصف الدقيق لظلتي المسجد فإن كتب التاريخ لم تزودنا بما يكفي لمعرفة حال الظلة الأولى، إلا أنها قد أعطتنا من الإشارات ما يكفى لترسم حال الظلة الثانية، فمن المعروف أن الرسول ﷺ قد اتخذ مصلاه بإزاء جدار القبلة من أول يوم أمر فيه بالتوجه فى صلاته إلى الكعبة، ولابد أن الرسول ﷺ كان يتوسط المصلين فى صلاته وينتهى الشهرى إلى أن الظلة التى أقيمت خلف جدار القبلة الجنوبى كانت تتألف من

ستة أعمدة تمتد من الشرق إلى الغرب ومن سبع بوائك تمتد عمودية على جدار القبلة، ويضيف وإن كنت قد توصلت إلى معرفة عدد أسطوانات رواق القبلة من الشرق إلى الغرب فإننى لم أهتد إلى معرفة عدد الأسطوانات الممتدة من جدار القبلة إلى رحبة المسجد، علماً بأن طول الجدار الممتد من الشمال إلى الجنوب هو سبعون ذراعاً على أشهر الروايات التى اعتمد عليها.

الشهرى: عمارة، ص ٥٠.

٨٥) البخارى: صحيح، مج ١، ج١، ص١٢١.

٨٦) أحمد فكرى: المدخل، ص ١٨٧.

يذكر أحمد فكرى أن جميع البناة فى العصور التالية احتفظوا بمواضع الأساطين الأولى فى مسجد الرسول ﷺ وأبقوا محرابه ومنبره فى موضعهما منه، وكذلك احتفظوا بمواضع الأبواب الثلاثة التى كانت بذلك المسجد، وما زالت تعرف بأسمائها، وهى باب جبريل، وسط الجدار الشرقى، وباب النساء فى شمال هذا الجدار يقابله باب الرحمة فى الجدار الغربى.

أحمد فكرى: المدخل، ص ١٨٧.

٨٧) السمهودى: وفاء، ج٢، ص ٦٥٥.

٨٨) السمهودى: وفاء، ج٢، ص ٦٥٦.

٨٩) التهانوى (محمد أعلى بن على): موسوعة اصطلاحات العلوم الإسلامية المعروف بكشاف اصطلاحات الفنون، نشر خياط، بيروت، لبنان، ١٩٦٦م، ج١، ص ٩٣.، الزمخشرى (جارالله أبى القاسم محمود بن عمر): أساس البلاغة: باب ع ل م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٣، ١٩٨٥م، ج٢، ص ١٣٩.، وزارة الأوقاف، قسم المساجد، كتاب الفقه على المذاهب الأربعة، قسم العبادات، دار الكتب المصرية، ط١، القاهرة، ١٩٢٨م، ص ٢٦٣.

٩٠) السيد سابق، فقه، ج١، ص ١٣٢.

٩١) النووى (أبو زكريا محى الدين): تهذيب الأسماء واللغات، إدارة الطباعة

المنيرية، مصر، ق٢، ج١، ص٦.

٩٢) ابن منظور: لسان العرب، ج١، صص ٥١- ٥٣.

٩٣) النووي: تهذيب، ق٢، ج١، ص٦.

٩٤) كأنه نادى مرارا أيتها العير والعير ما أمتير عليه من الحمير والإبل والبغال.
أنظر: القرطبي (أبى عبدالله الأنصاري): الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربى، بيروت، لبنان، ١٩٦٦م، ج٩، ص٢٣٠.

٩٥) يروى أن طاوساً دخل على هشام بن عبد الملك فقال له: اتق الله واحذر يوم الأذان فقال وما يوم الأذان؟ قال: قوله تعالى " فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين " فصعق هشام، فقال طاوس: هذا ذل الصفة فكيف ذل المعاينة؟.
القرطبي: الجامع، ج٧، ص٢١٠.

٩٦) سورة التوبة، آية ٣.

٩٧) سورة الأعراف، آية ٤٤.

٩٨) سورة يوسف، آية ٧٠.

٩٩) سورة الحج، آية ٢٧.

١٠٠) سورة المائدة، آية ٥٨.

١٠١) سورة الجمعة، آية ٩.

١٠٢) ابن منظور: لسان، ج١، ص٥٣.

١٠٣) المقري الفيومي (أحمد بن محمد بن على): المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، باب الألف مع الذال وما يثلثهما، المطبعة الأميرية ببولاق مصر، ط١، ١٣٢١هـ / ١٩٠٣م.

١٠٤) ابن سعد: الطبقات، ج١، ص ١١٩.، الجزيرى: الفقه، ج١، صص ٢٤١- ٢٤٢.

١٠٥) سورة المائدة، آية ٥٨.

١٠٦) سورة الجمعة، آية ٩.

١٠٧) رواه البخاري.

١٠٨) رواه أحمد عن أبى الدرداء، وأخرجه النسائى وابن حبان والحاكم وقال: صحيح الإسناد، وأخرجه أبو داود ولفظه: " ما من ثلاثة في قرية.. ".
الشوكاني: نيل الأوطار، ج٢، ص٣١.

١٠٩) الشوكاني: نيل الأوطار، ج٢، ص٣١.

١١٠) أنظر عن كيفيات ورود الأذان: السيد سابق: فقه السنة، ج١، ص ١٣٥.

١١١) سورة الأعراف، آية ٤٤.

١١٢) سورة يوسف، آية ٧٠.

١١٣) كان يوجد في مكة أناس خاصون بدعوة الناس إلى الاجتماع يسمى الواحد منهم المنادى والمؤذن، وقد أثرت تقاليد مكة السياسية تأثيراً قوياً في تطور المسلمين السياسي، وقد صار عند النبى ﷺ جماعة من المنادين أو المؤذنين أشهرهم بلال رضى الله عنه استخدمهم الرسول ﷺ للدعوة إلى الإجتماعات للصلاة خاصة.
عبد العزيز الدورى: النظم الإسلامية، صص ٩- ١٠.، حسن الباشا: الألقاب الإسلامية، ج٣، ص ١١٦٤.

١١٤) ابن قدامة: المغنى، ج١، ص ٤٠٣.

١١٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٣، ص١٢٥.، السكتوارى (علاء الدين على): محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر، ص٩٥.

١١٦) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٣، ص١٢٥.

١١٧) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٣، ص١٢٥.

١١٨) ابن الأثير: أسد، مج ٢، صص ٤٥٦- ٤٥٧.

١١٩) الدارقطنى: سنن الدار قطنى، تحقيق السيد عبدالله هاشم، دار المحاسن، القاهرة، دار المعرفة، بيروت، المدينة المنورة، الحجاز، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م، ج١، ص ٢٣٦.، القسطلانى: شرح الإمام الزرقانى المالكي على المذاهب اللادنية،

المطبعة الأزهرية المصرية، ط١، ١٣٢٦هـ، ج٣، ص ٣٧٠.

١٢٠) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٣، ص١٢٦.

١٢١) المقريزي (تقي الدين أبى العباس أحمد بن على) ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط٢، ١٩٨٧م، ج٢، ص٢٧٠.

١٢٢) عبد الحى الكتاني: نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، بيروت، ج١، ص٧٦.

١٢٣) المناوى: فيض القدير، ط١، ١٣٥٦هـ / ١٩٣٨م، ج٥، ص ١٧٩.

١٢٤) لبيب السعيد: الأذان والمؤذنون، الهيئة المصرية العامة للتأليف، ١٩٧٠م، ص ٢٠.

١٢٥) النووي: تهذيب الأسماء واللغات، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، ق١، ج٢، صص ٢٦٦ – ٢٦٧.، عبد الحى الكتاني: التراتيب، ج١، ص ٧٧.

١٢٦) ابن سعد: الطبقات، ج٣، ص١٢٦.، المقريزي: الخطط، ج٢، ص٢٧٠.

١٢٧) ابن سعد: الطبقات، ج٨، ص٤٤٤.

١٢٨) السمهودى: وفاء، ج٢، ص٥٣٠.

١٢٩) الزركشي: إعلام، صص ٥٩ – ٦٠.

١٣٠) سورة آل عمران، آية ٩٦.، حسن الباشا: مدخل إلى الآثار الإسلامية، دار النهضة العربية، القاهرة، صص ١٠٩ – ١١٠.

١٣١) مجمع اللغة العربية: المعجم، ج١، ص٣٣٦.

١٣٢) مجمع اللغة العربية: المعجم، ج١، ص٣٣٧.

١٣٣) مجمع اللغة العربية: المعجم، ج٢، ص٨٢١.

١٣٤) حسن الباشا: مدخل، صص ٢٢ – ٢٤.، وزارة المعارف، وكالة الآثار والمتاحف: آثار منطقة مكة المكرمة، ص١٦٢.

١٣٥) حسن الباشا: مدخل، ص٢٥.، مجمع اللغة: المعجم، ج١، ص٢١.

١٣٦) ابن عبدالحكم (أبى القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن الحكم بن أعين القرشي المصري) ت ٢٥٧هـ / ٨٦٧م: فتوح مصر وأخبارها، صفحات من تاريخ مصر (١٠)، مكتبة مدبولى، القاهرة، ط١، ١٤١١هـ / ١٩٩١م، ص٩٧.

١٣٧) مزيد من التفاصيل عن تقييم المخططات التي وضعت عن عمارة المسجد النبوي في عصر النبى ﷺ وأثر العقيدة أنظر: محمد محمد الكحلاوى: القيم الدينية وأثرها في تخطيط عمارة المساجد، دراسات في علم الآثار والتراث، الجمعية السعودية للدراسات الأثرية، قسم الآثار والمتاحف، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض، العدد الأول، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، صص١٧٨- ١٧٩.، الشهري: عمارة، صص ٥٧ – ٦١.، أحمد رجب محمد على: المسجد النبوي بالمدينة المنورة ورسومه في الفن الإسلامي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، صص ٢٢- ٣٥.

١٣٨) أحمد فكرى: المدخل، ص١٨٤.

١٣٩) الشهري: عمارة، ص٥٧.

١٤٠) الشهري: عمارة، صص٥٧ – ٥٨.

١٤١) الشهري: عمارة، ص٥٨.

١٤٢) الشهري: عمارة، صص ٥٨- ٥٩.

١٤٣) الشهري: عمارة، صص ٥٩ - ٦٠.

١٤٤) أحمد فكرى: المدخل، صص ١٨٤ – ١٨٧.

١٤٥) الشهري: عمارة، ص ٦٠.

١٤٦) الشهري: عمارة، ص ٦٠.

١٤٧) حسن الباشا: مدخل، صص١٢٠- ١٢١.، الشهري: عمارة، صص ٦٠- ٦١.

١٤٨) الشهري: عمارة، ص ٦١.

149) Creswell: The Evolution Of The Minaret , P.7 , Sauvaget , J:La Mosquee De Medine, Paris, 1947, P. 126.

150) Creswell: The Evolution , P. 7. , Sauvaget:La Mosquee , P.

126.

١٥١) مزيد من التفاصيل أنظر: الشهري: عمارة، صص ٧٣- ٧٧.

يذكر الشهري أن خشب الآثل هو الصحيح لوجوده بكثرة فى المدينة ونواحيها. الشهري: عمارة، صص٧٣- ٧٧.

١٥٢) السمهودى: وفاء، ج٢، ص٣٨٨.

١٥٣) البخاري: صحيح، مج ١، ج١، ص ١٢٢.

١٥٤) ابن النجار: الدرة، ص١٦٠.

مزيد من التفاصيل عن صانع المنبر ومساحته أنظر الروايات التى أوردها السمهودى.

السمهودى: وفاء، ج٢، صص ٣٩٠- ٣٩١، ٣٩٥، ٤٠٢.

١٥٥) السمهودى: وفاء، ج٢، ص٣٩٨.

١٥٦) السمهودى: وفاء، ج٢، صص ٤٥٨- ٤٥٩.

العرعر- بوزن جعفر – هو شجر السرو، والساج: شجر يعظم جداً، وخشبه أسود رزين لا تكاد الأرض تبليه، ومنبته بلاد الهند.

السمهودى: وفاء، ج٢، ص٤٥٨ هامش١.

١٥٧) الزركشي: إعلام، ص٢٢٤.، أحمد فكرى: مساجد الإسلام، مسجد القيروان، مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر، ١٣٥٥هـ / ١٦٣٦م، صص ٤٦- ٤٧.

١٥٨) السمهودى: وفاء، ج٢، ص٤٦٤.

١٥٩) ابن النجار: الدرة، ص١٥٢.

١٦٠) الزركشي: إعلام، ص ٢٢٤.، السمهودى: وفاء، ج٢، ص٥٤١.

١٦١) السمهودى: وفاء، ج٢، ص٤٦٤.

١٦٢) ابن النجار: الدرة، ص٥٥.

١٦٣) ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م، مج ٥، ص٨٦.

١٦٤) محمد عبد الستار عثمان: المدينة الإسلامية، عالم المعرفة، ١٢٨، الكويت،

ذو الحجة ١٤٠٨هـ / أغسطس / آب ١٩٨٨م، صص٥٣- ٥٦.

١٦٥) السمهودى: وفاء، ج٢، ص٧٤٧.

١٦٦) محمد عبد الستار عثمان: المدينة الإسلامية، صص ٥٦- ٦١.

١٦٧) السمهودى: وفاء، ج١، ص٣٠٠.

١٦٨) الطبري: تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، مج ٢، ص٩١.

١٦٩) الطبري: تاريخ، مج ٢، ص٩١.

١٧٠) الطبري: تاريخ، مج ٢، صص ٩١- ٩٢.، ابن الأثير: الكامل، ج٢، صص ٦٥- ٦٦.

١٧١) محمد عبد الستار عثمان: المدينة الإسلامية، صص٥٩- ٦٠.

١٧٢) السمهودى: وفاء، ج١، ص١٢٩.

١٧٣) ابن الأثير: الكامل، ج٢، ص٦٧.

١٧٤) سورة النور، آية ٦٣.

١٧٥) سورة النور، آية٦٢. أنظر: ابن الأثير: الكامل، ج٢، صص ٦٥- ٦٦.

١٧٦) ابن هشام: السيرة، ج٤، صص ١٧٢- ١٧٣.

ورد " تبوك " مسجد الرسول ﷺ: كان المسجد بناءً طينياً سقفه من جريد النخيل حتى تم تجديده. مزيد من التفاصيل أنظر: وزارة المعارف، المملكة العربية السعودية، وكالة الآثار والمتاحف، آثار منطقة تبوك، ص١٨٢.

١٧٧) ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج ٢، صص ١٤- ١٥.

١٧٨) ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج ٢، ص ٨٥.

١٧٩) ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج ٣، ص ١٣٥.

١٨٠) ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج ١، ص ١٢٣.

١٨١) ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج ٢، ص ٣٧٩.

١٨٢) ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج ١، ص ٣٣٥.

١٨٣) ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج ٣، ص ٣٥٥.

١٨٤) ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج ٢، ص٦.

١٨٥) ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج ٢، ص ٢٠١.

١٨٦) ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج ٢، ص ٢٣١.

١٨٧) ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج ٢، صص ٢٢٠- ٢٢١.

١٨٨) ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج ٣، ص ٤٠٨.

١٨٩) ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج ٥، ص ٣٤٥.

١٩٠) ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج ٣، ص ٥٨.

١٩١) ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج ٥، ص ١١٦.

١٩٢) الطبري: تاريخ، مج ٢، ص١٢.

١٩٣) ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج ٤، ص ٢٨٥.

١٩٤) ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج ٢، ص ٣٧٢.

١٩٥) تشغل المنطقة الشرقية القسم الشرقى من المملكة العربية السعودية المتاخم لشريط الساحل الغربى للخليج العربي، وتمثل أراضى المنطقة الشرقية مساحة عظيمة على هيئة المثلث، يمثل ساحل الخليج العربي ضلعه الشرقى، بينما يمثل ضلعه الثانى النطاق الجغرافى المتاخم لمنطقة الرياض ومنطقة الحدود الشمالية ومنطقة نجران، فى حين يمثل قاعدته خط الحدود الجنوبية للمملكة سلطنة عمان والجمهورية اليمنية.

وزارة المعارف، المملكة العربية السعودية، وكالة الآثار والمتاحف: آثار المنطقة الشرقية، صص ٢١، ١٠٤.

١٩٦) الرازي: تاريخ مدينة صنعاء، تحقيق حسين عبد الله العمري، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سورية، ط٣، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، صص ١٢٧- ١٣٣.، مصطفى عبد الله شيحة: مدخل إلى العمارة والفنون الإسلامية فى الجمهورية اليمنية، ط١، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م، صص

٢٩- ٣٠.، Creswell: A Short Account , P.83.

١٩٧) مصطفى شيحة: مدخل، صص٣٠- ٣١.

١٩٨) الرازى: تاريخ، ص١٣٩.، مصطفى شيحة: مدخل، صص٥٢- ٥٣.

١٩٩) الرازي: تاريخ، ص ١٣٩.

٢٠٠)الرازي: تاريخ، ص١٣٩.

الفصل الرابع

الآثار المعمارية في عهدي

أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما

الخليفة أبو بكر الصديق رضى الله عنه (١١-١٣هـ/٦٣٢-٦٣٤م)

هو " عبدالله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي التيمي، أبو بكر الصديق بن أبي قحافة، واسم أبي قحافة: عثمان، وأمه أم الخير سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، وهي ابنة عم أبي قحافة، وقيل: اسمها: ليلى بنت صخر بن عامر. قاله محمد بن سعد، وقال غيره: اسمها سلمى بنت صخر بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم "(١)، " يلتقى هو ورسول الله، ﷺ، عند مرة بن كعب "(٢)، وكان يسمى في الجاهلية عبد الكعبة، فسماه الرسول ﷺ عبدالله، وقد اشتهر بألقاب كثيرة أشهرها: أبو بكر، والصديق، وعتيق، ويقال: أنه سمي بأبي بكر لتبكيره بالدخول في الإسلام.(٣)

حصل أبو بكر الصديق رضي الله عنه علي البيعة الخاصة في إجتماع سقيفة بني ساعدة، وسقيفة بني ساعدة هي صفة مظللة كانوا يجتمعون فيها لتبادل المشورة، وكانت لبني ساعدة بن كعب بن الخزرج، فالسقيفة لغة من " (سقف) البيت ونحوه – سقفاً: عمل له سقفاً.. (السقف): غطاء المنزل ونحوه، وهو أعلاه المقابل لأرضه.. (ج) سقوف، وأسقف. وسقف..(السقيفة): العريش يستظل به. وسقيفة بني ساعدة: ظلة كانت لهم بايع تحتها المسلمون أبا بكر الصديق رضي الله عنه بالخلافة "(٤)، وكان الأنصار قد بادروا بالإجتماع فيها لما علموا بوفاة رسول الله ﷺ، وأخذوا يتداولون في أمر من يخلفه، واتجهت أنظارهم حينذاك إلي إختيار سعد ابن عبادة الخزرجي خليفة للنبي ﷺ في حكم الدولة الإسلامية الناشئة، ولما علم المهاجرون باجتماع السقيفة ذهب ثلاثة منهم هم: أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم، وهناك خطب أبو بكر رضي الله عنه في الحاضرين وأقر بفضل الأنصار. غير أنه أوضح أن العرب لن تدين إلا إلي قريش وقدم للخلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أو أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، لكن أحداً من هذين الرجلين لم يرض لنفسه أن يتقدم علي أبي بكر

رضي الله عنه، وبادر عمر رضي الله عنه ببيعة أبي بكر رضي الله عنه، وحينئذ توالى الحاضرون علي بيعة أبي بكر رضي الله عنه، فلما كان الغد جلس أبو بكر علي المنبر في المسجد وبايعه الناس البيعة الكبرى أو العامة.(٥)

حفل عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه – علي الرغم من قصره – بأحداث جسام ذات تأثير عظيم، ولم يقتصر هذا الأثر علي العرب وحدهم، وإنما شمل البشرية جمعاء كما يذكر محمد عبد الفتاح عليان، فقد أسهم أبو بكر رضي الله عنه بدور خالد في توجيه تلك الأحداث، وقادها بمهارة منقطعة النظير، تشهد له بشدة الإخلاص وعظم الكفاءة، وكان من أهم تلك الأحداث " بعث أسامة " فقد كان أول أمر أصدره أبو بكر رضي الله عنه بعد أن تمت له البيعة بالخلافة في اليوم التالي لوفاة النبي ﷺ أن قال " ليتم بعث أسامة "، والمعروف أن الرسول ﷺ كان قد أعد حملة من المهاجرين والأنصار، بقيادة مولاه أسامة بن زيد لغزو أطراف الشام الجنوبية المتاخمة لشبه الجزيرة العربية، وكانت هذه الأطراف تخضع وقتذاك لنفوذ الروم الذين احتدم العداء بينهم وبين المسلمين، وبخاصة بعد غزوتي مؤتة وتبوك.(٦)

ومن هذه الأحداث حركة الردة، فقد ظهرت الردة أول ما ظهرت في بلاد اليمن، لأن النزاع بين أهلها وأهل الحجاز قديم، كما كانت هذه البلاد مسرحاً لأديان شتى، فقام أحد الكهان اليمنيين المعروف بالأسود العنسي بإثارة قومه للتخلص من المسلمين، وادعى النبوة مما مكن الرسول ﷺ من التصدي له فانتهى الأمر بالتخلص منه، ولقد لعبت العصبية القبلية دوراً بارزاً في حركة الردة، لأن زعماء القبائل الذين ادعوا النبوة كانوا يعبرون عن نزعات قبلية مثل طليحة بن خويلد الأسدي من بني أسد، ومسيلمة بن حبيب الحنفي من قبيلة بني حنيفة التي باليمامة، وكان المرتدون صنفين: المتنبئون، ومانعوا الزكاة، وقد إنتهت حروب الردة بانتصار المسلمين وتثبيت العقيدة الإسلامية، وإعتزاز العرب بالخلافة وشعورهم بالثقة المطلقة في أنفسهم وبالقوة في إتحادهم فانطلقوا يفتحون البلدان

وينشرون دين الله في الأرض، وكان من نتائج حروب الردة جمع القرآن الكريم من خلال لجنة أمر بتشكيلها الصديق رضي الله عنه برئاسة زيد بن ثابت، أحد كتاب الوحي، فقامت بتدوين القرآن كله في صحف " فكانت هذه الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حتى توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنها ، وقد صارت هذه الصحف مصدراً للمصحف الذي أ مر عثمان بن عفان رضي الله عنه بكتابة عدة نسخ منه وتوزيعها علي جهات الدولة الإسلامية، فتحقق بذلك قوله تعالى " إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ".(٧)

المسجد النبوي
في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه

نقل السمهودي " روينا في صحيح البخاري وسنن أبي داود عن نافع أن عبدالله – يعني ابن عمر – أخبره أن المسجد كان علي عهد رسول الله ﷺ مبنيا باللبن، وسقفه الجريد، وعمده خشب النخل، فلم يزد فيه أبو بكر شيئاً، وزاد فيه عمر.. وروى أبو داود أيضا – وسكت عليه – عن عطية عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: إن مسجد النبي ﷺ كانت سواريه علي عهد رسول الله ﷺ من جذوع النخل، أعلاه مظلل بجريد النخل، ثم إنها نخرت في خلافة أبي بكر رضي الله عنه فبناها بجذوع النخل وبجريد النخل ".(٨)

وفي موضع آخر أورد السمهودي ما نصه " وهو لا ينافي رواية أنه لم يزد فيه، وقال أهل السير: لم يزد أبو بكر في المسجد شيئاً لأنه اشتغل بالفتح، فلما ولي عمر قال: إني أريد أن أزيد في المسجد ".(٩)

مما تقدم يتضح أن الأحداث التي مرت بها الدولة الإسلامية الناشئة بعد وفاة الرسول ﷺ، أي في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه والتي تمثلت في حملة أسامة بن زيد من جهة، وحركة الردة (المتنبئون – مانعوا الزكاة) من جهة أخرى كما تقدم قد أثرت تأثيراً عميقاً في الدولة الإسلامية من كافة الجوانب ومنها بطبيعة الحال الناحية المعمارية، ومن ثم لم يقم الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه بالزيادة في عمارة المسجد النبوي بالمدينة المنورة، أو المسجد الحرام بمكة المكرمة، وهو الأمر الذي يتضح جلياً من خلال ما أورده السمهودي وتقدم ذكره " لأنه اشتغل بالفتح "، ويزكي هذا الأمر قصر فترة حكم الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، حيث توفي في سنة ١٣هـ/٦٣٤م، أي أنه حكم سنتين تقريباً، وهى الفترة التي قضاها في تثبيت أركان الدولة الإسلامية الناشئة من جهة، والعقيدة الإسلامية من جهة أخرى تمهيداً لإنطلاق الفتوحات الإسلامية شرقاً وغرباً ونشر الدين الإسلامي، وعلي الرغم من أن الآراء أجمعت علي أن أبا بكر الصديق

رضي الله عنه لم يزد في المسجد النبوي أو غيره من المساجد إلا أنه أغلب الظن إستبدل جذوع النخل ومن ثم السقف المكون من جريد النخل بجريد جديد لتأثر الجذوع والجريد، وهو الأمر الذي لا يتعارض مع كونه لم يزد في المسجد النبوي كما أورد السمهودي وتقدم ذكره "وهو لا ينافي رواية أنه لم يزد فيه"، وبالتالي ظل المسجد النبوي من صحن وظلتين إحداهما شمالية لأهل الصفة، والأخرى جنوبية للصلاة، أي أن المسجد ظل من الناحية المعمارية الوظيفية من صحن مكشوف وظلة جنوبية للصلاة.

الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

(١٣-٢٣هـ/٦٣٤-٦٤٤م)

هو " عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزي بن رياح بن عبدالله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي القرشي العدوي، أبو حفص. وأمه حنتمة بنت هاشم ابن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم. وقيل: حنتمة بنت هشام بن المغيرة، فعلى هذا تكون أخت أبي جهل، وعلي الأول تكون ابنة عمه – قال أبو عمر: ومن قال ذلك – يعني بنت هشام – فقد أخطأ، ولو كانت كذلك لكانت أخت أبي جهل والحارث ابني هشام، وليس كذلك وإنما هي ابنة عمهما.. وكان يقال لهاشم جد عمر: ذو الرمحين "(١٠)، وقد كناه الرسول ﷺ بعد أن اعتنق الإسلام بأبي حفص، وكانت له مكانة خاصة في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، حيث كان الصديق رضي الله عنه يستعين بمشورته في سياسة الدولة، وظل علي القضاء، وآذر أبا بكر رضي الله عنهما في دعوة المسلمين للجهاد بعد الإنتهاء من القضاء علي حركة الردة.(١١)

وقع اختيار الصديق رضى الله عنه علي عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليكون خليفة له، واستشار في ذلك من حضره بالمدينة من المسلمين، فرأى منهم تأييداً لرأيه وتزكية لعمر، فكتب له عهداً، وكان تثبيت الوحدة السياسية للعرب وتوطيد دعائمها في مقدمة ما عني به، ويجمع المؤرخون علي أن عمر رضي الله عنه هو الذي وضع أسس النظام الإداري في الدولة الإسلامية الذي يتمثل في الوالي الذي كان بمثابة نائب عنه في الولاية، يؤم المسلمين في الصلاة، ويقود الجند، ويدير شئون الولاية، وكان الولاة يستشيرون الخليفة ويحرصون علي أخذ موافقته في كثير من الأعمال التي يقومون بها، كما عين موظفاً مالياً كبيراً بجانب كل وال أطلق عليه صاحب الخراج، وكان مسئولاً أمام الخليفة وليس للوالي سلطان عليه، وكان الولاة يجمعون بين السلطتين التنفيذية والقضائية، غير أن الفاروق رضي الله عنه اضطر إلي فصل قضاء المدينة عن سلطته وإقامة الصحابي أبي الدرداء عليه،

كما فصل السلطة القضائية في كثير من الولايات عن الوالي، وكان القاضي في كل من البصرة والكوفة والفسطاط يخضع للخليفة مباشرة وليس للوالي أي سلطان عليه، وبهذا يكون عمر رضي الله عنه قد طبق مبدأ الفصل بين السلطات.(١٢)

عين الخليفة عمر رضي الله عنه بالنسبة للمدن والقرى داخل كل ولاية عمالاً يقومون بإدارتها من الناحية العسكرية وتسلم مبالغ الضرائب المقررة، أما جمع الضرائب وتسجيلها فكان يقوم بها عمال من أهل البلاد، ولذلك ظلت السجلات الرسمية في البلاد المفتوحة تكتب باللغات التي كانت سائدة قبل الفتح، وكانت جزيرة العرب مقسمة إلي خمس ولايات هي مكة، والطائف، وصنعاء، والجند، والبحرين، أما العراق فقد قسم إلي ولايتين هما: البصرة، والكوفة، وبمضي الزمن صار الوالي في كل من هاتين الولايتين يشرف علي ما يلي ولايته شرقاً، وكان أول من تولى البصرة هو عتبة بن غزوان، وأول من تولى الكوفة هو سعد بن أبي وقاص، أما بلاد الشام فقد أبقى عمر رضي الله عنه علي نظام الأجناد الذي كان متبعاً في عهد الروم، وفي النهاية جمع عمر رضي الله عنه لمعاوية بلاد الشام، أما مصر فقد جعلها رضي الله عنه ولاية واحدة، وعين عليها عمرو بن العاص، وإن كان قد إقتطع منه صعيد مصر قرب نهاية خلافته، وولى عليه عبدالله بن سعد بن أبي سرح.(١٣)

قصر الفاروق عمر رضي الله عنه الجندية علي العرب دون غيرهم، بحكم أن الإسلام لم يكن قد انتشر بين شعوب البلاد المفتوحة بعد، وربما كان من بين الأسباب التي حملته علي عدم تقسيم الأراضي المفتوحة بين الجند حرصه علي أن يتفرغوا لمهمة الحرب والجهاد، وفي مقابل ذلك أنشأ للجند ديواناً قرر به عطاءً سنوياً لهم ولذويهم، كما حرص علي أن يقيم الجند في معسكرات بعيدة عن العمران، ومن ثم حرص الفاروق رضي الله عنه علي إنشاء الأمصار الإسلامية في العراق ومصر كما تقدم.(١٤)

المسجد النبوي في خلافة عمر رضي الله عنه

سن الرسول ﷺ الزيادة في المسجد النبوي إذا دعت الضرورة إلي ذلك، وقد أورد السمهودي عند ذكره زيادة عمر رضي الله عنه في المسجد النبوي ما نصه " وقال أهل السير: لم يزد أبو بكر في المسجد شيئاً لأنه اشتغل بالفتح، فلما ولي عمر قال: إني أريد أن أزيد في المسجد، ولولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقول " ينبغي أن يزاد المسجد " ما زدت فيه شيئا".(١٥)

كما أورد " وأسند ابن زبالة عن أنس قال: لما توفي رسول الله ﷺ وولي أبو بكر لم يحول المسجد، فلما ولي عمر جعل أساطينه من لبن، ونزع الخشب، ومده في القبلة، وكان حد جدار عمر من القبلة، علي أول أساطين القبلة التي إليها المقصورة: أي التي كانت بين صف الأساطين التي تلي القبلة علي الرواق القبلي. والذي في صحيح البخاري وسنن أبي داود.. أن عمر رضي الله عنه زاد في المسجد، وبناه علي بنائه في عهد رسول الله ﷺ باللبن والجريد، وأعاد عمده خشبا، وهذا مخالف لما في رواية ابن زبالة من أن عمر جعل أساطينه من لبن، والمعول عليه رواية الصحيح ".(١٦)

زاد الخليفة عمر رضي الله عنه في القبلة عشرة أذرع أو أسطوانة، وفي الغرب عشرين ذراعاً أو أسطوانتين، وفي الشمال ثلاثين ذراعاً أو ثلاث أسطوانات، ولم يزد في الجهة الشرقية، وبنى الأساسات بالحجر والجدران باللبن، وبلغ ارتفاع السقف أحد عشر ذراعاً، كما عنى بالظلة الشمالية، حيث أوجد باباً للنساء في مؤخر الجدار الشرقي مما يلي هذه الظلة، وبقي المسجد يتكون من صحن وظلتين إحداهما للقبلة والأخرى لأهل الصفة، قال ابن النجار " قال أهل السير.. وبنى أساسه بالحجارة إلي أن بلغ قامة، وجعل له ستة أبواب بابين عن يمين القبلة، وبابين عن يسارها، ولم يغير باب عاتكة، ولا الباب الذي كان يدخل منه النبي ﷺ، وفتح باباً عند دار مروان بن الحكم، وفتح بابين في مؤخر المسجد ".(١٧) (شكل ٢٠)

وقد جاء في صحيح البخاري في باب بنيان المسجد " وقال أبو سعيد كان سقف

المسجد من جريد النخل وأمر عمر ببناء المسجد وقال أكن الناس من المطر وإياك أن تحمر أو تصفر فتفتن الناس، وقال أنس يتباهون بها ثم لا يعمرونها إلا قليلاً، وقال ابن عباس لتزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصاري ".(١٨)

وقد أورد السمهودي فيما يتعلق بفرش المسجد النبوي أن الخليفة عمر رضي الله عنه بعد أن أتم بناء المسجد الشريف بدأ يتشاور مع كبار الصحابة حول فرشه " فقيل له: افرش الخصف والحصر، قال: هذا الوادي المبارك فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول " العقيق واد مبارك " قال: فحصبه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ". (١٩)

ويضيف الشهري أنه يبدو أن سبب فرش المسجد الشريف بالحصباء هو أن الناس إذا رفعوا رؤوسهم من السجود نفضوا أيديهم من التراب فجيء بالحصباء من العقيق من هذه العرصة فبسط في المسجد.(٢٠)

إنارة المسجد النبوي

جاء في إعلام الساجد "يستحب فرش المساجد وتعليق القناديل والمصابيح ويقال: أول من فعل ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما جمع الناس علي أبي بن كعب في صلاة التراويح، ولما رأى علي رضي الله عنه إجتماع الناس في المسجد علي الصلاة والقناديل تزهر وكتاب الله يتلى: قال: نورت مساجدنا، نور الله قبرك يابن الخطاب ".(٢١)

ونقل السمهودي عند ذكره تعليق المصابيح في المسجد " ويستحب تعليق المصابيح في المسجد وقد قدمنا ما يقتضي أن تميما الداري أول من فعل ذلك في زمن النبي ﷺ. وقيل: أول من فعله عمر بن الخطاب، لما جمع الناس في التراويح علي إمام واحد... ".(٢٢)

مدينة البصرة وعمائرها حوالي ١٤هـ/٦٣٥م

أورد البلاذري عند ذكره يوم القادسية ذكر مدينة البصرة التي تعد أول مدينة مصرت في العصر الإسلامي خارج الجزيرة العربية، حيث قال " قالوا: و كانت البصرة قد مصرت فيما بين يوم النخيلة ويوم القادسية مصرها عتبة بن غزوان".(٢٣) (خريطة ٧)

كان تمصير مدينة البصرة في عام ١٤هـ/٦٣٥م تقريباً، قال البلاذري " فولاها (عمر بن الخطاب) عتبة بن غزوان بن جابر بن وهب بن نسيب أحد بني مازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة.. وكان من المهاجرين الأولين.. فأتاها عتبة وانضم إليه سويد بن قطبة ومن معه من بكر بن وائل وبني تميم ".(٢٤)

وكان القائد عتبة قد رأى ضرورة إتخاذ مكان يكون صالحاً للإقامة من جهة، ويكون مركزاً لإنطلاق الجيش من جهة أخرى، فكتب إلي الخليفة عمر رضي الله عنه لما نزل الخريبة يعلمه نزوله إياها وإنه لابد للمسلمين من منزل، فكتب إليه الخليفة " اجمع أصحابك في موضع واحد وليكن قريباً من الماء والرعى وأكتب إلي بصفته، فكتب إليه إني وجدت أرضا كثيرة القصبة في طرف البر إلي الريف ودونها مناقع ماء فيها قصباء، فلما قرأ الكتاب، قال: هذه أرض نضرة قريبة من المشارب والمراعي والمحتطب وكتب إليه أن أنزلها الناس فأنزلهم إياها، فبنوا مساكن بالقصب وبنى عتبة مسجدا من قصب ".(٢٥)

وقال ابن الأثير عند ذكره ولاية عتبة في حوادث سنة ١٤هـ/٦٣٥م " وكان نزول البصرة في ربيع الأول أو الآخر سنة أربع عشرة. وقيل: أن البصرة مصرت سنة ست عشرة بعد جلولاء وتكريت ".(٢٦)

وكانت الأرض التي اختارها القائد عتبة خالية إلا من بعض مسالح قديمة وقصر قديم، فقد ورد في وصفها " وكانت ذات حصى وحجارة سود فقيل أنها بصرة. وقيل أنهم إنما سمّوها بصرة لرخاوة أرضها "(٢٧)، وكانت تقع إلي غرب دجلة، وقد تم حفر نهر يوصلها بدجلة.(٢٨)

وقد عهد القائد عتبة إلي أبي الجرباء عاصم بن دلف بالإشراف علي إنزال الجيش فيها، أما فيما يتعلق بعمائر المدينة الدينية والمدنية فقد بنيت بالقصب، وقد شيد المسجد الجامع في وسط المدينة علي غرار المسجد النبوي بالمدينة المنورة الذي توسط الأنصار والمنازل، قال البلاذري " وبنى عتبة مسجدا من قصب، وذلك في سنة أربع عشرة فيقال أنه تولى اختطاط المسجد بيده ويقال اختطه محجر بن الأدرع البهزي من سليم ويقال اختطه نافع بن الحارث بن كلدة حين خط داره. ويقال بل اختطه الأسود بن سريع التميمي ".(٢٩)

أما دار الإمارة فقد شيدت بالقصب أيضاً شأنها في ذلك شأن بقية عمائر المدينة الدينية والمدنية، قال البلاذري " وبنى عتبة دار الإمارة دون المسجد في الرحبة التي يقال لها اليوم رحبة بني هشام، وكانت تسمى الدهناء... فكانوا إذا غزوا نزعوا ذلك القصب وحزموه ووضعوه حتى يرجعوا من الغزو، فإذا رجعوا أعادوا بناءه فلم تزل الحال كذلك ثم أن الناس اختطوا وبنوا المنازل ".(٣٠)

واختط الناس، وبنوا الدور حول المسجد الجامع ودار الإمارة، وظلت المدينة علي هذا النحو حتى وليها القائد أبو موسى الأشعري (١٧- ١٩هـ/٦٣٨- ٦٤٠م) وفي عهده تعرضت المدينة لحريق التهم قصبها فأرسل الوالي أبو موسى الأشعري إلي الخليفة عمر رضي الله عنه يستأذن في البناء باللبن بدلاً من القصب، فأذن له الخليفة بذلك، قال الطبري " كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وعمرو وسعيد والمهلب، قالوا: ولما نزل أهل الكوفة الكوفة، واستقرت بأهل البصرة الدار، عرف القوم أنفسهم، وثاب إليهم ما كانوا فقدوا. ثم إن أهل الكوفة استأذنوا في بنيان القصب، واستأذن فيه أهل البصرة، فقال عمر: العسكر أجد لحربكم وأذكى لكم، وما أحب أن أخالفكم، وما القصب؟ قالوا: العِكْرِش إذا روي قصب فصار قصباً، قال: فشأنكم، فابتنى أهل المصرين بالقصب. ثم إن الحريق وقع بالكوفة وبالبصرة، وكان أشدهما حريقاً الكوفة، فاحترق ثمانون عريشاً، ولم يبق فيها قصبة في شوال، فما زال الناس يذكرون ذلك.

فبعث سعد منهم نفراً إلي عمر يستأذنون في البناء باللبن، فقدموا عليه بالخبر عن الحريق، وما بلغ منهم – وكانوا لا يدعون شيئاً ولا يأتونه إلا وآمروه فيه – فقال: افعلوا، ولا يزيدن أحدكم على ثلاثة أبيات، ولا تطاولوا في البنيان، والزموا السنة تلزمكم الدولة. فرجع القوم إلي الكوفة بذلك. وكتب عمر إلي عتبة وأهل البصرة بمثل ذلك، وعلي تنزيل أهل الكوفة أبو الهياج بن مالك، وعلي تنزيل أهل البصرة عاصم بن الدلف أبو الجرباء. قال: وعهد عمر إلي الوفد وتقدم إلي الناس ألا يرفعوا بنياناً فوق القدر. قالوا: وما القدر؟ قال: ما لا يقربكم من السرف، ولا يخرجكم من القصد ".(٣١)

وقال ابن الأثير في حوادث سنة ١٧هـ/ ٦٣٨م " ثم إن الحريق وقع في الكوفة والبصرة، وكانت الكوفة أشد حريقاً في شوال، فبعث سعد نفراً منهم إلي عمر يستأذنونه في البنيان باللبن، فقدموا عليه بخبر الحريق واستئذانه أيضاً، فقال: افعلوا ولا يزيدن أحدكم على ثلاثة أبيات، ولا تطاولوا في البنيان، والزموا السنة تلزمكم الدولة. فرجع القوم إلي الكوفة بذلك، وكتب عمر إلي البصرة بمثل ذلك".(٣٢)

طراز تخطيط المسجد في العالم الإسلامي من صحن وظلة للقبلة «مسجد البصرة»:

قام القائد أبو موسى الأشعري بعمارة المسجد الجامع وزاد فيه، وكانت عمارته في هذه الزيادة من مساحة مربعة تنقسم إلي صحن مكشوف وظلة للقبلة علي غرار المسجد النبوي سواء قبل تحويل القبلة أوبعد تحويلها، حيث أن المسجد النبوي كان يشتمل عند تأسيسه علي مساحة مستطيلة مكشوفة، ثم تطور التخطيط نتيجة العوامل البيئية إلي صحن وظلة للقبلة، وبعد تحويل القبلة اشتمل المسجد علي ظلتين إحداهما في الجهة الجنوبية للصلاة، والأخرى في الجهة الشمالية لأهل الصفة، ومن ثم فإن المسجد من الناحية الظاهرية أو الشكلية كان من ظلتين، ولكن من الناحية الجوهرية أو الوظيفية كان من صحن وظلة جنوبية للصلاة، ومن ثم رأى أبو موسى الأشعري الإكتفاء بظلة واحدة علي غرار المسجد

النبوي فجاء المسجد علي هذا النمط من التخطيط، ويعزى هذا إلي عدم حاجة المسلمين إلي ظلة مقابلة لظلة القبلة أو إلي وجود ظلات في الجانبين الشرقي والغربي، وهذا هو الطراز الذي ساد في العالم الإسلامي في ذلك الوقت، وهو الطراز الذي يتكون من صحن أو فناء مكشوف وظلة للقبلة، وهو الأمر الذي عبر عنه الطبري بشكل جلي ورائع، فقد أمدنا الطبري في تاريخه بنص هام نتبين منه طراز المسجد في تلك الفترة في مسجدي البصرة والكوفة وكافة أرجاء العالم الإسلامي، حيث قال " كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد، قالوا... فأول شيء خط بالكوفة وبني حين عزموا علي البناء المسجد، فوضع في موضع أصحاب الصابون والتمارين من السوق، فاختطوه، ثم قام رجل في وسطه، رامٍ شديد النزع، فرمى عن يمينه فأمر من شاء أن يبني وراء موقع ذلك السهم، ورمى به بين يديه ومن خلفه، وأمر من شاء أن يبني وراء موقع السهمين. فترك المسجد في مربعة غلوة من كل جوانبه، وبنى ظلة في مقدمه، ليست لها مجنبات ولا مواخير، والمربعة لاجتماع الناس لئلا يزدحموا - وكذلك كانت المساجد ماخلا المسجد الحرام، فكانوا لا يشبهون به المساجد تعظيماً لحرمته".(٣٣)

قام القائد أبو موسى الأشعري أيضاً بعمارة دار الإمارة، قال البلاذري " وبنى أبو موسى الأشعري المسجد ودار الإمارة بلبن وطين، وسقفها بالعشب، وزاد في المسجد، وكان الإمام إذا جاء للصلاة تخطاهم إلي القبلة ".(٣٤)

مما تقدم يتضح أن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أوصى واليه علي البصرة بتنفيذ التخطيط الهندسي للمدينة بحيث يكون عرض الطرق الرئيسية أربعين ذراعاً (حوالي ٢٠م)، والمتوسطة عشرين ذراعاً (حوالي ١٠م)، والأزقة سبع أذرع (حوالي ٣,٥م)، وأن تكون دور الناس متلاصقة، ولا يزيد عدد الغرف في الدار الواحدة عن ثلاث، وأن لا يرتفع البناء فيها أكثر من طابق واحد، وأوضح أن تتوسط كل محلة رحبة يبلغ طول ضلعها ستون ذراعاً (حوالي ٣٠م)، وأن تكون

خطط القبائل حول المسجد الجامع ودار الإمارة غير متصلة بهما، وهو الأمر الذي يتضح جلياً في نص الطبري عند ذكره الكوفة بقوله " لما أجمعوا علي أن يضعوا بنيان الكوفة، أرسل سعد إلي أبي الهياج فأخبره بكتاب عمر في الطرق، أنه أمر بالمناهج أربعين ذراعاً، وما يليها ثلاثين ذراعاً، وما بين ذلك عشرين، وبالأزقة سبع أذرع، ليس دون ذلك شيء، وفي القطائع ستين ذراعاً إلا الذي لبني ضبة فاجتمع أهل الرأي للتقدير، حتى إذا أقاموا علي شيء قسم أبو الهياج عليه ".(٣٥)

ويتضح أيضاً في نص ابن الأثير حيث قال " وقدر المناهج أربعين ذراعاً، وما بين ذلك عشرين ذراعاً، والأزقة سبع أذرع، والقطائع ستين ذراعاً، وأول شيء خط فيهما (البصرة والكوفة) وبني مسجداهما، وقام في وسطهما رجل شديد النزع، فرمى في كل جهة بسهم، وأمر أن يبنى ما وراء ذلك، وبنى ظلة في مقدمة مسجد الكوفة علي أساطين رخام من بناء الأكاسرة في الحيرة، وجعل علي الصحن خندقاً لئلا يقتحمه أحد ببنيان ".(٣٦)

ويتضح من النص أن المسجد الجامع كان أول منشأة تشيد بالبصرة وذلك علي غرار المسجد النبوي بالمدينة المنورة، وهو الأمر الذي يتضح في ضوئه أن المسجد الجامع كان يمثل نواة المدينة الإسلامية.(٣٧)

وتعد مدينة البصرة من خلال خريطة تخطيطها علي هذا النحو بما اشتملت عليه من منشآت دينية ومدنية، وبما شهدته من تغيير في مادة البناء والعمارة المظهر الأول لفن تخطيط المدن في العالم الإسلامي خارج الجزيرة العربية، وقد وجدت أصول هذا التخطيط في المدينة المنورة علي عصر الرسول ﷺ، فقد إرتبطت نشأة المدينة الإسلامية من جهة كما إرتبط نموها وإزدهارها من جهة أخرى بمعايير حضارية إسلامية تأثرت إلي حد كبير بتاريخ الإسلام وتطور حضارته منذ السنة الأولى للهجرة.

مدينة دمشق وعمائرها الإسلامية

(المسجد الجامع -قصر الخضراء)

بنو أمية وولاية الشام

ذكر الطبري معاوية بن أبي سفيان فأورد عند ذكره الخبر عن نسبه وكنيته " أما نسبه فإنه ابن أبي سفيان واسم أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف بن قصي بن كلاب "(٣٨)، كما أورد عن أمه ما نصه " وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، وكنيته: أبو عبد الرحمن".(٣٩)

ولد معاوية بمكة قبل البعثة بخمس سنوات، وأسلم يوم فتح مكة(٤٠)، واتخذه الرسول ﷺ كاتباً للوحي، وقد روى الحديث عن أبي بكر الصديق وعمر ابن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهم، وعن أخته أم المؤمنين حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنها وروى عنه من الصحابة عبدالله بن عباس، ومعاوية بن حديج، وعبدالله بن الزبير، ومروان بن الحكم، وسعيد بن المسيب.(٤١)

هذا وقد أبلى بنو أمية في حرب الردة بلاءً حسناً وسار بعضهم إلي الشام فاشتهر أمرهم وعظم ذكرهم، ومنهم يزيد بن أبي سفيان الذي ولاه الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه قيادة أحد الجيوش الأربعة التي أنفذها إلي الشام، قال الطبري " وكان بالشام أبو عبيدة وشرحبيل بن حسنة، ويزيد بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، كل رجل منهم علي جند وعليهم خالد بن الوليد ".(٤٢) (خرائط ٨- ١٢)

وذكر البلاذري في فتوح البلدان ما نصه " وروي عن الواقدي أن أبا بكر ولى.. يزيد دمشق ".(٤٣)

وفي موضع آخر أورد البلاذري عند ذكره أمر حمص (٤٤) " وحدثني أبو حفص الدمشقي عن سعيد بن عبد العزيز، قال: لما افتتح أبو عبيدة بن الجراح دمشق استخلف يزيد بن أبي سفيان علي دمشق، وعمرو بن العاص علي فلسطين،

وشرحبيل علي الأردن ".(٤٥)

وكان الخليفة عمر رضي الله عنه قد كتب إلي أبي عبيدة بن الجراح علي الشام، قال البلاذري " وكان عمر قد كتب إليه بولايته الشام وأمره الأمراء مع عامر بن أبي وقاص.. أخي سعد بن أبي وقاص، وقوم يقولون، أن ولاية أبي عبيدة الشام أتته والناس محاصرون دمشق ".(٤٦)

ويرد ذكر معاوية بن أبي سفيان مقترناً بأخيه عند ذكر أمر الأردن، قال البلاذري " وقال أبو بشر المؤذن أن أبا عبيدة وجه عمرو بن العاص إلي سواحل الأردن فكثر به الروم وجاءهم المدد من ناحية هرقل وهو بالقسطنطينية فكتب إلي أبي عبيدة يستمده فوجه أبو عبيدة يزيد بن أبي سفيان فسار يزيد وعلي مقدمته معاوية أخوه ففتح يزيد وعمرو سواحل الأردن، فكتب أبو عبيدة بفتحهما لها وكان لمعاوية في ذلك بلاء حسن وأثر جميل ".(٤٧)

وقد أمدنا البلاذري في رواية أخرى بتفصيل لهذه السواحل، حيث قال " أن يزيد أتى بعد فتح مدينة دمشق صيدا (٤٨) وعرقة (٤٩) وجبيل (٥٠) وبيروت (٥١) وهى سواحل، وعلي مقدمته أخوه معاوية ففتحها فتحاً يسيروجلا كثيرا من أهلها وتولى فتح عرقة معاوية نفسه في ولاية يزيد ".(٥٢)

وفاة يزيد بن أبي سفيان وولاية معاوية

توفي يزيد بن أبي سفيان في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وولى الخليفة عمر رضي الله عنه أخاه معاوية بن أبي سفيان ما كان لأخيه، قال الطبري عند ذكره عمال عمر رضي الله عنه علي الأمصار " وكان عامل عمر بن الخطاب رضي الله عنه – في السنة التي قتل فيها، وهي سنة ثلاث وعشرين.. وعلي دمشق معاوية بن أبي سفيان ".(٥٣)

وقد أورد البلاذري رواية أكثر تفصيلاً، حيث قال " وقال غير الواقدي: ولى عمر يزيد بن أبي سفيان فلسطين مع ما ولاه من أجناد الشام وكتب إليه يأمره بغزو قيسارية.. فنهض إليها.. فقاتله أهلها ثم حصرهم ومرض في آخر سنة ثماني عشرة فمضى إلي دمشق واستخلف علي قيسارية أخاه معاوية.. ففتحها وكتب إليه بفتحها

فكتب به يزيد إلي عمر. ولما توفي يزيد بن أبي سفيان كتب عمر إلي معاوية بتوليته ما كان يتولاه فشكر أبو سفيان ذلك له وقال: وصلتك يا أمير المؤمنين رحم ".(٥٤)

وفي رواية أخرى أورد البلاذري " وحدثني هشام بن عمار، قال: حدثني الوليد بن مسلم عن تميم بن عطية قال: ولى عمر معاوية بن أبي سفيان الشام بعد يزيد، وولى معه رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ الصلاة والقضاء: فولى أبا الدرداء قضاء دمشق والأردن وصلاتهما. وولى عبادة قضاء حمص وقنسرين وصلاتهما ".(٥٥)

وفي عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه ولى معاوية بن أبي سفيان الشام كلها، قال البلاذري " فلما استخلف عثمان وولى معاوية الشام وجه معاوية سفيان بن مجيب الأزدي إلي طرابلس "(٥٦)، ثم جمع له الجزيرة في عام ٢٥هـ/٦٤٥م، قال البلاذري عند ذكره فتوح الجزيرة " ثم لما ولى معاوية الشام والجزيرة لعثمان بن عفان رضي الله عنه أمره أن ينزل العرب بمواضع نائية عن المدن والقرى "(٥٧)، وفي موضع آخر أورد عند ذكره غزو الثغور الجزرية " لما استخلف عثمان بن عفان رضي الله عنه كتب إلي معاوية بولايته الشام وولى عمير بن سعد الأنصاري الجزيرة ثم عزله وجمع لمعاوية الشام والجزيرة وثغورهما وأمره أن يغزو شمشاط (٥٨) وهى أرمينية الرابعة ".(٥٩)

المسجد الجامع بدمشق (الجامع الأموي)

يعد الجامع الأموي بدمشق من روائع العمارة الإسلامية في العصر الأموي (٤١- ١٣٢هـ/٦٦١- ٧٥٠م) وذلك في عهد الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموي (٨٦- ٩٦هـ/٧٠٥- ٧١٥م)، ويحدثنا ابن جبير عن هذا المسجد الجامع وقت فتح دمشق (شكل٢٢- ٢٣) في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقوله " والوليد هذا هو الذي أخذ نصف الكنيسة الباقية منه في أيدي النصاري وأدخلها فيه، لأنه كان قسمين: قسماً للمسلمين وهو الشرقي، وقسماً للنصارى وهو الغربي، لأن أبا عبيدة بن الجراح، رضي الله عنه، دخل البلد من الجهة الغربية فانتهى إلي نصف الكنيسة، وقد وقع الصلح بينه وبين النصارى، ودخل خالد بن الوليد، رضي الله

عنه عنوة من الجانب الشرقي وانتهى إلي النصف الثاني وهو الشرقي، فاجتازه المسلمون وصيروه مسجداً، وبقي النصف المصالح عليه وهو الغربي كنيسة بأيدي النصارى، إلي أن عوضهم منه الوليد، فأبوا ذلك، فانتزعه منهم..".(٦٠)

مما تقدم يتضح أن المسجد الجامع كان يشغل النصف الشرقي من كنيسة القديس يوحنا المعمدان التي شيدت بدورها علي أنقاض معبد وثني قديم.(شكل٢٢- ٢٣)

قصر الخضراء

يعد قصر الخضراء الذي شيده معاوية بن أبي سفيان من روائع العمارة المدنية بدمشق، ويقع إلي الجنوب من سور الجامع، وكان بمثابة دار الإمارة، ولا يفصلها عنه إلا جدار ترك فيه باباً لمرور الوالي أو الخليفة بعد ذلك من منزله إلي مقصورة الجامع وأمام القصر اصطبلات أطلق عليها دار الخيل، وقد بدأ معاوية عمارته في أثناء ولايته علي الشام (٢٣- ٣٥هـ/٦٤٣- ٦٥٥م) في عهد الخليفة عثمان رضي الله عنه، ثم أعاد تجديد عمارته في أثناء خلافته (٤١- ٦٠هـ/٦٦١- ٦٨٠م) وقد عرف بالخضراء لأن القبة والجدران طليت باللون الأخضر، ومن ثم مر القصر بمرحلتين من العمارة.(٦١)

القدس وعمارة مسجدها

جمع الزركشي سبعة عشر اسما فيما يتعلق بالمسجد الأقصى هي: المسجد الأقصى، وإنما قيل له ذلك لأنه أبعد المساجد التي تزار ويبتغي بها الأجر من المسجد الحرام، وقيل: لأنه لم يكن وراءه موضع عبادة.. "، و" مسجد إيلياء بهمزة مكسورة بعدها ياء آخر الحروف ساكنة، ثم لام مكسورة ثم ياء آخر الحروف مفتوحة ثم ألف ممدودة علي وزن كبرياء وحكى البكري فيها: القصر أيضا. قيل معناه: بيت الله وعن كعب الأحبار أنه كره أن يسمى بإيلياء ولكن بيت الله المقدس.."، و" بيت المقدس بفتح الميم وإسكان القاف، أي المكان الذي يطهر فيه من الذنوب. والمقدس، المطهر، ومنه القدس، للسطل الذي يستقي به الماء "، و" البيت المقدس: بضم الميم وفتح الدال المشددة، أي المطهر، وتطهيره، إخلاؤه من الأصنام، قال ابن

سـراقة: ويقـال: الأرض المقدسـة ثلاثـة، فلسطين، والأردن، ودمـشق.. "، و" بيت القدس: بضم الدال وإسكانها "، و"سلم لكثرة سلام الملائكة فيه. قال ابن بري: وأصله: شلم بالشين المعجمة. لأن شين العجمة في العربية سين.. قال ابن الأثير في النهاية: شلم بالمعجمة وتشديد اللام اسم بيت المقدس.."، و" أورشلم. بضم الهمزة وفتح الشين المعجمة وكسر اللام المخففة "، و"كورة إليا"، و"أورشليم"، و"بيت إيل"، و"صهيون"، و"مصروث"، و"بابوش"، و"كورشيلا"، و"شليم"، و"أزيل"، و"صلمون".(٦٢)

" في حديث أبي ذر أنه أول مسجد وضع في الأرض بعد المسجد الحرام بأربعين سنة ".(٦٣)

وجاء " عن عطاء الخراساني. قال: بيت المقدس بنته الأنبياء وعمرته الأنبياء والله ما فيه موضع شبر إلا وقد سجد فيه نبي ".(٦٤)

وجاء " في كتاب فضائل القدس بسنده إلي غالب عن مكحول عن أنس بن مالك قال: إن الجنة تحن شوقا إلي بيت المقدس، وصخرة بيت المقدس من جنة الفردوس وهي صرة الأرض ".(٦٥)

عمارة المسجد ١٥هـ/٦٣٦م

تطلع المسلمون منذ عصر الرسول ﷺ إلي فتح بلاد الشام عامة، وبيت المقدس خاصة، فهو بالنسبة لهم أول القبلتين، وثاني البيتين، وثالث الحرمين، وهو من المساجد الثلاثة التي تشد الرحال إليها لقوله ﷺ " لا تشد الرحال إلا إلي ثلاثة مساجد، مسجد الحرام، ومسجدي هذا، ومسجد الأقصى "(٦٦). وإليه أسري بالرسول ﷺ قبل عروجه إلي السماء، قال تعالي " سبحان الذي أسرىٰ بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلي المسجد الأقصا الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير ".(٦٧)

ويعلق الزركشي علي هذه الآية بقوله: وهذه الآية هي المعظمة لقدره بإسراء سيدنا رسول الله ﷺ إليه قبل عروجه إلي السماء، وإخبار الله بالبركة حوله. وفيه

تأويلان، أحدهما أن جعل حوله من الأنبياء المصطفين الأخيار، والثاني بكثرة الثمار ومجاري الأنهار، وقال تعالى:" وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغداً وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم ". وقال تعالي " ونجيناه ولوطا إلي الأرض التي باركنا فيها للعالمين ".(٦٨)

وكان البيزنطيون قد حرصوا علي تقوية إستحكامات القدس الحربية، ونصبوا المجانيق علي أسوارها عندما هاجمها أبو عبيدة بن الجراح في سنة ١٥هـ/٦٣٦م فامتنعت المدينة علي المسلمين، وبعد حصار دام أربعة أشهر أيقن أهلها صعوبة مقاومة العرب المسلمين، فقاموا بتسليمها صلحاً للخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.(٦٩)

غدت القدس منذ الفتح العمري مركزاً حضارياً وثقافياً هاماً في الحضارة العربية الإسلامية، وقد شيد بها الخليفة عمر رضي الله عنه مسجداً جامعاً يعد أول منشأة دينية إسلامية تشيد بها، وأخذ يتفقد شوارعها وأزقتها وأسواقها، ويرتب أمورها الإدارية والسياسية والدينية.(٧٠)

وقد شيد المسجد الجامع بجوار الصخرة المقدسة، وكان بسيطاً من الناحية المعمارية شأنه في ذلك شأن العمارة الإسلامية عامة والدينية خاصة في عصر الرسول ﷺ وعهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان هذا المسجد يشغل كما يذكر المؤرخ **Archulf** في القرن الأول الهجري / السابع الميلادي مساحة مربعة.(٧١)

مدينة الكوفة وعمائرها حوالي ١٧هـ/٦٣٨م

تعد الكوفة المدينة الثانية التي مصرت خارج الجزيرة العربية بعد البصرة، أسسها القائد سعد بن أبي وقاص في عام ١٧هـ/٦٣٨م علي غرار مدينة البصرة، قال البلاذري " حدثني محمد بن سعد، قال حدثنا محمد بن عمر الواقدي عن عبد الحميد بن جعفر وغيره أن عمر بن الخطاب كتب إلي سعد بن أبي وقاص يأمره أن يتخذ للمسلمين دار هجرة وقيرواناً وأن لا يجعل بينه وبينهم بحرا فأتى الأنبار وأراد

أن يتخذها منزلا ، فكثر علي الناس الذباب ، فتحول إلي موضع آخر فلم يصلح فتحول إلي الكوفة فاختطها وأقطع الناس المنازل ، وأنزل القبائل منازلهم وبنى مسجدها وذلك في سنة سبع عشرة ".(٧٢)

ويتفق التاريخ الذي أورده البلاذري مع ما أورده الطبري في تاريخه ونصه " ثم دخلت سنة سبع عشرة ففيها اختطت الكوفة ، وتحول سعد بالناس من المدائن إليها في قول سيف بن عمر وروايته ".(٧٣)

قال ابن الأثير في حوادث سنة ١٥هـ/٦٣٦م " وقيل: إن الكوفة مصرها سعد بن أبي وقاص في هذه السنة "(٧٤)، ثم أورد في حوادث سنة١٧هـ/٦٣٨م " في هذه السنة اختطت الكوفة وتحول سعد إليها من المدائن ".(٧٥)

وقيل في اسم الكوفة " التكوف الاجتماع، وقيل أيضاً أن المواضع المستديرة من الرمل تسمى كوفاني، وبعضهم يسمي الأرض التي فيها الحصباء مع الطين والرمل كوفة.. وكان يقال لها سور ستان ".(٧٦)

وقال ابن الأثير " وكل رمل وحصباء مختلطين فهو كوفة ".(٧٧)

مما تقدم يتضح أن سعداً شيد المسجد الجامع ودار الإمارة في وسط المدينة ، ثم أمر الناس فاختطوا حول المسجد ودار الإمارة علي غرارالبصرة أيضاً ، وكانت خطط القبائل في المدينتين قبائلية ، وبذلك تطابق تخطيط البصرة والكوفة سواء في المسجد الجامع ودار الإمارة وخطط القبائل ، أ و في الطرق الرئيسية والمتوسطة والأزقة ، وهو الأمر الذي يتضح جلياً فيما أورده الطبري (٧٨) في تاريخه وتقدم ذكره فيما يتعلق بمادة البناء وطبيعة البنيان.

وفيما أورده الطبري (٧٩) وتقدم ذكره عن الطرق ، وفيما أورده الطبري (٨٠) وتقدم ذكره عن المسجد (شكل٢٤) وطراز تخطيطه مع مسجد البصرة ومساجد العالم الإسلامي خلال تلك الفترة من تاريخ الحضارة الإسلامية ، فقد جاء علي غرار المسجد النبوي كما تقدم من صحن وظلة للقبلة.

ويحدثنا الطبري عن دار الإمارة بقوله " وبنوا لسعد داراً بحياله بينهما طريق

منقب مائتي ذراع، وجعل فيها بيوت الأموال، وهي قصر الكوفة اليوم ".(٨١)

كما أورد " فكان الصحن علي حاله زمان عمر كله، لا تطمع فيه القبائل، ليس فيه إلا المسجد والقصر ".(٨٢)

ويحدثنا عن الأسواق بقوله " والأسواق في غير بنيان ولا أعلام. وقال عمر: الأسواق علي سنة المساجد، من سبق إلي مقعد فهو له، حتى يقوم منه إلي بيته أو يفرغ من بيعه ".(٨٣)

كما أورد في نقل المسجد " ثم إن بيت المال نقب عليه نقباً، وأخذ من المال، وكتب سعد بذلك إلي عمر، ووصف له موضع الدار وبيوت المال من الصحن مما يلي ودعة الدار. فكتب إليه عمر: أن انقل المسجد حتى تضعه إلي جنب الدار، واجعل الدار قبلته، فإن للمسجد أهلا بالنهار وبالليل، وفيهم حصن لما لهم، فنقل المسجد وأراغ بنيانه ".(٨٤)

وقد تغيرت مادة البناء من القصب إلي اللبن والطين بعد الحريق الذي تقدم ذكره بعد سنة من تمصيرها.(٨٥)

وقد قام المغيرة بن شعبة عندما وليها بالزيادة في المسجد، قال البلاذري " ثم أن المغيرة بن شعبة وسعه (مسجد الكوفة) ".(٨٦)

مدينة الفسطاط وعمائرها ٢١هـ/٦٤٢م

يحدثنا المقريزي عن مدينة الفسطاط قبل العصر الإسلامي بقوله " أعلم أن فسطاط مصر اختط في الإسلام بعدما فتحت أرض مصر وصارت دار إسلام وقد كانت بيد الروم والقبط.. وحين اختط المسلمون الفسطاط انتقل كرسي المملكة من مدينة الإسكندرية بعدما كانت منزل الملك ودار الإمارة.. وصار من حينئذ الفسطاط دار إمارة ينزل به أمراء مصر فلم يزل علي ذلك حتى بني العسكر بظاهر مصر فنزل فيه أمراء مصر وسكنوه وربما سكن بعضهم الفسطاط.. اعلم أن موضع الفسطاط الذي يقال له اليوم مدينة مصر كان فضاء ومزارع فيما بين النيل والجبل الشرقي الذي يعرف بالجبل المقطم ليس فيه من البناء والعمارة سوى حصن يعرف اليوم بعضه بقصر الشمع وبالمعلقة ينزل به شحنة الروم المتولي علي مصر من

قبل القياصرة ملوك الروم عند مسيره من مدينة الإسكندرية ويقيم فيه ما شاء ثم يعود إلي دار الإمارة ومنزل الملك من الإسكندرية وكان هذا الحصن مطلا علي النيل وتصل السفن في النيل إلي بابه الغربي الذي كان يعرف بباب الحديد ومنه ركب المقوقس في السفن في النيل من بابه الغربي حين غلبه المسلمون علي الحصن المذكور وصار فيه إلي الجزيرة التي تجاه الحصن وهي التي تعرف اليوم بالروضة قبالة مصر وكان مقياس النيل بجانب الحصن ".(٨٧) (خريطة١٣)

رغبة عمرو بن العاص في إتخاذ الإسكندرية عاصمة لمصر الإسلامية:

رغب عمرو بن العاص في أن يتخذ من الإسكندرية عاصمة وحاضرة لمصر، عير أن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه رفض فتحول عمرو من الإسكندرية إلي الفسطاط، قال ابن عبد الحكم " أن عمرو بن العاص لما فتح الإسكندرية ورأى بيوتها وبناءها مفروغا منها هم أن يسكنها وقال مساكن قد كفيناها فكتب إلي عمر بن الخطاب يستأذنه في ذلك فسأل عمر الرسول هل يحول بيني وبين المسلمين ماء قال نعم يا أمير المؤمنين إذا جرى النيل فكتب عمر إلي عمرو أني لا أحب أن تنزل المسلمين منزلا يحول الماء بيني وبينهم في شتاء ولا صيف. فتحول عمرو بن العاص من الإسكندرية إلي الفسطاط ".(٨٨)

وفي رواية أكثر تفصيلاً أورد ابن عبد الحكم " أن عمر بن الخطاب كتب إلي سعد بن أبي وقاص وهو نازل بمدائن كسرى وإلي عامله بالبصرة وإلي عمرو بن العاص وهو نازل بالإسكندرية أن لا تجعلوا بيني وبينكم ماء متى أردت أن أركب إليكم راحلتي حتى أقدم عليكم قدمت. فتحول سعد بن أبي وقاص من مدائن كسرى إلي الكوفة وتحول صاحب البصرة من المكان الذي كان فيه فنزل البصرة وتحول عمرو بن العاص من الإسكندرية إلي الفسطاط ".(٨٩)

تقع الفسطاط علي الشاطيء الشرقي للنيل بجوار حصن بابليون، شيدها عمرو ابن العاص بعد عودته من الإسكندرية في سنة ٢١هـ/٦٤٢م، وتعد المدينة الثالثة التي مصرت خارج الجزيرة العربية بعد مدينتي البصرة والكوفة، وقد اختلفت الروايات التاريخية والآراء في أصل كلمة الفسطاط.(٩٠)

مسجد عمرو بن العاص ودار الإمارة وخطط القبائل بالفسطاط ٢١هـ/٦٤٢م:

شيد عمرو بن العاص المسجد الجامع بالفسطاط، قال ابن عبد الحكم " وبنى عمرو بن العاص المسجد كما حدثنا عبد الملك بن مسلمة عن الليث بن سعد وكان ما حوله حدائق وأعناباً فنصبوا الحبال حتى استقام لهم ووضعوا أيديهم فلم يزل عمرو قائما حتى وضعوا القبلة وأن عمراً وأصحاب رسول الله ﷺ الذين وضعوها واتخذ فيه منبرا ".(٩١)

دار الإمارة وخطط القبائل

شيد عمرو دار الإمارة، قال ابن عبد الحكم " فاختط عمرو بن العاص داره التي هى له اليوم عند باب المسجد بينهما الطريق وداره الأخرى اللاصقة إلي جنبها ".(٩٢)

وشيدت خطط القبائل حول المسجد الجامع ودار الإمارة علي غرار خطط قبائل البصرة والكوفة، حيث جاءت الخطط في المدن الثلاث قبائلية، قال ابن عبد الحكم " واختط الناس ".(٩٣)

ومن الدور التي اختطت بالفسطاط الدار التي شيدت للخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد كتب عمرو بن العاص إلي عمر بن الخطاب رضي الله عنه " إنا قد اختططنا لك دارا عند المسجد الجامع فكتب إليه عمر أنى لرجل بالحجاز تكون له دار بمصر وأمره أن يجعلها سوقا للمسلمين. قال ابن لهيعة هي دار البركة فجعلت سوقاً فكان يباع فيها الرقيق ".(٩٤)

مما تقدم يتضح أن مدينة الفسطاط جاءت إمتداداً لمدينتي البصرة والكوفة من حيث تشييد المسجد الجامع ودار الإمارة وتوزيع خطط القبائل علي المخطط العام للمدينة، قال المقريزي " اعلم أن الخطط التي كانت بمدينة فسطاط مصر بمنزلة الحارات التي هي اليوم بالقاهرة فقيل لتلك في مصر خطة وقيل لها في القاهرة حارة. قال القضاعي ولما رجع عمرو من الإسكندرية ونزل موضع فسطاطه انضمت القبائل بعضها إلي بعض وتنافسوا في المواضع فولى عمرو علي الخطط معاوية بن

حديج التجيبي وشريك بن سمى الغطيفي وعمرو بن قحزم الخولاني وحيويل بن ناشرة المغافري وكانوا هم الذين أنزلوا الناس وفصلوا بين القبائل وذلك في سنة إحدى وعشرين " (٩٥)، ومن العمائر المدنية التي ذكرها لنا المؤرخون بمدينة الفسطاط في عهد عمرو بن العاص " حمام الفأر " الذي كان صغيراً للغاية مقارنة بحمامات الروم، قال ابن عبد الحكم " والحمام الذي يقال له حمام الفأر، وإنما قيل له حمام الفأر أن حمامات الروم كانت ديماسات كبار فلما بنى هذا الحمام ورأوا صغره قالوا من يدخل هذا هذا حمام الفأر ".(٩٦)

تخطيط مسجد عمرو بن العاص بالفسطاط

فيما يتعلق بجامع عمرو بن العاص بمدينة الفسطاط (شكل ٢٥- ٢٦) فهو يعد أول مسجد جامع في مصر وإفريقية كلها، ذكره المؤرخ ابن دقماق فقال: " فهو إمام المساجد ومقدم المعابد قطب سماء الجوامع ومطلع الأنوار اللوامع عين قلادة البنيان وعقيلة بيوت الملك الديان موطن أولياء الله وحزبه طوبى لمن حافظ علي الصلوات فيه وواظب علي القيام بنواحيه وتقرب منه إلي صدر المحراب وخر لديه راكعا وأناب ومال إليه كل الميل وجنح إلي حضرته في جنح الليل وصرف همته لاجتناء ثمرة خيره وأدرك فضيلة جماعته التي لا تحصل أبدا في غيره ".(٩٧)

وذكر المقريزي " الجامع العتيق هذا الجامع بمدينة فسطاط مصر ويقال له تاج الجوامع وجامع عمرو بن العاص وهو أول مسجد أسس بديار مصر في الملة الإسلامية بعد الفتح.. قال الكندي وقال يزيد بن أبي حبيب سمعت أشياخنا ممن حضر مسجد الفتح يقولون وقف علي إقامة قبلة المسجد الجامع ثمانون رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ فيهم الزبير بن العوام والمقداد وعبادة بن الصامت وأبو الدرداء وفضالة ابن عبيد وعقبة بن عامر رضي الله عنهم وفي رواية أسس مسجدنا هذا أربعة من الصحابة أبو ذر وأبو بصيرة ومحمئة بن جزء الزبيدي ونبيه بن صواب".(٩٨)

وفيما يتعلق بالجامع من الناحية المعمارية فقد جاءت عمارته في بدايتها بسيطة

شأنها في ذلك شأن المسجد النبوي بالمدينة المنورة سواء قبل أو بعد تحويل القبلة ومساجد اليمن والبصرة والكوفة التي تقدم ذكرها، فقد كان المسجد عند تأسيسه يشغل مساحة مستطيلة تمتد أفقياً من الشرق إلي الغرب بمقدار ٢٥م تقريباً، ومن الشمال إلي الجنوب بمقدار ١٥م تقريباً علي هيئة ظلة للقبلة تقوم فيها أعمدة من جذوع النخل تحمل بدورها سقفاً منخفضاً من سعف النخيل والطين، ولم يكن للمسجد صحن متسع، وكان يشتمل علي ستة مداخل وزعت علي النحو التالي: اثنان في الجانب الشمالي، واثنان في الجانب الغربي، واثنان يقابلان دار عمرو في الجانب الشرقي، وكانت خطط الفسطاط تحيط به من جهاته الثلاث الشمالية الشرقية، والجنوبية الشرقية، والجنوبية الغربية، أما الجهة الرابعة وهي الشمالية الغربية فكانت قريبة من النيل في ذلك الوقت، قال المقريزي يصف جامع عمرو " وتشاور المسلمون أين يكون المسجد الجامع فرأوا أن يكون مسجد قيسبة فسأله عمرو فيه وقال أنا أختط لك يا أبا عبد الرحمن حيث أحببت فقال قيسبة لقد علمتم يا معاشر المسلمين إني حزت هذا المنزل وملكته وإني أتصدق به علي المسلمين وارتحل فنزل مع قومه بني سوم واختط فيهم فبنى مسجدا في سنة إحدى وعشرين من الهجرة.. (وقال) الليث بن سعد كان مسجدنا هذا حدائق وأعنابا. وقال الشريف محمد بن أسعد الجواني ومن جملة مزارعها جامع مصر وقد بقى إلي الآن من جملة الأنشاب التي كانت في البستان في موضع الجامع شجرة زنزلخت وهي باقية إلي الآن.. وظهر بالجامع العتيق بئر البستان التي كانت به وهي اليوم يستقي منها الناس الماء بموضع حلقة الفقيه...وقال أبو سعيد سلف الحميري أدركت مسجد عمرو بن العاص طوله خمسون ذراعا في عرض ثلاثين ذراعا وجعل الطريق يطيف به من كل جهة وجعل له بابان يقابلان دارعمرو بن العاص وجعل له بابان في بحريه وبابان في غربيه وكان الخارج إذا خرج من زقاق القناديل وجد ركن المسجد الشرقي محاذيا لركن دار عمرو بن العاص وذلك قبل أخذ من دار عمرو بن العاص ما أخذ وكان طوله من القبلة إلي البحري مثل طول دار عمرو بن العاص وكان

سقفه مطأطأ جدا ولا صحن له فإذا كان الصيف جلس الناس بفنائه من كل ناحية وبينه وبين دار عمرو سبع أذرع..وقال القضاعي في كتاب الخطط وكان عمرو بن العاص قد اتخذ منبرا فكتب إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعزم عليه في كسره ويقول أما يحسبك أن تقوم قائما والمسلمون جلوس تحت عقبيك فكسره ".(٩٩)

دور (بيوت) الفسطاط

فيما يتعلق بالفسطاط ودورها فقد أورد المقريزي " قال ابن رضوان ويلي الفسطاط من الغرب النيل وعلي شط النيل الغربي أشجار طوال وقصار وأعظم أجزاء الفسطاط موضع في غور.. ومتى نظرت إلي الفسطاط من الشرق أو من مكان آخر عال رأيت وضعها في غور.. وأزقة الفسطاط وشوارعها ضيقة.. وقال أبن سعيد.. ونسبت المدينة إليه فقيل فسطاط عمرو.. فالفسطاط قصبة مصر والجبل المقطم شرقها " وأورد عن دورها (بيوتها) " ومبانيها بالقصب والطوب طبقة فوق طبقة "(١٠٠)، وكانت هذه الدور تتسم ببساطتها من حيث التصميم والعمارة شأنها في ذلك شأن دور المدينة المنورة والبصرة والكوفة، فقد وصفت دار عمرو بن العاص بالدار الصغرى، وكانت تقع في الجهة الشرقية من المسجد الجامع علي بعد ٤م منه، وهي التي تمثل دار الإمارة، كما شيدت دور الفسطاط من طابق واحد علي غرار دور البصرة والكوفة، ثم من طابقين أيضاً في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، غير أن نوافذ الطابق العلوي كانت مرتفعة بحيث تحفظ حرمات المسلمين في دورهم السكنية، كذلك فإن هذه الدور كانت تفتقد بصفة عامة للنوافذ الكبيرة التي تطل علي الطرق للحفاظ علي حرمات الناس داخل دورهم، وكانت نتيجة لذلك تستمد الضوء والهواء من خلال الأفنية التي تتوسط الوحدات السكنية، وهو ما يدل علي أن عمارة الدور خلال تلك الفترة كانت تخضع لقيود وشروط ملزمة من جانب الخلافة الإسلامية في المدينة المنورة من جهة، والولاة في الأمصار والبلدان من جهة أخرى.(١٠١)

المسجد الجامع " ظاهرة دينية إجتماعية"

الواقع أن المسجد الجامع أصبح يشكل منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ظاهرة دينية اجتماعية، حيث أصبح هو المسجد الذي تؤدي فيه الجماعة صلاة الجمعة، وفي ذلك أورد المقريزي " قال هشام بن عمار حدثنا المغيرة ابن المغيرة حدثنا يحيي بن عطاء الخراساني عن أبيه قال لما افتتح عمر البلدان كتب إلي أبي موسى وهو علي البصرة يأمره أن يتخذ مسجدا للجماعة ويتخذ للقبائل مساجد فإذا كان يوم الجمعة انضموا إلي مسجد الجماعة وكتب إلي سعد بن أبي وقاص وهو علي الكوفة بمثل ذلك وكتب إلي عمرو بن العاص وهو علي مصر بمثل ذلك وكتب إلي أمراء أجناد الشام أن لا يتبددوا إلي القرى وأن ينزلوا المدائن وأن يتخذوا في كل مدينة مسجدا واحدا ولا تتخذ القبائل مساجد فكان الناس متمسكين بأمر عمر وعهده ".(١٠٢)

قال الزركشي " الصلاة في الجامع أفضل من المسجد الصغير لكثرة الجماعة".(١٠٣)

أول من عرف علي الأذان بمصر

كان اول من عرف على المؤذنين بمصر هو أبو مسلم سالم بن عامر بن عبد المرادي، قال المقريزى " وهو من أصحاب رسول الله ﷺ وقد أذن لعمر بن الخطاب سار إلى مصر مع عمرو بن العاص يؤذن له حتى افتتحت مصر فأقام على الأذان وضم إليه عمرو بن العاص تسعة رجال يؤذنون هو عاشرهم وكان الأذان فى ولده حتى انقرضوا قال أبو الخير حدثني أبو مسلم وكان مؤذنا لعمرو بن العاص أن الأذان كان أوله لا إله إلا الله وآخره لا إله إلا الله وكان أبو مسلم يوصي بذلك حتى مات ويقول هكذا كان الأذان ". (١٠٤)

مقبرة مصر (القرافة)

قال ابن عبد الحكم " قال ثم توفى عمرو بن العاص فى سنة ثلث وأربعين حدثنا يحيي بن بكير عن الليث بن سعد قال توفى عمرو بن العاص سنة ثلث وأربعين وفيها أمر عتبة بن أبي سفين على أهل مصر ". (١٠٥)

ويحدثنا ابن عبد الحكم عن مقبرة المقطم بقوله " حدثنا سعيد بن عفير قال ودفن بالمقطم من ناحية الفج وكان طريق الناس يومئذ إلى الحجاز فأحب أن يدعو له من مر به ". (١٠٦)

كما أورد فيما يتعلق بمن دفن فى مقبرة المقطم ".. قبر في مقبرة المقطم ممن عرف من أصحاب رسول الله ﷺ خمسة نفر، عمرو بن العاص السهمي، وعبدالله ابن الحرث بن جزء الزبيدي، وعبدالله بن حذافة السهمي، وأبو بصرة الغفاري، وعقبة بن عامر الجهني ". (١٠٧)

والواقع أن جبانة مصر قد انفردت بإطلاق لفظة القرافة عليها نسبة إلى بني قرافة وهم بطن من بطون قبيلة المعافر اليمنية التي شهدت فتح مصر، وقد نزلوا بهذه الخطة بالفسطاط، وأصبحت هذه التسمية علماً على الجبانات فى مصر دون غيرها من البلاد الإسلامية، وقد استخدم سفح جبل المقطم وإمتداده قرافة للمسلمين فى مصر منذ الفتح الإسلامي فى مصر حتى وقتنا الحاضر، وساعد على ذلك عدة عوامل دينية وجغرافية جعلت من هذا السفح مكاناً مناسباً وملائماً وصالحاً لاتخاذه كقرافة للمسلمين فى مصر. (١٠٨)

وقال ابن عبد الحكم عند ذكره المقطم " حدثنا عبدالله بن صلح حدثنا الليث بن سعد قال سأل المقوقس عمرو بن العاص أن يبيعه سفح المقطم بسبعين ألف دينار فعجب عمرو من ذلك وقال أكتب فى ذلك إلى أمير المؤمنين فكتب بذلك إلى عمر فكتب إليه عمر سله لم أعطاك به ما أعطاك وهى لا تزدرع ولا يستنبط بها ماء ولا ينتفع بها فسأله فقال إنا لنجد صفتها فى الكتب أن فيها غراس الجنة فكتب بذلك إلى عمر فكتب إليه عمر إنا لا نعلم غراس الجنة إلا المؤمنين فأقبر فيها من مات قبلك من المسلمين ولا تبعه بشئ فكان أول من دفن فيها رجل من المعافر يقال له عامر فقيل عمرت ". (١٠٩)

الاستحكامات الدفاعية «الحربية» بمصر

يعد الحصن الذي أنشأه عمرو بن العاص بالجيزة في عام ٢٢هـ / ٦٤٣م بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه لتأمين همدان ومن والاها عندما أحبوا المقام بالجيزة أول حصن داخلي يشيد بمصر الإسلامية ، قال ابن دقماق عند ذكره مدينة الجيزة " هذه المدينة مدينة إسلامية بنيت فى سنة إحدى وعشرين وقيل فرغ منها فى سنة إثنتين وعشرين وسبب بنائها أن عمرو بن العاص لما رجع من الإسكندرية فى جيشه ونزل الفسطاط جعل طائفة من جيشه بالجيزة خوفا من عدو يغشاهم من تلك الناحية فجعل بها آل ذى أصبح من حمير وهم كثير ونافع بن زيد بن رعين وجعل فيها همدان وجعل فيها طائفة من الأزديين.. وطائفة من الحبشة.. فلما استقر عمرو بن العاص فى الفسطاط أمر الذين خلفهم بالجيزة أن ينضموا إليه فكرهوا ذلك.. فكتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب بذلك ويخبره أن همدان وآل ذى أصبح ونافعا ومن كان معهم أحبوا المقام بالجيزة فكتب إليه عمر كيف رضيت أن تفرق عنك أصحابك وتجعل بينك وبينهم بحرا لا تدري ما يفجئهم فلعلك لا تقدر على غياثهم فاجمعهم إليك ولا تفرقهم فإن أبوا وأعجبوا بمكانهم فابني عليهم حصنا من فيئ المسلمين.. فبني فيهم فى سنة إحدى وعشرين وفرغ من بناءه فى سنة إثنتين وعشرين وأمرهم عمرو بالخطط بها ". (١١٠)

وقد ظهر بالفسطاط نوع من العمائر الحربية أطلق عليها اسم " المحارس "

منها محرس عمار، محرس بنانة ، محرس الحريص، محرس النخلة ، محرس قسطنطين، محرس خوي بن خوي، ومن المرجح أن هذه المحارس كانت منشآت بسيطة بوسط خطط القبائل أو علي حدودها ، ويعمل بها رجال يتولون حراسة كل قبيلة ، أو أنها كانت نقاط متفرقة فى الفسطاط لإقامة الجند لحراستها ، إلا أنها لم تكن حصوناً أو قلاعاً كبيرة. (١١١)

هوامش وتعليقات الفصل الرابع

١) ابن الأثير: أسد، ج٣، ص ٣٠٩.

٢) ابن خلكان (أبي العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر) ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق يوسف علي طويل، ومريم قاسم طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م، مج ٣، ص٥١.

٣) مزيد من التفاصيل أنظر: حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والإجتماعي، دار الجيل، بيروت، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط ١٣، ١٤١١هـ / ١٩٩١م، ج١، صص ١٦٧- ١٦٨.، محمد عبد الفتاح عليان: تاريخ الخلفاء الراشدين " دراسات وبحوث "، مكتبة المتنبي، الدمام، المملكة العربية السعودية، ط ٣، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، صص ٥- ٧.

٤) مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ج١، ص٤٥٣.

٥) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج١، صص ١٦٨- ١٦٩.، محمد عبد الفتاح عليان: تاريخ الخلفاء، صص ٢١ - ٢٧.

٦) محمد عبد الفتاح عليان: تاريخ الخلفاء، صص ٣٩- ٤٤.

٧) سورة الحجر، آية ٩.، محمد عبد الفتاح عليان: تاريخ الخلفاء، صص ٤٤- ٦٩.

٨) السمهودي: وفاء، ج٢، صص ٥٠٠- ٥٠١.

٩) السمهودي: وفاء، ج٢، ص ٤٨١.

١٠) ابن الأثير: أسد، ج٤، ص ١٤٥.

١١) محمد عبد الفتاح عليان: تاريخ الخلفاء، صص ١٠٩- ١٢٧.

١٢) محمد عبد الفتاح عليان: تاريخ الخلفاء، صص ١٢٨- ١٣٣.

١٣) محمد عبد الفتاح عليان: تاريخ الخلفاء، صص ١٣٣- ١٣٤.

١٤) محمد عبد الفتاح عليان: تاريخ الخلفاء، ص ١٣٩.

١٥) السمهودي: وفاء، ج٢، ص ٤٨١.

١٦) السمهودي: وفاء، ج٢، ص ٤٨١.

١٧) ابن النجار: الدرة، ص ١٧١.، الشهري: عمارة، صص ٨١- ٨٧

١٨) البخاري: صحيح، مج ١، ج١، ص١٢١.، السمهودي: وفاء، ج٢، ص ٤٩٦.

١٩) السمهودي: وفاء، ج٢، ص ٦٥٦.

٢٠) الشهري: عمارة، صص ٨٨- ٨٩.

٢١) الزركشي: إعلام، ص ٣٣٩.

٢٢) السمهودي: وفاء، ج٢، ص ٦٧٠.

٢٣) البلاذري: فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٣م، ص ٢٥٢. أنظر عن الأمصار: طه الولي: المدينة في الإسلام، مجلة الفكر العربي، مسألة المدينة والمدينة العربية (١)، تشرين الأول (أكتوبر)، تشرين الثاني (نوفمبر)، ١٩٨٢م، العدد التاسع والعشرون، السنة الرابعة، صص ١١٤- ١١٥.

٢٤) البلاذري: فتوح، ص ٣٣٢.

٢٥) البلاذري: فتوح، ص ٣٣٧.

٢٦) ابن الأثير: الكامل، ج٢، ص٣١٨.

٢٧) البلاذري: فتوح، ص ٣٣٢.

٢٨) عيسى سلمان وآخرون: العمارات العربية الإسلامية في العراق، دار الرشيد، الجمهورية العراقية، ١٩٨٢م، ج١، صص ٤٦- ٤٧.

٢٩) البلاذري: فتوح، ص ٣٣٧.

٣٠) البلاذري: فتوح، صص ٣٣٧- ٣٣٨.

٣١) الطبري: تاريخ، مج ٢، ص ٤٧٩.

٣٢) ابن الأثير: الكامل، ج٢، صص ٣٥٣- ٣٥٤.

٣٣) الطبري: تاريخ، مج ٢، ص ٤٧٩.

٣٤) البلاذري: فتوح، ص ٤٢٦.، عيسى سلمان: العمارات، ج١، ص٤٧.

٣٥) الطبري: تاريخ، مج ٢، ص ٤٧٩.

٣٦) ابن الأثير: الكامل، ج٢، ص ٣٥٤.، عيسى سلمان: العمارات، ج١، ص٤٧.

٣٧) يحدثنا البلاذري أيضاً فيما يتعلق بالمنشآت المدنية عن حمامات مدينة البصرة بقوله " كان أول حمام اتخذ بالبصرة حمام عبدالله بن عثمان.. وهو موضع بستان سفيان بن معاوية.. ثم الثاني حمام فيل مولي زياد ثم الثالث حمام مسلم ابن أبي بكرة.. فمكثت البصرة دهرا وليس بها إلا هذه الحمامات "، و " وكان أهل البصرة يشربون من مكان يقال له دير قادوس فلما قدم الأحنف ابن قيس علي الخليفة عمر بن الخطاب فى أهل البصرة قال له " إن مفاتح الخير بيد الله، وإن إخواننا من أهل الأمصار، نزلوا منازل الأمم الخالية بين المياه العذبة والجنان الملتفة وإنا نزلنا سبخة نشاشة لا يجف نداها ولا ينبت مرعاها.. فليس لنا زرع ولا ضرع.. يخرج الرجل الضعيف فيستعذب الماء من فرسخين.. فألحق عمر ذراري البصرة فى العطاء وكتب إلي أبي موسي يأمره أن يحتفر لهم نهراً ".

البلاذري: فتوح، صص ٤٣٤، ٤٣٧.

٣٨) الطبري: تاريخ، مج٣، ص٢٦٣.

٣٩) ذكر الطبري أن " من نسائه ميسون بنت بحدل بن أنيف بن ولجة بن قنافة بن عدي بن زهير بن حارثة بن جناب الكلبي، ولدت له يزيد بن معاوية. قال علي: ولدت ميسون لمعاوية مع يزيد أمة –رب المشارق –فماتت صغيرة.. ومنهن فاختة ابنة قرظة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف. ولدت له عبد الرحمن وعبدالله ابني معاوية.. ومنهن نائلة بنت عمارة الكلبية.. ومنهن كتوة بنت قرظة أخت فاختة، فغزا قبرس وهي معه، فماتت هناك. الطبري: تاريخ، مج٣، ص٢٦٤.، ابن الأثير: الكامل، ج٣، ص١٢٤.

٤٠) أسلم معاوية يوم فتح مكة هو وأبوه وأخوه وأمه هند. ابن هشام: السيرة، ج٤، ص٤٥.، حسن إبراهيم: تاريخ، ج١، ص٢٢٧.

٤١) قال ابن هشام عند ذكره الإسراء والمعراج " رواية معاوية: قال ابن اسحاق: وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس: أن معاوية بن أبي سفيان، كان إذا سئل عن مسرى رسول الله - ﷺ - ، قال: كانت رؤيا من الله تعالى صادقة ". ابن هشام: السيرة، ج٢، ص٥٠.، حسن إبراهيم: تاريخ، ج١، ص٢٥٧.

٤٢) الطبري: تاريخ، مج٢، ص٣٥٢.، حسن إبراهيم: تاريخ، ج١، ص٢٥٧.

٤٣) البلاذري: فتوح، ص١١٢.

٤٤) حمص: بلد مشهور قديم كبير مسور، وفي طرفه القبلي قلعة حصينة علي تل عال كبيرة، وهي بين دمشق وحلب في نصف الطريق. ياقوت الحموي: معجم، مج٢، صص٣٠٢- ٣٠٣.

٤٥) البلاذري: فتوح، ص١٣.، أنظر أيضاً: الواقدي (أبو عبدالله محمد بن عمر): فتوح الشام، دار الجيل، بيروت، صص١٠٩- ١١٠.

٤٦) البلاذري: فتوح، ص١١٨.

٤٧) البلاذري: فتوح، صص١١٩- ١٢٠.

٤٨) صيداء: مدينة علي ساحل بحر الشام من أعمال دمشق شرقي صور. ياقوت الحموي: معجم، مج٣، ص٤٣٧.

٤٩) عرقة: بلدة في شرقي طرابلس بينهما أربعة فراسخ، وهي آخر عمل دمشق، وهي في سفح جبل. ياقوت الحموي: معجم، مج٤، ص١٠٩.

٥٠) الجبيل: تصغير جبل، وجبيل أيضاً: بلد في سواحل دمشق، وهو بلد مشهور في شرقي بيروت. ياقوت الحموي: معجم، مج٢، ص١٠٩.

٥١) بيروت: مدينة مشهورة علي ساحل بحر الشام تعد من أعمال دمشق. ياقوت الحموي: معجم، مج١، صص٥٢٥- ٥٢٦.

٥٢) البلاذري: فتوح، ص١٢٩.

٥٣) الطبري: تاريخ، مج٢، ص٥٨٧.، ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، دار الآفاق العربية، ط١، القاهرة، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ص١٠١.

٥٤) البلاذري: فتوح، ص١٤٢.

٥٥) البلاذري: فتوح، ص١٤٢.

٥٦) البلاذري: فتوح، ص١٢٩.

٥٧) البلاذري: فتوح، ص١٧٨.، عبد المنعم ماجد: التاريخ السياسي للدولة العربية (عصر الخلفاء الأمويين)، الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٦م، صص١٧-١٨.

٥٨) ياقوت الحموي: معجم، مج٣، صص٣٦٢- ٣٦٣.

٥٩) البلاذري: فتوح، صص١٨٣- ١٨٤.

٦٠) ابن جبير: رحلة ابن جبير، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٦م، ص٢١٢.

٦١) محمد محاسنة: تاريخ مدينة دمشق: الأوائل، دمشق، ط١، ٢٠٠١م، صص٥٤- ٥٥.، سارة حسن منيمنة: مورفولوجية مدينة دمشق، مجلة الفكر العربي (مسألة المدينة والمدينة العربية)، تشرين الأول (أكتوبر)، تشرين الثاني (نوفمبر)، ١٩٨٢م، العدد التاسع والعشرون، السنة الرابعة، ص٢٣٩.

٦٢) الزركشي: إعلام، صص ٢٧٧- ٢٧٩.

٦٣) الزركشي: إعلام، ص ٢٨٠.

٦٤) الزركشي: إعلام، ص ٢٨٣.

٦٥) الزركشي: إعلام، ص ٢٨٦. أنظر أيضاً عن مضاعفة الصلاة فيه، وقد اختلفت الأحاديث في مقدارها. الزركشي: إعلام، صص ٢٨٧- ٢٨٨.

٦٦) الزركشي: إعلام، ص ٣٨٨.

٦٧) سورة الإسراء، آية ١.

٦٨) سورة البقرة، آية ٥٨، سورة الأنبياء، آية ٧١.، الزركشي: إعلام، ص ٢٨٦.

٦٩) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، دار الفكر، بيروت، ١٣٧٥هـ / ١٩٥٦م، ج٢، صص ٩٧- ١٠١.، البلاذري: فتوح، ص ١٤٥.

٧٠) السيوطي: اتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى، تحقيق أحمد رمضان أحمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢م، ق١، صص ٢٢٥- ٢٤١.، عارف باشا العارف: تاريخ القدس، دار المعارف بمصر، صص ٤٦- ٥٠.

٧١) السيوطي: اتحاف الأخصا، ق٢، ص ١٧٩.، محمد بن أحمد كنعان: تاريخ الخلافة الراشدة، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ص ١٣٧.

٧٢) البلاذري: فتوح، ص٢٧٠.

٧٣) الطبري: تاريخ، مج٢، ص٤٧٧.

٧٤) ابن الأثير: الكامل، ج٢، ص٣٢١.

٧٥) ابن الأثير: الكامل، ج٢، ص٣٥٢.

٧٦) البلاذري: فتوح، ص٢٧١.

٧٧) ابن الأثير: الكامل، ج٢، ص٣٥٣.

٧٨) الطبري: تاريخ، مج٢، ص٤٧٩.

٧٩) الطبري: تاريخ، مج٢، ص٤٧٩.

٨٠) الطبري: تاريخ، مج٢، ص٤٧٩.

٨١) الطبري: تاريخ، مج٢، ص٤٧٩.

٨٢) الطبري: تاريخ، مج٢، ص٤٨٠.

٨٣) الطبري: تاريخ، مج٢، ص٤٨٠.

٨٤) الطبري: تاريخ، مج٢، ص٤٨٠.

٨٥) عيسى سلمان: العمارات، ج١، صص٥٧- ٥٩.

٨٦) البلاذري: فتوح، ص٢٧١.

٨٧) المقريزي: الخطط، ج١، صص٢٨٥- ٢٨٦.، محمود حامد أحمد الحسيني: التطور العمراني لعواصم مصر الإسلامية - الفسطاط- العسكر- القطائع- حتى نهاية العصر الفاطمي، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٨٧م، ص٨.

٨٨) ابن عبد الحكم: فتوح، ص٩١. أنظر عن الإسكندرية في العصر الإسلامي. جمال الدين الشيال: تاريخ مدينة الإسكندرية في العصر الإسلامي، دار المعارف، القاهرة، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م، ص٣٣.، السيد عبد العزيز سالم: تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٢م، صص٥٧- ٥٩.، هويدا عبد العظيم رمضان: المجتمع في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى العصر الفاطمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١م، صص٢٧٥- ٢٧٦.

٨٩) ابن عبد الحكم: فتوح، ص٩١.

٩٠) قال ابن عبد الحكم " وإنما سميت الفسطاط كما حدثنا أبي عبدالله بن عبد الحكم وسعيد بن عفير أن عمرو بن العاص لما أراد التوجه إلي الإسكندرية لقتال من بها من الروم أمر بنزع فسطاطه فإذا فيه يمام قد فرخ فقال عمرو بن العاص لقد تحرم منا بمتحرم فأمر به فأقر كما هو وأوصى به صاحب القصر فلما قفل المسلمون من الإسكندرية فقالوا أين ننزل قالوا الفسطاط لفسطاط عمرو الذي كان خلفه وكان مضروباً في موضع الدار التي تعرف اليوم بدار الحصى عند دار عمرو الصغيرة اليوم "، ونقل المقريزي " في حديث النبي ﷺ قال عليكم بالجماعة فإن يد الله علي الفسطاط.. والفسطاط المدينة وكل مدينة فسطاط ولذلك قيل لمصر فسطاط "، وذكر المستشرقون أن الاسم اشتق من الكلمة الإغريقية **Fossatum**، ويذكر إبراهيم العدوي أن الفسطاط كلمة عربية تعنى "

مجمع أهل الكورة "، الكورة هي الصقع أو المدينة، وبذلك تكون الفسطاط هى مجمع أهل المدينة: ابن عبد الحكم: فتوح، ص٩١.، الكندي (أبي عمر محمد بن يوسف) ت٣٥٠هـ/٩٦١م: تاريخ ولاة مصر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص١٥.، المقريزي: الخطط، ج١، ص٢٩٦.، إبراهيم العدوي: مصر الإسلامية، ص١٩٥.

٩١) ابن عبد الحكم: فتوح، صص٩١- ٩٢.

٩٢) ابن عبد الحكم: فتوح، ص٩٦.

٩٣) ابن عبد الحكم: فتوح، ص٩٢.

٩٤) ابن عبد الحكم: فتوح، ص٩٢.

٩٥) المقريزي: الخطط، ج١، صص٢٩٦- ٢٩٧.

٩٦) ابن عبد الحكم: فتوح، ص٩٦.

٩٧) ابن دقماق: الإنتصار لواسطة عقد الأمصار، بولاق، ط١، ١٣٠٩هـ/١٨٩٢م، ج٤، ص٥٩.، أنظر أيضاً عن جامع عمرو بن العاص: **Organization Of Islamic Capitals And Cities: Principles Of Architectural Design And Urban Planning During Different Islamic Eras (Analytical Study For Cairo City) , Center For Planning And Architectural Studies , Center For Revival Of Islamic Architectural Heritage , 1412A.H/1992A.D,P.13.**

٩٨) المقريزي: الخطط، ج٢، صص٢٤٦- ٢٤٧.

٩٩) المقريزي: الخطط، ج٢، صص ٢٤٦- ٢٤٧.، فريد شافعي: العمارة العربية، ص٢٦٣.، حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، ١٩٩٤م، ص٢٣.

١٠٠) المقريزي: الخطط، ج١، صص٣٣٩- ٣٤١.

١٠١) فريد شافعي: العمارة، صص٣٥٣- ٣٥٤.

١٠٢) المقريزي: الخطط، ج٢، ص٢٤٦.

١٠٣) الزركشي: إعلام، ص٣٧٦

١٠٤) المقريزي: الخطط، ج٢، ص٨٠.

١٠٥) ابن عبد الحكم: فتوح، ص١٨٠، ابن الكندي (عمر بن محمد بن يوسف): فضائل مصر المحروسة، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ص٤٤.، ابن زولاق: فضائل مصر وأخبارها وخواصها، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص٩٤.

١٠٦) ابن عبد الحكم: فتوح، ص١٨٢.، السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن محمد بن عثمان) ت ٩١١هـ/١٥٠٥م: حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٧م، مج٢، ص٧.

١٠٧) ابن عبد الحكم: فتوح، ص٢٥٣.

١٠٨) محمود الحسيني: التطور، صص٥٤٣- ٥٤٤.

١٠٩) ابن عبد الحكم: فتوح، صص١٥٦- ١٥٧.

١١٠) ابن دقماق: الإنتصار، ج٤، صص١٢٥- ١٢٦.، المقريزي: الخطط، ج١، ص٢٠٦.، عبدالله كامل موسى عبده: الاستحكامات الحربية بالثغور المصرية في عصر الحروب الصليبية، مجلة كلية الآداب، جامعة جنوب الوادي، العدد الرابع، ١٩٩٥م، ص٢٤٦.

١١١) ابن دقماق: الانتصار، ج٤، ص١٥.، فريد شافعي: العمارة، ص٥١٩.

الفصل الخامس

الآثار المعمارية في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي اللّه عنه

الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه

(٢٣ -٣٥هـ/٦٤٤-٦٥٦م)

هو " عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي. يجتمع هو ورسول الله ﷺ في "عبد مناف". يكني: أبا عبدالله، وقيل: أبو عمرو وقيل: كان يكني أولا بابنه عبدالله، وأمه (أي أم عبدالله بن عثمان) رقية بنت رسول الله ﷺ ثم كني بابنه عمرو: وأمه أروي بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، فهو ابن عمة عبدالله بن عامر، وأمه أروي: البيضاء بنت عبد المطلب عمه رسول الله ﷺ. وهو ذو النورين، وأمير المؤمنين. أسلم في أول الإسلام، دعاه أبو بكر إلي الإسلام فأسلم".(١)

لقب عثمان بن عفان بذي النورين، لأنه تزوج بابنتي رسول الله ﷺ: رقية التي توفيت بعد غزوة بدر، ثم أم كلثوم التي توفيت في حياة النبي ﷺ، فقال عليه الصلاة والسلام: لو كانت عندي ثالثة لزوجتها عثمان، ولم يعرف أن أحداً تزوج بابنتي نبي غيره، واشتهر رضي الله عنه بسخائه فهو الذي اشتري بئر " رومة " بعد هجرة المسلمين إلي المدينة المنورة ودفع عشرين ألف درهم ثمناً لها، وكانت ملكاً ليهودي من أهل المدينة، كما أنه تبرع بتجهيز ثلاثمائة بعير، وأتي بألف دينار وضعها في حجر النبي ﷺ عند غزوة العسرة " تبوك " سنة ٩ هـ.(٢)

كان عثمان بن عفان رضي الله عنه الكاتب الأول للخليفة الصديق رضي الله عنه، ويعد ثاني اثنين في تسيير شئون الدولة بعد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وجاء في صحيح الإمام مسلم أن السيدة عائشة روت أن رسول الله ﷺ قال في عثمان " ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة "، وبعد ولاية عثمان كثر الاختلاف بين المسلمين في الأمصار المفتوحة حول قراءة القرآن، فأرسل عثمان إلي حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها إلي عثمان، فأمر بها فنسخت المصاحف، وردت الصحائف إلي حفصة، وأرسل إلي الأمصار بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن

يحرق واستبقي مصحفاً واحداً، وهو الذي سمي بالمصحف الإمام.(٣)

وقد كان جمع أبي بكر الصديق للقرآن خشية أن يذهب من القرآن شئ بذهاب حملته، لأنه لم يكن مجموعاً في موضع واحد، فجمعه في صحائف مرتباً لآيات سوره علي ما وضعها عليه النبي ﷺ، أما جمع عثمان بن عفان فكان لما كثر الاختلاف في القراءة حتي قرأوه بلغاتهم علي اتساع اللغات، واقتصرت سائر اللغات علي لغة قريش، وقد شهد عهد عثمان بن عفان محنة خطيرة عقب استشهاد عمر بن الخطاب، إذ ظن الفرس والروم أن أمر المسلمين قد ضعف، فنقضوا عهودهم واندلعت الثورات في كثير من أرجاء البلاد المفتوحة، إلا أن عثمان واجه كل ذلك بكفاءة وعزم فاستعادت الدولة الإسلامية هيبتها.(٤)

قامت الفتنة علي عهد عثمان بن عفان – في حقيقة أمرها – نتيجة مؤامرة كبري شارك فيها اليهود بشكل عام وعبدالله بن سبأ اليهودي الذي إشتهر بابن السوداء، وكان من أهل صنعاء، وأسلم في عهد عثمان، ثم تنقل في البلدان الإسلامية فبدأ بالحجاز، ثم البصرة، ثم الكوفة، ثم الشام، فلم يقدر علي ما يريد عند أحد من أهل الشام، فأخرجوه حتي أتي مصر، وبث دعاته، وكاتب من كان استفسد في الأمصار وكاتبوه، ودعوا في السر إلي ما عليه رأيهم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد أدت هذه الفتنة إلي استشهاد عثمان رضي الله عنه بعد أن تم تشديد الحصار عليه وإساءة معاملته أكثر من عشرين يوماً، وذلك في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة سنة ٣٥هـ / ٦٥٦م، فافتدي عثمان بن عفان دماء أمته بدمه الزكي.(٥)

نقش مؤرخ بسنة ٢٤هـ/٦٤٤م

أوردت لنا سلسلة آثار المملكة العربية السعودية " آثار منطقة المدينة المنورة " من النقوش المؤرخة من وادي المعتدل والتي عثر عليها ضمن الكتابات المنقوشة علي الواجهات الصخرية أنه يوجد نقش يقع إلي الجنوب من قاع المعتدل بشمال شرقي محافظة العلا علي طريق التجارة والحج الذي يربط الحجر(مدائن صالح) بالمابيات

(قرح قديماً)التي تبعد عن العلا ١٨كم باتجاه الجنوب، وكتب النقش علي واجهة صخرية من الحجر الرملي علي خلفية طبقة داكنة، ويتكون من ثلاثة أسطر علي النحو التالي:

١) بسم الله
٢) انا زهير كتب زمن توفي عمر سنة أربع
٣) وعشرين

ويعد هذا النص أقدم نقش إسلامي مؤرخ يكتشف في المملكة حتى الآن، ويوافق ٦٤٤هـ، ولعل عمر المشار إليه في النقش هو الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي توفي في نهاية شهر ذي الحجة سنة ٢٣هـ ودفن في أول المحرم في عام ٢٤هـ.(٦) (لوحة١)

المسجد النبوي بالمدينة المنورة

شهد المسجد النبوي بالمدينة تطوراً كبيراً من الناحية المعمارية فى عهد الخليفة عثمان رضى الله عنه (٢٣- ٣٥هـ / ٦٤٤- ٦٥٦م)، كما إزدان المسجد بالنقوش فى عهده رضى الله عنه، ويعد نقش المسجد هنا بمثابة المرة الأولي فى تاريخ العمارة الإسلامية، حيث خلت كافة العمائر الدينية والمدنية التي شيدت قبل عمارة الخليفة عثمان رضي الله عنه من الزخارف، لذا يعد عهده رضى الله عنه مرحلة إنتقالية هامة في تاريخ الحضارة الإسلامية بصفة عامة، والعمارة الإسلامية بصفة خاصة، وهى المرحلة التي اتسمت فيها العمارة بالتطور من الناحية المعمارية، والتأنق من الناحية الزخرفية، وتعد هذه المرحلة اللبنة الأولي فى تطور وازدهار صرح الحضارة الإسلامية خلال عصورها التالية.

نقل السمهودي " وفى صحيح مسلم عن محمود بن لبيد ان عثمان بن عفان أراد بناء المسجد فكره الناس ذلك، وأحبوا أن يدعه على هيئته، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من بني " مسجداً لله " بني الله له فى الجنة مثله ". (٧)

وجاء فى صحيح البخاري " باب بنيان المسجد، وقال أبو سعيد كان سقف

المسجد من جريد النخل وأمر عمر ببناء المسجد.. حدثنا علي بن عبدالله قال حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد قال حدثني أبي عن صالح بن كيسان قال حدثنا نافع أن عبدالله أخبره أن المسجد كان على عهد رسول الله ﷺ مبنياً باللبن وسقفه الجريد وعمده خشب النخل فلم يزد فيه أبو بكر شيئاً وزاد فيه عمر وبناه على بنيانه فى عهد رسول الله ﷺ باللبن والجريد وأعاد عمده خشباً ثم غيره عثمان فزاد فيه زيادة كثيرة وبني جداره بالحجارة المنقوشة والقصة وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه بالساج ". (٨) (شكل ٢٧)

وأمدنا الزركشي فى إعلام الساجد بذرع وأبواب المسجد فقال " قال أهل السير: جعل عثمان طول المسجد مائة وستين ذراعا. وعرضه مائة وخمسين، وجعل أبوابه ستة كما كانت فى زمن عمر.. " (٩)، كذلك أمدنا ابن النجار بنص هام يتعلق بهذه الزيادة، حيث أورد " وكان عمله فى أول ربيع الأول سنة تسع وعشرين وفرغ منه حين دخلت السنة لهلال المحرم سنة ثلاثين، فكان عمله عشرة أشهر، وزاد من القبلة إلى موضع الجدار اليوم، وزاد فيه من المغرب اسطوانا بعد المربعة، وزاد فيه من الشام خمسين ذراعاً، ولم يزد فيه من المشرق شيئاً، وبناه بالحجارة المنقوشة والقصة وخشب النخل والجريد، وبيضه بالقصة، وقدر زيد بن ثابت أساطينه فجعلها على قدر النخل، وجعل فيها طاقات مما يلي المشرق والمغرب، وبني المقصورة بلبن وجعل فيها كوة ينظر الناس منها إلى الإمام، وكان يصلي فيها خوفاً من الذى أصاب عمر، وكانت صغيرة، وجعل أعمدة المسجد حجارة منقوشة فيها أعمدة الحديد وفيها الرصاص وسقفه بالساج فجعل طوله ستين ومائة ذراع، وعرضه خمسين ومائة ذراع وجعل أبوابه على ما كان على عهد رسول الله ﷺ باب عاتكة والباب الذي يليه، وباب مروان، والباب الذي يقال له باب النبي ﷺ، وبابين في مؤخره. وقال عبد الرحمن بن سفينة: رأيت القصة تحمل إلى عثمان وهو يبني المسجد من بطن نخل، ورأيته يقوم علي رجليه والعمال يعملون فيه حتي تأتي الصلاة فيصلي بهم ثم ربما نام فى المسجد، واشترى من مروان بن الحكم داره وكان

بعضها لآل النجار وبعضها دار العباس، لها باب إلى المسجد وهي اليوم باقية على حالها وفيها تسكن الأمراء ". (١٠)

كما أمدنا المؤرخ يحيي بن الحسين المتوفي في عام ١٠٨٠هـ / ١٦٦٩م بنص في غاية الأهمية يتعلق بعمارة الخليفة عثمان رضى الله عنه فى المسجد النبوي بشكل عام وبناء المآذن أو المنارات للأذان بشكل خاص، حيث قال " زاد عثمان في مسجد رسول الله ﷺ الزيادة العظيمة وجعل طوله مائة وستين ذراعا وعرضه مائة وخمسين ذراعا، وحملت له الحجارة من بطن نخل، ووضع في عمده الرصاص، وجعل أبوابه ستة على ما كانت عليه فى عهد عمر، ومن مآثر عثمان بناء المنارات للأذان، وكانت فى زمنه مربعة الشكل ". (١١)

ويعد الخليفة عثمان أول من عمل المقصورة، وكانت تشتمل علي كوة ينظر الناس منها إلى الإمام، وكانت من اللبن، واستعمل عليها السائب بن حباب، وكان رزقه دينارين فى كل شهر، قال المقريزي " وذكر عمر بن شيبة فى تاريخ المدينة أن أول من عمل مقصورة بلبن عثمان بن عفان وكانت فيها كوى تنظر الناس منها إلى الإمام وأن عمر بن عبد العزيز عملها بالساج ".(١٢)

أما فيما يتعلق بزيادة الخليفة عثمان رضى الله عنه فقد كانت فى سنة ٢٩هـ / ٦٤٩م كما أورد ابن النجار (١٣) وتقدم ذكره، وتمثلت هذه العمارة فى هدم المسجد بالكامل ثم إعادة بنائه، وهو الأمر الذى يتضح جلياً فى نص البخاري كما تقدم " ثم غيره عثمان فزاد فيه زيادة كثيرة، وبنيت جدران المسجد خلال هذه العمارة بالحجارة المنقوشة والقصة، وهي السمة الأولي التي تقابلنا فى عمارة المسجد فى العالم الإسلامي، قال السمهودي " فدعا العمال وباشر ذلك بنفسه، وكان رجلا يصوم الدهر ويصلي الليل، وكان لا يخرج من المسجد، وأمر بالقصة المنخولة تعمل ببطن نخل ".(١٤)

أما فيما يتعلق بالعمد (الأعمدة) فقد جاءت أيضاً من الحجارة المنقوشة، وقد ألفناها فى المساجد السابقة من سوار من جذوع النخل، لذا فهي هنا فى عمارة

عثمان تتسم بسمتين جديدتين، الأولي تتمثل في استخدام مادة الحجر لتحل محل مادة الخشب، وتتمثل الثانية فى زخرفة هذه الأعمدة مثل نقش أحجار الجدران، وهو الأمر الذى يؤكد على أن أسلوب النقش أصبح يمثل إتجاهاً جديداً فى الحضارة الإسلامية، وصاحب كل ذلك عملية بياض المسجد بالكامل بالقصة، مما يدل على أن المسجد اكتسب رونقاً وبهاءً، ويعكس أسلوب عمل عمد المسجد تطوراً فى الفكر المعماري الإسلامى سواء فى أسلوب رفعها بدرجة كبيرة لكى تحل محل جذوع النخل بحيث تحمل السقف مباشرة بدون عقود على أوتار أو عوارض خشبية، أو فى أسلوب التسقيف بالساج، وقد ورد فيما يتعلق بهذه العمد أنها بنيت بالآجر لا الحجر، فقد أورد السمهودي " وروي أبو داود أيضاً – وسكت عليه – عن عطية عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: إن مسجد النبي ﷺ كانت سواريه على عهد رسول الله ﷺ من جذوع النخل، أعلاه مظلل بجريد النخل، ثم إنها نخرت فى خلافة أبي بكر رضى الله عنه فبناها بجذوع النخل وبجريد النخل، ثم إنها نخرت فى خلافة عثمان رضى الله عنه فبناها بالآجر، فلم تزل ثابتة حتي الآن، هكذا رأيت فى أصول متعددة معتمدة من السنن، وأورده المسجد بلفظ: ثم إنها نخرت فى خلافة عمر – بدل أبي بكر – ولم أره فى شئ من النسخ. وفى هذا الخبر ما يقتضى أن السبب فى بناء عثمان للمسجد كون الجذوع التي هي السواري نخرت، وان عثمان بناها بالآجر لا الحجر، فلعل البعض كان فى زمنه مبنيا بالآجر وهو بعيد، وما تقدم من رواية الصحيح أصح ". (١٥)

أما فيما يتعلق بأبواب المسجد فهي كما كانت فى عمارة الخليفة عمر رضى الله عنه سواء من حيث الموقع أو العدد، حيث أقرها عثمان رضي الله عنه هذا من ناحية، ومن ناحية أخري فإن الروايات التي تناولت ذرع المسجد في أثناء عهد عثمان رضي الله عنه تتفق تقريباً في هذه الزيادة، وهي كما أورد السمهودي " وجعل طوله ستين ومائة ذراع، وعرضه خمسين ومائة ذراع "، وما يعنينا هنا هو التطابق سواء في طبيعة العمارة أو طبيعة الزيادة وذرع المسجد بين ما أورده المؤرخ يحيي بن الحسين

الذي يعد من علماء اليمن في القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي وما ورد من روايات من قبل معظم المؤرخين الذين تناولوا هذه العمارة مثل ابن النجار في الدرة الثمينة، والزركشي في إعلام الساجد، والسمهودي في وفاء الوفا وذلك علي سبيل المثال.

ويتناول المؤرخ يحيي بن الحسين في النص الذي تقدم ذكره المنارات أو المآذن وتكوينها المعماري في عمارة الخليفة عثمان رضي الله عنه بقوله " ومن مآثر عثمان بناء المنارات للأذان وكانت في زمنه مربعة الشكل "، وتكمن أهمية هذا النص في أنه يشير إلي المنارات أو (المآذن - الصوامع) صراحة من جهة، وتكوينها المعماري المربع من جهة أخري، لذا فإننا نثق فيما أورده عن المنارات في تلك الفترة الهامة والمبكرة من تاريخ الحضارة الإسلامية بشكل خاص، وفيما أورده عن عمارة المسجد النبوي بشكل عام علي الرغم من أنه لم يذكر لنا المصادر التي استقي منها معلوماته شأنه في ذلك شأن معظم المؤرخين اليمنيين.

ويدعم نص المؤرخ يحيي بن الحسين ما أورده المؤرخ المقريزي في خططه ونصه " وذكر عن عثمان رضي الله عنه أنه أول من رزق المؤذنين " (١٦)، وهو الأمر الذي يتضح في ضوئه أن المطمار أو المنارة (المئذنة - الصومعة (١٧)) أصبحت وحدة معمارية لها كيانها الخاص وتكوينها المعماري المربع، وأن وظيفة المؤذن أصبحت من الوظائف الدينية في عهد الخليفة عثمان رضي الله عنه، ويؤكد علي ذلك أيضاً ما أورده الطبري عن الزوراء ونصه في أحداث سنة ٣٠هـ/ ٦٥٠م " وفي هذه السنة زاد عثمان النداء الثالث علي الزوراء " (١٨)، كما أورد الشيخ عبد الحي الكتاني في التراتيب الإدارية " فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثالث علي الزوراء و الزوراء قيل أنه مرتفع كالمنارة " (١٩)، ثم تأتي بعد ذلك إشارة البلاذري (٢٠) عن منارة جامع البصرة التي شيدها والي العراق زياد بن أبيه خلال عمارته للمسجد، فقد أورد " وقال الوليد بن هشام بن قحذم لما بني زياد المسجد جعل صفته المقدمة خمس سواري وبني منارته بالحجارة ".

وتعد منارات أو مآذن أو صوامع عثمان بن عفان رضي الله عنه إمتداداً للكتلة المعمارية المربعة التي كانت تعلو أغلب الظن المسجد النبوي منذ إنشائه في أحد أركانه، والتي تقدم ذكرها، ثم المطمار الذي تقدم ذكره في عصر النبي ﷺ، وهو الأمر الذى يتضح فى ضوئه أن ما ذهب إليه المستشرقون وفى مقدمتهم Creswell وتقدم ذكره غير صحيح على الإطلاق.

ومن المرجح أن المعمار المسلم عند تشييده المنارات فى عهد عثمان رضى الله عنه قد راعى موقعها بحيث لا تشغل مساحة من مساحات الصلاة، فقد جاء فى إعلام الساجد فى باب " يكره غرس الشجر والنخل، وحفر الآبار فى المساجد.. وقال القاضى حسين فى تعليقه فى الصلاة لا يجوز الغرس فى المسجد ولا الحفر فيه، ولا أن يبني فيه منارة، ولا أن يضرب فيه اللبنات ويضعها فى زاوية منه، أو يجمع الحشيش فى موضع منه، لأن هذه الأشياء مما يشغل موضع الصلاة. وقيل. إن اتخاذ المنارة أحق لأنه يمكن الصلاة على رأسها بخلاف حفر البئر ونحوه ". (٢١)

ونلحظ التطور أيضاً فى هذه العمارة فى استخدام النوافذ المرتفعة فى الجدارين الشرقي والغربي، كما ورد فى نص ابن النجار الذى تقدم ذكره " وجعل فيها طاقات مما يلي المشرق والمغرب "، وفى استحداث المقصورة التي تقدم ذكرها، وقد فرش المسجد بحصباء وادي العقيق.

مقاصير الصلاة

تعد المقصورة التي شيدها عثمان رضي الله عنه بالمسجد النبوي أول مقصورة في تاريخ الحضارة الإسلامية، والمقصورة لغة من قصر الشىء، يقصره قصرا أي حبسه وتجمع علي مقاصير ومنه مقصورة الجامع، وقد سميت المقصورة مقصورة لأنها قصرت علي الإمام دون الناس.(٢٢)

وقد تناول محمد الكحلاوي في دراسة له مقاصير الصلاة، حيث يذكر أن المقاصير قد تنوعت وتعددت وظائفها في العصر الإسلامي، حيث خصصت مقاصير خاصة لصلاة النساء في المساجد الجامعة، وهى غالباً لا تقع في مؤخرة المسجد أو في

الظلتين الجانبيتين، وكانت لها مداخل خاصة بها تفتح عليها مباشرة، ويعد هذا النوع من المقاصير أقدم عهداً من مقصورة الإمام، وعرف العصر الإسلامي أنواعاً أخرى من المقاصير لم تكن مخصصة للصلاة، بل كانت لها وظائف أخرى إرتبطت في مضمونها بعمارة المسجد، ومنها المقاصير الضريحية التي تحيط بتراكيب الدفن، والمقاصير العلمية، ومقاصير الخزائن، ومقاصير الكتب، ومقاصير الفقراء، ومقاصير الصوفية.(٢٣)

وتمثل مقاصير الصلاة كما يذكر محمد الكحلاوي أهمية كبيرة في داخل المسجد، حيث أوجدها المعمار في مقدمة المسجد من جهة القبلة أمام المحراب فهى عبارة عن مساحة محددة تشغل جزءً من مساحة المسجد الداخلية، ومحاطة بسياج، وهى إذا وجدت في داخل ظلة القبلة فلابد أن تكون ملاصقة لجدار القبلة من أمام المحراب، ويعتبر جدار القبلة بذلك ضلعاً من أضلاعها، وهي في هذا الموضع تتقدم المحراب، وتحيط بالمنبر، أما إذا وجدت في الصحن فهى حتماً تقع في مواجهة المحراب أمام المحراب الخشبي الذي يقع علي محور المحراب الرئيسي، ويمكن أن تركب المقصورة ملاصقة بجدار القبلة علي جانبي المحراب.(٢٤)

وفيما يتعلق بنشأة المقصورة فقد تقدم أن أول من عملها الخليفة عثمان رضي الله عنه، والواقع أن المؤرخين إختلفوا حول نشأة ونسبة هذا النوع من المقاصير، فمنهم من نسبها إلي الخليفة عثمان رضي الله عنه، ومنهم من نسبها إلي الخليفة معاوية (٢٥) بن أبي سفيان، ومنهم من نسبها إلي والي العراق زياد بن أبيه، ونسبها آخرون إلي الخليفة مروان بن الحكم، وتفصيل ذلك فيما يتعلق بالخليفتين عثمان ومعاوية، فقد أورد ابن النجار، كما أورد السمهودي(٢٦)" في المقصورة التي اتخذها عثمان رضي الله عنه في المسجد وما كان من أمرها بعده روى ابن زبالة وابن شبة عن عبد الرحمن بن سعد عن أشياخه أن أول من عمل المقصورة بلبن عثمان بن عفان، وأنه كانت فيه كوى ينظر الناس منها إلي الإمام، وأن عمر بن عبد العزيز هو الذي جعلها من ساج حين بنى المسجد "، كما أورد السمهودي(٢٧) رواية أخرى

تفيد أن " أول من اتخذ المقصورة في المسجد معاوية رضي الله عنه حين ضربه الخارجي " وذلك نقلا عن شرح مسلم للنووي، ويتفق هذا الرأي وما ذكره ابن الأثير، وقد أورد البلاذري أن زياداً هو أول من اتخذها في مسجد البصرة، وذلك نقلا عن " الوليد بن هشام بن قحذم لما بنى زياد المسجد جعل صفته المقدمة خمس سواري وبنى منارته بالحجارة، وهو أول من عمل المقصورة "(٢٨)، وذكر بعض المؤرخين أن الخليفة مروان بن الحكم يعد أول من أحدثها، فقد أورد السمهودي " وروى يحيي هذا كله في زيادة عثمان رضي الله عنه، ثم روي في زيادة الوليد عن عبد الحكيم بن عبدالله بن حنطب قال: أول من أحدث المقصورة في المسجد مروان ابن الحكم، بناها بالحجارة المنقوشة، وجعل لها كوى.(٢٩)

ويعلق محمد الكحلاوي علي الروايات التاريخية السابقة قائلاً أن الدافع الأمني هو الذي دفع الخلفاء لصناعة مثل هذا النوع من المقاصير وذلك استناداً إلي ما أصاب الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مقتله وهو قائم يصلي في المسجد، ويرى أن الحجج التي أوردها المؤرخون قد تساوت حول كل من الخليفة عثمان رضي الله عنه ومعاوية ومروان بن الحكم، إلا أن هناك حقيقة أخرى وردت في نص لابن الأثير فحواها أن صحابياً يدعى السائب بن خباب قد شغل وظيفة من قبل الخليفة عثمان رضي الله عنه وهي وظيفة " صاحب المقصورة "، وجعل له فيها راتباً شهرياً يقدر بدينارين قال ابن الأثير في أسد الغابة " السائب بن خباب أبو مسلم. وقيل: أبو عبد الرحمن، صاحب المقصورة، مولى فاطمة بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس. روي عنه حديث واحد.. توفي سنة سبع وسبعين، وهو ابن اثنتين وتسعين سنة "، وعلي هذا يضيف محمد الكحلاوي أن السائب بن خباب يعتبر هو أول من شغل وظيفة " صاحب المقصورة "، حيث لم يأت المؤرخون بذكر واحد قد تولى هذه الوظيفة، بل ولم يرد اسم الوظيفة نفسها لا في أيام الخليفة معاوية، ولا في أيام الخليفة مروان، مما يرجح نسبة المقصورة إلي الخليفة عثمان رضي الله عنه في عام ٢٩هـ/٦٤٩م.(٣٠)

وفي ذلك نقل السمهودي ".. وروى الأول أيضا عن عيسى بن محمد بن السائب ومحمد بن عمرو بن مسلم بن السائب بن خباب وعمر بن عثمان بن عبد الرحمن أن عثمان بن عفان أول من وضع المقصورة من لبن، واستعمل عليها السائب بن خباب، وكان رزقه دينارين في كل شهر.. وكانت صغيرة ".(٣١)

وقد أوضح الفقهاء رأي الدين في اتخاذ المقاصير للصلاة، فقد أجمعوا علي أنها لم تكن علي عصر رسول الله ﷺ، وإنما أحدثها الخلفاء بسبب الخوف علي أنفسهم، وأفتوا بأن اتخاذها في المسجد مكروه لأنها تفرق الصفوف وتحول دون التمكن من رؤية الإمام وحكمها حكم المنبر لقطعها الصف الأول، مما دفع الخليفة العباسي المهدي إلي أن يأمر ولاته في عام ١٦١هـ/٧٧٧م، برفع المقاصير من المساجد وبتقصير المنابر علي قدر منبر الرسول ﷺ، وفي هذا يذكر المقريزي " وفي سنة إحدى وستين ومائة أمر المهدي بنزع المقاصير من مساجد الأمصار وبتقصير المنابر فجعلت علي مقدار منبر رسول الله ﷺ ثم أعيدت بعد ذلك ".(٣٢)

نقش المساجد

جاء في إعلام الساجد فيما يتعلق بنقش المسجد " يكره نقش المسجد واتخاذ الشرفات له، ذكره في الروضة قبل باب السجدات، لأنها تشغل القلب، وروى البيهقي عن أنس مرفوعا: ابنوا المساجد واتخذوها جما بضم الجيم، وتشديد الميم. قال أبو عبيد: الجم الذي لا شرف له، وعن ابن عمر: نهانا، أو نهينا أن نصلي في مسجد مشرف، والشرف بضم الشين وفتح الراء: جمع شرفة كغرفة وغرف.. وقد روي أن ابن مسعود مر بمسجد مزخرف. فقال: لعن الله من زخرفه، أوقال لعن الله من فعل هذا، المساكين أحوج من الأساطين.. وقال البغوي في شرح السنة: لا يجوز تنقيش المسجد بما لا إحكام فيه. وقال في الفتاوى، فإن كان فيه إحكام فلا بأس فإن عثمان رضي الله عنه بنى المسجد بالقصة والحجارة المنقوشة. قال البغوي ومن زوق مسجدا أي تبرعا لا يعد من المناكير التي يبالغ فيها كسائر المنكرات، لأنه يفعله تعظيما لشعائر الإسلام. وقد سامح فيه بعض العلماء وأباحه بعضهم ثم قال في

موضع آخر: لا يجوز نقش المسجد من غلة الوقف ويغرم القيمة إن فعله فلو فعله رجل بماله كره، لأنه يشغل قلب المصلين.. وأطلق غيره عدم الجواز لأنه بدعة منهى عنه. ولأن فيه تشبها بالكفار. وذكر أبو نعيم في الحلية حديثا مرفوعا، إذا ساء عمل قوم زخرفوا مساجدهم، وإذا وقف علي النقش والتزويق لا يصح علي الأصح لأنه منهي عنه، ولأنه من أشراط الساعة ولأنه مما يلهي عن الصلاة بالنظر إليه. وقيل يصح لما فيه من تعظيم المسجد وإعزاز الدين، والخلاف يقرب من الخلاف في تحلية المصحف ".(٣٣)

وجاء في كتاب الفقه علي المذاهب الأربعة عند ذكر ما يكره فعله في المساجد وما لا يكره " ومنها نقش المسجد وتزويقه بغير الذهب والفضة، أما نقشه بهما فهو حرام، وهذا الحكم متفق عليه بين الشافعية والحنابلة ".(٣٤)

وجاء أيضاً " المالكية قالوا: يكره نقش المسجد وتزويقه، ولو بالذهب والفضة سواء كان ذلك في محرابه أو غيره كسقفه وجدرانه، أما تجصيص المسجد وتشييده فهو مندوب ". " الحنفية قالوا: يكره نقش المحراب وجدران القبلة بجص ماء ذهب إذا كان النقش بمال حلال لا من مال الوقف، فإن كان بمال حرام أو من مال الوقف حرم ولا يكره نقش سقفه وباقي جدرانه بالمال الحلال المملوك، وإلا حرم ولا بأس بنقشه من مال الوقف إذا خيف ضياع المال في أيدى الظلمة، أوكان فيه صيانة للبناء، أو فعل الواقف مثله ".(٣٥)

والواقع أن عمارة المسجد في عصرالرسول ﷺ كانت تتسم بالبساطة الشديدة كما تقدم شأنها في ذلك شأن عمارة مساكنه ﷺ التي جاءت كما يذكر ابن النجار " علي نعت بناء المسجد من لبن وجريد النخل "(٣٦)، ونلمس بوضوح هذه الفلسفة في بساطة الأسلوب المعماري في عهد الخليفة عمر رضي الله عنه، وهو الأسلوب الذي يتضح جلياً من خلال ما أورده البخاري ونصه " وأمر عمر ببناء المسجد وقال أكن الناس من المطر وإياك أن تحمر أو تصفر فتفتن الناس "(٣٧)، غير أنه في عهد الخليفة عثمان رضي الله عنه تطور الفكر المعماري الإسلامي،

حيث رأى المسلمون ضرورة أن تضاهي العمارة الإسلامية عامة والدينية خاصة من الناحيتين المعمارية والزخرفية آثار الأمصار العريقة في المدنية، خاصة وأن المسلمين هم سادة البلاد وحكامها.

جاء في إعلام الساجد فيما يتعلق بنقش المسجد " يكره زخرفتها.. ويكره أن يكتب في قبلة المسجد آية من القرآن أو شيئا منه قال مالك: وجوزه بعض العلماء، وقال: لا بأس به لقوله تعالى: " إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله ".. ولما روى من فعل عثمان ذلك بمسجد رسول الله ﷺ، ولم ينكر ذلك ".(٣٨)

ويتضح هذا الفكر المعماري الإسلامي جلياً عندما أرسل والي الشام معاوية بن أبي سفيان في سنة ٢١هـ/٦٤٢م يستأذن في إعادة بناء المساجد وتطوير عمارتها لإخراجها من طور البساطة إلي مظهر الفخامة والجلال حتى تضاهي العمائر المسيحية واليهودية في الشام فأذن له الخليفة بذلك.(٣٩)

ونلحظ جلياً فلسفة معاوية التي تتمثل في إظهار عز الإسلام في موقفه مع الخليفة عمر رضي الله عنه فيما أورده الطبري ونصه " حدثنى أحمد بن زهير، عن علي بن محمد، قال: حدثنا أبو محمد الأموي، قال: خرج عمر بن الخطاب إلي الشأم، فرأى معاوية في موكب يتلقاه، وراح إليه في موكب، فقال له عمر: يا معاوية، تروح في موكب وتغدو في مثله.. قال: يا أمير المؤمنين، إن العدو بها قريب منا، ولهم عيون وجواسيس، فأردت يا أمير المؤمنين أن يروا للإسلام عزا".(٤٠)

مما تقدم يتضح أن عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه يعد البداية الحقيقية لتطور الفن المعماري الإسلامي من كافة الجوانب، قال ابن النجار " وقال جابر بن عبدالله: وكان أول من خلق المسجد عثمان بن عفان رضي الله عنه "(٤١)، وجاء في إعلام الساجد " واستحب بعض السلف تخليق المساجد بالزعفران والطيب، وروي عنه ﷺ فعله ".(٤٢)

إشكالية تخطيط المسجد النبوي
في خلافة عثمان رضي الله عنه

يذكر فريد شافعي "ولم يتطلب الدين الحنيف أكثر من جدران تقام بأية من المواد البنائية، تحدد محيط المسجد وتحفظ حرمته، ومن سقيفة أو ظلة أو أكثر يحتمي بها المسلمون في أثناء صلاتهم.. وهو التخطيط الذي بدأ ظهوره في المسجد النبوي بالمدينة ووضعت خطوطه الأولى في أول سنة من الهجرة، وانتقل إلي الخطوة التالية في السنة الثانية بعد الهجرة وأكبر ظننا أنه قد أصبح متكاملاً في وقت بعد سنة ٢٤ من الهجرة (٦٤٥م) بقليل، وذلك عندما تمت الزيادة التي أضافها عثمان بن عفان لتوسيع المسجد، ومن المحتمل أن يكون قد أضاف أيضاً ظلات أخرى إلي جوانب الفناء الأوسط المكشوف، الذي عرف فيما بعد بالصحن وأصبح ذلك التخطيط المتكامل النموذج الرئيسي الذي شيدت عليه المساجد الجامعة في بلاد المسلمين، والذي ندعوه بالتخطيط ذي الصحن والظلات ".(٤٣) (شكل٢٨)

ويذكر الشهري أن المسجد النبوي بقي بعد زيادة الخليفة عمر رضي الله عنه علي ما كان عليه في عهد الرسول ﷺ بظلتين إحداهما جنوبية والأخرى شمالية، حيث يشير إلي أنه لم يجد في المصادر التي اطلع عليها ما يشير إلي أنه أحدث للمسجد ظلات جانبية بالجانبين الشرقي والغربي، ويضيف أن ضيق المسجد قبل التوسعة وطريقة توزيع الأبواب التي استحدثها الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في المسجد، وهى باب السلام، وباب النساء، وباب في مؤخر المسجد مع الإبقاء علي الباب الذي كان فيه في عصرالرسول ﷺ، وكذلك باب الرحمة، وباب آل عثمان المعروف بباب جبريل الذي لم يتغير عن موضعه في هذه العمارة علي كثرة المصلين الأمرالذي أوجب فتح هذه الأبواب الستة، وإذا كانت الظلتان الجانبيتان لم نجدهما في عهدي عمر وعثمان رضي الله عنهما كما أورد فريد شافعي في المخطط الذي وضعه للمسجد النبوي، فإن الحاجة إليهما بدأت منذ ذلك الوقت، الذي بدأت فيه العناصر المعمارية الجديدة تظهر في المسجد تباعاً، ومنها السترة التي بنيت فوق

سطح المسجد.(٤٤)

ويذكر حسن الباشا أن تصميم المسجد النبوي بالمدينة صار نموذجاً للمساجد الجامعة التي أسسها المسلمون في المدن الجديدة التي شيدوها عقب الفتوح الإسلامية مثل مسجد البصرة ومسجد الكوفة ومسجد عمرو بالفسطاط ومسجد عقبة بن نافع بالقيروان وغيرها، ومما يدعو إلي التساؤل أن مسجد الكوفة قد صمم عند إعادة بنائه في سنة ٥١هـ/٦٧١م علي يد زياد بن أبيه علي هيئة صحن مستطيل تحف به ظلات أربع أطولها ظلة القبلة، ولما كان المسلمون يحرصون علي الإقتداء في تصميم مساجدهم بمسجد النبي ﷺ فكيف استعمل هذا التصميم في مسجد الكوفة مع أنه لم يصلنا معلومات تدل علي أن مسجد النبي ﷺ اتخذ هذا التصميم قبل عمارة الوليد بن عبد الملك؟ أمن المحتمل أنه كان قد أجرى في المسجد النبوي عمارة في خلافة علي بن أبي طالب، كان من جرائها اتخاذ المسجد هذا التصميم، ومن ثم اقتدى به عند إعادة بناء مسجد الكوفة في سنة ٥١هـ أم أن التصميم الجديد لمسجد الكوفة قد تأثر بالمسجد الحرام بعد أن زوده عثمان بن عفان بأروقة كما سبق ذكره.(٤٥)

والواقع أنه من خلال ما تقدم يمكن القول أن المسجد النبوي كان في مرحلته الأولى يشتمل علي مساحة مستطيلة مكشوفة كما تقدم تمتد من الشرق إلي الغرب كما يذكر الشهري بمقدار ٦٣ ذراعاً ومن الشمال إلي الجنوب بمقدار ٥٤ ذراعاً، وثلثا ذراع، تحددها أربعة جدران، وهو التخطيط الذي استمر في مرحلته الثانية التي تقدم ذكرها، ثم تطور تخطيط المسجد في مرحلته الثالثة نتيجة العوامل البيئية (المناخية) كما تقدم إلي صحن وظلة للقبلة، وهى الظلة الأولى أو الشمالية التي كانت تتجه إلي بيت المقدس، ثم أصبح المسجد يشتمل علي صحن وظلتين بعد تحويل القبلة إحداهما في الجهة الشمالية لأهل الصفة كما تقدم، وهي الظلة الأولى أو القديمة التي كانت تتجه إلي بيت المقدس قبلة المسلمين الأولى، والثانية للصلاة في الجهة الجنوبية، وهي الظلة الثانية أو الجديدة التي تتجه إلي مكة المكرمة قبلة

المسلمين الجديدة، وذلك في السنة الثانية للهجرة، وتوفي الرسول ﷺ والمسجد علي هذا الشكل من العمارة، وهو في تخطيطه سواء قبل أو بعد تحويل القبلة كان عبارة عن صحن وظلة جنوبية للصلاة من الناحية الوظيفية، وعلي الرغم من أن المسجد تعرض للزيادة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم تعرض للزيادة والعمارة في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه من منطلق أن الرسول ﷺ سن الزيادة في مسجده الشريف إذا دعت الضرورة إلي ذلك، إلا أن المسجد لم يشتمل علي ظلتين جانبيتين في جانبيه الشرقي والغربي بواقع ظلة في كل جانب، ويعزى هذا في إعتقادي إلي أنه لم تكن هناك ضرورة لوجود هذه الظلة في الجهتين الشرقية والغربية في العصر الراشدي، ومن المرجح أن مساجد اليمن التي شيدت في عصر الرسول ﷺ وهي مساجد صنعاء وذمار والجند التي تقدم ذكرها كانت تشتمل علي صحن وظلة للقبلة علي غرار المسجد النبوي، وكذلك جاءت مساجد الأمصار الإسلامية في العراق ومصر في مسجد البصرة حوالي ١٤هـ/٦٣٥م، ومسجد الكوفة حوالي ١٧هـ/٦٣٨م، ومسجد عمرو بالفسطاط ٢١هـ/٦٤٢م، حيث يعد هذا التخطيط بمثابة طراز المسجد في تلك الفترة الزمنية من تاريخ الحضارة الإسلامية، وهو الأمر الذي يتضح جلياً في نص الطبري الذي تقدم ذكره عند ذكره مسجد الكوفة ونصه " وبنى ظلة في مقدمه، ليست لها مجنبات ولا مواخير.. وكذلك كانت المساجد ما خلا المسجد الحرام، فكانوا لا يشبهون به المساجد تعظيما لحرمته ".

أما فيما يتعلق بمسجدي البصرة والكوفة شكل (٢٩) في عهد والي العراق زياد بن أبيه وخلافة معاوية بن أبي سفيان فقد إشتمل تخطيطهما عقب عمارة زياد علي صحن أوسط مكشوف وأربع ظلات تحيط به من جوانبه الأربعة بواقع ظلة في كل جانب وبذلك تكامل تخطيط المسجد في العمارة الإسلامية من " صحن وأربع ظلات " بحيث تكون ظلة القبلة أكبر هذه الظلات، ومن المرجح أن زياداً رأى ضرورة أن يشتمل المسجد علي ثلاث ظلات جانبية لكي يكتمل تخطيط المسجد

من صحن وأربع ظلات، وأن تحيط هذه الظلات بصحن مكشوف لتكتسب من خلاله ومن خلال وجود المداخل والنوافذ والفتحات التهوية والإضاءة، ومن ثم إكتملت عمارة المسجد في مدينتي البصرة والكوفة قبل أن تكتمل في المدينة المنورة في المسجد النبوي.

أما فيما يتعلق بالمسجد النبوي خلال الفترة من عمارة الخليفة عثمان رضي الله عنه حتى عمارة الوليد بن عبد الملك في العصر الأموي (شكل٣٠- ٣١) فقد ظل كما يذكر الشهري محتفظاً بعمارة الخليفة عثمان رضي الله عنه، حيث لم يشهد خلالها من الأعمال المعمارية إلا ما قام به مروان بن الحكم الذي بلط حوله بالحجارة، وذلك في خلافة معاوية.(٤٦)

والواقع أن المدينة المنورة توالت عليها أحداث هامة بعد مقتل الخليفة عثمان رضي الله عنه وولاية الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهي الأحداث التي إنتهت بإعلان الدولة الأموية، وخلافة معاوية، ومن ثم إنتقال عاصمة وحاضرة الخلافة من المدينة المنورة إلي دمشق، حيث بقيت المدينة المنورة مجرد مدينة روحية.

مما تقدم يتضح أن تخطيط المسجد قد اكتمل في مسجدي البصرة والكوفة قبل أن يكتمل في المسجد النبوي بالمدينة المنورة، إذ ليس من الضروري أن يكتمل هذا التخطيط في المسجد النبوي ثم نجده في مسجدي البصرة والكوفة، خاصة في ضوء الأحداث السياسية التي مرت بها المدينة المنورة من جهة والعالم الإسلامي من جهة أخرى، وهي الأحداث التي ترتب عليها انتقال الخلافة الإسلامية من المدينة المنورة إلي الشام، ثم الاهتمام الكبير من قبل الأمويين بالسيطرة علي مصر والعراق وإحداث نهضة عمرانية فيهما هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لم تكن هناك ضرورة لإشتمال المسجد النبوي علي ظلتين جانبيتين، حيث لم تشر المصادر التاريخية التي بين أيدينا إلي إضافات معمارية خلال تلك الفترة في المسجد النبوي، أما فيما يتعلق بتأصيل هذا التخطيط الذي إكتمل من " صحن وأربع ظلات " فمن المرجح أن زياداً تأثر في تخطيطه لمسجدي البصرة والكوفة بعمارة المسجد الحرام

في عهد الخليفة عثمان رضي الله عنه، فقد كان المسجد الحرام علي زمن النبي ﷺ والخليفة أبي بكر رضي الله عنه من غير جدار يحيط به، وكانت الدور تحدق به، ثم شيد المسجد وأصبح يشتمل علي جدار يحيط بفناء يحيط بدوره بالكعبة المشرفة في عهد الخليفة عمر رضي الله عنه في سنة١٧هـ/٦٣٨م كما تقدم، ثم قام الخليفة عثمان بعمارته فوسعه وشيد المسجد والأروقة، وكان أول من اتخذها كما تقدم فاكتمل الشكل النهائي لتخطيط المسجد الحرام، وإذا كان الخليفة عثمان رضي الله عنه قد أحاط المسجد الحرام بالأروقة من جوانبه الأربعة حول فناء الخليفة عمر رضي الله عنه فإن هذا ربما يدعم أنه لم ير ضرورة لأن يشتمل المسجد النبوي بالمدينة عند عمارته له علي ظلات أو أروقة جانبية علي غرار المسجد الحرام حتى لا يشبهه بالمسجد الحرام من منظور نص الطبري الذي تقدم ذكره ونصه " وبنى ظلة في مقدمه (مسجد الكوفة) ليس لها مجنبات ولا مواخير.. وكذلك كانت المساجد ما خلا المسجد الحرام، فكانوا لا يشبهون به المساجد تعظيما لحرمته ".(٤٧)

هوامش وتعليقات الفصل الخامس

١) ابن الأثير: أسد، ج٣، صص ٥٨٤- ٥٨٥.

٢) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج١، ص ٢٠٦.، محمد عبد الفتاح عليان: تاريخ الخلفاء، صص ٢٤٤- ٢٤٥.

٣) محمد عبد الفتاح عليان: تاريخ الخلفاء، صص ٢٤٥- ٢٧٥.

٤) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج١، ص ٢١٠.، محمد عبد الفتاح عليان: تاريخ، صص ٢٥٧- ٢٦٠.

٥) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج١، صص ٢١٤- ٢٢٦.، محمد عبد الفتاح عليان: تاريخ، صص ٣٠٠- ٣١٣.

٦) وزارة الإعلام، المملكة العربية السعودية، وكالة الآثار والمتاحف: آثار منطقة المدينة المنورة، ص ١٣٠.

٧) السمهودي: وفاء، ج٢، ص٥٠١.

٨) البخاري: صحيح، ج١، ص١٢١.

٩) الزركشي: إعلام، ص ٢٢٥.

١٠) ابن النجار: الدرة، ص ١٧٤.

١١) يحيي بن الحسين: غاية الأماني فى أخبار القطر اليماني، تحقيق سعيد عبدالفتاح عاشور، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م، ج١، ص٨٨.

١٢) المقريزي: الخطط، ج٢، ص٢٤٧.، جعفر بن السيد إسماعيل المدني البرزنجي: نزهة الناظرين فى تاريخ مسجد سيد الأولين والآخرين، تحقيق أحمد سعيد بن سلم، القاهرة، ط٢، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م، ص٣٧. مزيد من التفاصيل أنظر: محمد محمد الكحلاوي: مقاصير الصلاة فى العصر الإسلامي، مجلة كلية الآثار، جامعة القاهرة، العدد الثالث، ١٩٨٩م، صص ٢٠٣- ٢١١.

١٣) ابن النجار: الدرة، ص ١٧٤.

١٤) السمهودي: وفاء، ج٢، ص ٥٠٢.

١٥) السمهودي: وفاء، ج٢، ص ٥٠١.

١٦) المقريزي: الخطط، ج٢، ص ٢٧٠.

١٧) يعد هذا اللفظ من الألفاظ التي أطلقت علي المئذنة قال ابن منظور " المئذنة موضع الأذان للصلاة وقال اللحياني: هى المنارة يعني الصومعة. ابن منظور: لسان العرب، ج١، ص ٥٣.، CRASWELL: THE EVOLUTION OF THE MINARET , P.1 , ABU SEIF (D.B.): THE MINARETS OF CAIRO , THE AMERICAN UNIVERSITY IN CAIRO PRESS , P. 11. , BLOOM , JONATHAN: MINARET SYMBOL OF ISLAM , PUBLISHED BY OXFORD UNIVERSITY PRESS , PP. 29- 31.

١٨) الطبري: تاريخ، مج٢، ص ٦١٧.

١٩) عبد الحي الكتاني: نظام الحكومة، ص ٧٩.

٢٠) البلاذري: فتوح، صص ٣٣٨- ٣٣٩

٢١) الزركشي: إعلام، ص ٣٤٢.

٢٢) ابن منظور: لسان العرب، ج٥، صص ٣٦٤٦- ٣٦٤٧.

٢٣) محمد محمد الكحلاوي: مقاصير الصلاة، صص ٢٠٧- ٢٠٨.

٢٤) محمد محمد الكحلاوي: مقاصير الصلاة، صص ٢٠٨- ٢٠٩.

٢٥) ابن الأثير: الكامل، ج٣، ص ١٢٧.

٢٦) السمهودي: وفاء، ج٢، ص ٥١٠.

٢٧) السمهودي: وفاء، ج٢، ص ٥١٢.

٢٨) البلاذري: فتوح، صص ٣٣٨- ٣٣٩.

٢٩) السمهودي: وفاء، ج٢، ص ٥١١.، محمد محمد الكحلاوي: مقاصير الصلاة، صص ٢٠٩- ٢١٠.

٣٠) ابن الأثير: أسد الغابة فى معرفة الصحابة، تحقيق محمد إبراهيم البنا، محمد أحمد عاشور، محمود عبد الوهاب فايد، دار الشعب، كتاب الشعب، مج٢،

ص ٣١٣.، محمد محمد الكحلاوي: مقاصير الصلاة، ص ٢١٠.

٣١) السمهودي: وفاء، ج٢، صص ٥١٠- ٥١١.

٣٢) المقريزي: الخطط، ج٢، ص ٢٥١.، محمد محمد الكحلاوي: مقاصير الصلاة، صص ٢١٠- ٢١١.

٣٣) الزركشي: إعلام، صص٣٣٥ – ٣٣٧.

٣٤) الجزيري: الفقه، ، ج١، ص ٢٢٣.

٣٥) الجزيري: الفقه، ، ج١، صص ٢٢٣- ٢٢٤، هامش٢.

٣٦) ابن النجار: الدرة، ص ١٥٢.

٣٧) البخاري: صحيح، مج١، ج١، ص١٢١.، سعاد ماهر محمد: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، جمهورية مصر العربية، ج١، ص٣٨.

٣٨) الزركشي: إعلام، ص ٣٣٧. واللام فى قوله لتزخرفنها لام القسم والفعل بعدها جواب القسم وقوله كما زخرفت اليهود والنصاري أي بيعهم وكنائسهم حين أضاعوا الدين، وعولوا على الزخارف والتحسين.

محمد عبد الستار عثمان: نظرية الوظيفية بالعمائر الدينية المملوكية الباقية بمدينة القاهرة، رسالة دكتوراه منشورة، كلية الآداب بسوهاج، جامعة أسيوط، ديسمبر، ١٩٧٩م، ص٢٠.

٣٩) محمد كرد على: خطط الشام، دمشق، ١٣٤٣هـ / ١٩٢٥م، ج٦، صص ٤٥ - ٤٦.

٤٠) الطبري: تاريخ، مج٣، ص٢٦٥.

٤١) ابن النجار: الدرة، ص ١٦٢.

٤٢) الزركشي: إعلام، ص ٣٣٨.

٤٣) فريد شافعي: العمارة، ص ٢٣٧.

٤٤) الشهري: عمارة، ص٨٧.

٤٥) حسن الباشا: مدخل، ص ١٢٢.

٤٦) الشهري: عمارة، ص ١٠٥.

٤٧) الزركشي: إعلام، ص ٥٧.، حسن الباشا: مدخل، ص ١١٣.، أحمد رجب محمد علي: المسجد الحرام بمكة المكرمة ورسومه فى الفن الإسلامي، الدار المصرية اللبنانية، ط١، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م، صص ٣٤- ٣٥.

الفصل السادس

العمائر الدفاعية

فى عهدي عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان

رضى الله عنهما

التحصينات الساحلية

أورد السيد سابق في فقه السنة " الجهاد، مأخوذ من الجهد، وهو الطاقة والمشقة، يقال: جاهد، يجاهد، جهاداً، ومجاهدة. إذا استفرغ وسعه، وبذل طاقته، وتحمل المشاق في مقاتلة العدو ومدافعته، وهو ما يعبر عنه " بالحرب " في العرف الحديث، والحرب هي القتال المسلح بين دولتين فأكثر، وهي أمر طبيعي في البشر، لا تكاد تخلو منه أمة ولا جيل، وقد أقرته الشرائع الإلهية السابقة ".(١)

وقد تطلبت مسيرة الفتح الإسلامى في بلاد الشام ومصر والمغرب تأمين الخط الساحلي الممتد على طول البحر المتوسط من خلال ترميم وتدعيم الحصون الرومانية، أو البيزنطية من جهة، واستحداث حصون جديدة من جهة أخرى لتكون بمثابة قواعد دفاعية ساحلية في مواجهة الغارات البيزنطية التي كانت تهدد مسيرة الفتوحات الإسلامية واستقرارها آنذاك.

جاء في باب فضل الجهاد والسير في صحيح البخاري " حدثنا الحسن بن صباح حدثنا محمد بن سابق حدثنا مالك بن مغول قال سمعت الوليد بن العيزار ذكر عن أبي عمرو الشيباني قال قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه سألت رسول الله ﷺ قلت يارسول الله أي العمل أفضل قال الصلاة علي ميقاتها قلت ثم أي قال بر الوالدين قلت ثم أي قال الجهاد في سبيل الله..".(٢)

وجاء في باب فضل رباط يوم في سبيل الله وقول الله تعالى: يا أيها الذين آمنوا اصبروا إلي آخر الآية حدثنا عبدالله بن منير سمع أبا النضر حدثنا عبد الرحمن بن عبدالله بن دينار عن أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها ".(٣)

وتعد المناظر (المراقب – الطلائع) من أقدم التحصينات الحربية التي أقامها العرب علي الساحل الشامي، وكانت تمثل عنصراً أساسياً من عناصر الدفاع عن

هذا الساحل، وكانت هذه المناظر تعمل طوال الفصل الدافئ من السنة، وهو الفصل الذي يمتد من ابريل إلي اكتوبر استناداً إلي الأساس المناخي من جهة، ومواعيد الملاحة الممكنة من جهة أخرى، وذلك بإيقاد النار في أعلاها، وهو الإيقاد الذي يمتد بسرعة الضوء ومسافة الإشتعال، فلا تمضي ساعة علي الأكثر كما يذكر محمد عبد الهادي شعيرة حتى تكون جميع المدن الساحلية المحصنة قد علمت بوجود الخطر، وعندئذ يتجمع أهل كل عرافة إلي عريفهم، ويحتشد المرابطون ويسيرون نحو مصدر الضوء حتى يصلوا إلي المنطقة المراد الدفاع عنها.(٤)

هذا وقد كان تحصين مدن الساحل ضرورة استراتيجية اقتضتها الظروف السياسية في ذلك الوقت، فقد رأى المسلمون الإحتفاظ بالحصون الرومانية أو البيزنطية التي وصلت إليهم في حالة جيدة مثل تحصينات أنطاكية (٥) واللاذقية (٦) وطرابلس (٧) وكانت أنطاكية أهم هذه الحصون في العصرين البيزنطي والإسلامي، حيث اتخذها المسلمون قاعدة للدفاع عن الحدود الشامية الشمالية، كما رأوا إعادة بناء وتدعيم الحصون المتهدمة في ثماني مدن، وتتمثل هذه الحصون في بلدة (٨)، وأنطرطوس (٩)، ومرقية (١٠)، وبلنياس (١١)، وصيدا، وعرقة، وجبيل، وبيروت، كذلك أعادوا بناء مدينتين هما عكا (١٢) وصور (١٣)، وأضاف محمد عبد الهادي شعيرة مدينتين غير المدن الواردة في المصادر التاريخية هما جبلة (١٤) وعسقلان (١٥)، كذلك رأى المسلمون بناء حصون جديدة فقاموا ببناء حصن سفيان الذي شيد بين سنتي ٢٣ و٢٥هـ/٦٤٣ و٦٤٥م، وهو الحصن الذي ذكره البلاذري فقال " وجه معاوية سفيان بن مجيب الأزدي إلي طرابلس، وهي ثلاثة مدن مجتمعة فبنى في مرج علي أميال منها حصنا سمي حصن سفيان وقطع المادة عن أهلها من البحر وغيره وحاصرهم فلما اشتد عليهم الحصار اجتمعوا في أحد الحصون الثلاثة وكتبوا إلي ملك الروم.. فوجه إليهم بمراكب كثيرة فركبوها ليلا وهربوا، فلما أصبح سفيان، وكان يبيت كل ليلة في حصنه ويحصن المسلمين فيه ".(١٦)

فتح برقة وطرابلس الغرب

كانت برقة وطرابلس ولاية واحدة داخلة في زمام مصر من الناحية السياسية قبل العصر الإسلامي، فانقطعت بذلك الصلات السياسية الرسمية بين هاتين الولايتين وبقية إفريقية، وقد كانت هاتان الولايتان من أكثر الولايات نشاطاً في أوائل العصر البيزنطي، وكان أهلها أكثر أهل إفريقية ثورة ووثوباً بالبيزنطيين فكانت لواتة – أعظم قبائل برقة وطرابلس – قائدة الثورة الكبرى فيما بين سنتي ٥٤٥ و٥٤٦ م التي إنتهت بمقتل حاكم إفريقية.(١٧)

هذا وقد كان تقرير فتح مصر في مؤتمر الجابيه الحربي ضرورة إقتضتها العمليات الحربية لتأمين الفتوحات الإسلامية بالشام، وبعد أن تم فتح مصر في عام ٢١هـ/٦٤٢م عقب معاهدة الإسكندرية في ١٦ شوال سنة٢١هـ/١٧سبتمبر٦٤٢م أدرك القائد عمرو بن العاص أهمية فتح بلاد المغرب، حيث وجد الخطر البيزنطي ما زال قائماً في إفريقية فقرر فتح بلاد المغرب، والقضاء علي النفوذ البيزنطي هناك لتأمين الفتوحات الإسلامية في بلاد الشام ومصر، وأيضاً لتطبيق سياسة الإستمرار في الفتح نحو الغرب ونشر الإسلام.(١٨)

بدأ عمرو بن العاص أحداث الفتح الإسلامي لبلاد المغرب بعد فتح الإسكندرية، إذ أرسل قائده عقبة بن نافع الفهري في سرية صغيرة إلي برقة (أنطابلس) لإستطلاع أحوال البلاد، وكان أهل برقة آنذاك علي علاقة قوية مع مصر، حتى أن بعض قبائلها كان يحسب من قبطها، وكانت الطرق بينهما مطروقة مأمونة، قال ابن عذاري " ووجه منها عقبة بن نافع الفهري إلي لوبية (١٩) وإفريقية"(٢٠)، وبعد أن وصلت عمرو بن العاص أخبار مشجعة من قائده عقبة توجه بنفسه في عام ٢٢هـ /٦٤٢م لفتح هذه البلاد، ونشر الإسلام فيها، وتأمين حدود مصر الغربية.(٢١) (شكل ١٤- ١٥)

سار عمرو بن العاص بجيشه حتى قدم برقة فصالح أهلها علي الجزية وهي ثلاثة عشر ألف دينار، وكان أهل برقة يبعثون بالجزية إذا جاء وقتها فلم يدخل برقة

يومئذ جابي خراج، وبعد فتح برقة شرع عمرو في فتح طرابلس تمهيداً للدخول في إفريقية، وكان الأمر يستلزم جيشين أحدهما يسير بحذاء الساحل بقصد الإستيلاء علي طرابلس وما يليها من مدن ساحلية مثل سرت وصبرة، والثاني يتجه نحو جوف البلاد حيث الواحات الداخلية التي تؤلف مراكز المقاومة في قلب البلاد وأهمها فزان، وكان البربر بها من لواتة ونفوسة وهوارة واشتهرت منها قبائل جرمة Cramantes أيام الرومان، فبعث عمرو قائده عقبة إلي فزان فافتتحها ٢٢-٢٣هـ/٦٤٢- ٦٤٣م، ثم واصل زحفه حتى بلغ زويلة (٢٢) فأصبحت المنطقة ما بين برقة وزويلة مأمونة الجانب، أما عمرو ففتح مدينة سرت ثم زحف علي لبدة (٢٣)، فوجدها قليلة العمران وفتحها دون عناء، وبعث عمرو بفرقة لإخضاع ودان حين هم بالمسير إلي طرابلس، وقيل عند محاصرته لها، وكانت ودان من طرابلس كفزان من برقة، وذلك في عام ٢٣هـ/٦٤٣م، ثم تمكن من فتح طرابلس في عام ٢٣هـ/٦٤٣م، وكانت مدينة حصينة مسورة من سائر الجهات فيما عدا الجهة الشمالية التي تطل علي البحر.(٢٤)

وكانت طرابلس تابعة وقت الفتح الإسلامي لجريجوريوس، إذ يذكر ابن عبد الحكم عند ذكره فتح إفريقية ما نصه " وكان مستقر سلطان إفريقية يومئذ بمدينة يقال لها قرطاجنة وكان عليها ملك يقال له جرجير كان هرقل قد استخلفه فخلع هرقل وضرب الدنانير علي وجهه وكان سلطانه ما بين اطرابلس إلي طنجة".(٢٥)

هذا وقد كانت مدينة طرابلس عندما حاصرها عمرو بن العاص في عام ٢٢هـ/٦٤٢م ذات أسوار تحيط بها من ثلاثة جوانب في الجهات الجنوبية والشرقية والغربية، أما الجانب الشمالي فكان يشرف علي البحر المتوسط مباشرة بدون سور، وذلك بسبب سيطرة الروم سيطرة تامة علي البحر المتوسط في ذلك الوقت، وقد أمدنا ابن عبد الحكم بصفة طرابلس بما نصه " وكان البحر لاصقا بسور المدينة ولم يكن فيما بين المدينة والبحر سور وكانت سفن الروم شارعة في مرساها

إلي بيوتهم ".(٢٦)

وكانت مدينة طرابلس عندما حاصرها عمرو شهراً تشتمل علي حصن روماني بيزنطي من الغرب، لذا أقام عمرو عند مرتفع يعرف باسم القبة شرقي المدينة، وهو الموضع الذي شيدت عليه القلعة العثمانية بعد ذلك، وبعد فتح طرابلس أرسل عمرو فرقة إلي صبرة في عام ٢٣هـ/٦٤٣م، وفي ذلك أورد ابن عبد الحكم " وكان من بسبرت متحصنين.. فلما بلغهم محاصرة عمرو مدينة اطرابلس وأنه لم يصنع فيهم شيئاً ولا طاقة له بهم امنوا فلما ظفر عمرو بن العاص بمدينة طرابلس جرد خيلا كثيفة من ليلته وأمرهم بسرعة السير فصبحت خيله مدينة سبرت وقد غفلوا وقد فتحوا أبوابهم لتسرح ما شيتهم، فدخلوها ".(٢٧)

وبعد هذه الفتوح الإسلامية رغب عمرو في فتح إفريقية فأرسل إلي الخليفة عمر رضي الله عنه " إنا الله قد فتح علينا اطرابلس وليس بينها وبين إفريقية إلا تسعة أيام فإن رأى أمير المؤمنين أن يغزوها ويفتحها الله علي يديه فعل ".(٢٨)

ويذكر حسين مؤنس أنه بعد فتح صبرة أرسل عمرو للخليفة عمر رضي الله عنه، ويضيف أنه لو وجد التقدم نحو إفريقية ميسوراً لتقدم في غير عناء ولكن الغالب أن ما يلي صبرة من البلاد كان محصناً بالجند، حيث وجد عمرو ضرورة الإستعانة بإمدادات جديدة وهو الأمر الذي يتضح في ضوئه أن ما يلي صبرة من البلاد كان محل عناية جريجوريوس، وكان الخليفة عمر رضي الله عنه علي دراية بالأحوال السياسية في إفريقية وثورات أهلها وغدرهم بأصحاب السلطان فآثر أن يتوقف عمرو عند هذا الحد من الفتوحات، وكتب إليه قائلاً " لا إنها ليست بافريقية ولكنها المفرقة غادرة مغدور بها لا يغزوها أحد ما بقيت ".(٣٠)

وقد أورد البلاذري صيغة أخرى فذكر ما نصه " فكتب إليه ينهاه عنها ويقول: ما هي بافريقية ولكنها مفرقة غادرة مغدور بها، وذلك أن أهلها كانوا يؤدون إلي ملك الروم شيئاً فكانوا يغدرون به كثيراً وكان ملك الأندلس صالحهم ثم غدر بهم وكان خبرهم قد بلغ عمر ".(٣١)

ويذكر ابن عذاري " فأمر عمرو العسكر بالرحيل قافلاً إلي مصر "(٣٢)، قال ابن عبد الحكم " وقد كان عمرو يبعث الجريدة من الخيل فيصيبون الغنائم ثم يرجعون ".(٣٣)

وأغلب الظن أن عمرو بن العاص طلب من الخليفة عمر رضي الله عنه إمدادات لمواصلة الفتح الإسلامي في إفريقية، إلا أن الخليفة عمر رضي الله عنه رفض بسبب الأحوال الإقتصادية السيئة التي كانت تمر بها الخلافة الإسلامية في ذلك الوقت، كذلك فإنه من المرجح أن الخليفة عمر رضي الله عنه كتب إلي عمرو ينهاه عن غزو إفريقية حفاظاً علي سلامة الجيوش الإسلامية وحتى تستقر الفتوحات الإسلامية لبلاد الشام ومصر وبرقة وطرابلس (اطرابلس)، خاصة وأن عمرو بن العاص توجه لفتح بلاد المغرب بعد فتح الإسكندرية مباشرة.

أهمية موقع برقة بالنسبة للفتوحات الإسلامية

خرجت طرابلس عن طاعة المسلمين واحتلها البيزنطيون عقب عودة عمرو بن العاص إلي مصر، وبقيت برقة على طاعتها للمسلمين، حيث بقي بها القائد عقبة وحاميته العسكرية، وقضى وقته متنقلاً بين قبائلها والواحات القريبة منها، ومن ثم استقر فيها الحكم الإسلامي، وازدهرت بها الحضارة الإسلامية، فقد نجح عقبة فى كسب كثير من سكان البلاد من قبائل لواتة ونفوسة ونفزاوة وهوارة وزواغة فدخلوا فى الإسلام، ومن ثم أصبحت برقة قاعدة لجيش المسلمين فى غرب مصر.(٣٤)

لبث عمرو بمصر حتي عزله الخليفة عثمان رضى الله عنه بعبد الله بن سعد بن سرح فى سنة ٢٥هـ / ٦٤٥م، فأصبح عبدالله حاكماً على ما بقى للمسلمين من فتوحاتهم فى إفريقية قائداً على ما يخرج من الجند لإكمال الفتح فيها، فقد اعتبرت إفريقية جزءا ملحقاً بولاية مصر يحكمها عامل مصر ويجبى خراجها ويقود جندها. (٣٥)

بدأ عبدالله بن سعد يمهد لغزو المغرب فأخذ يبعث المسلمين فى جرائد النخل كما كانوا يفعلون فى أيام عمرو بن العاص، ثم أرسل يستأذن الخليفة عثمان

رضى الله عنه فى فتح إفريقية، فندب عثمان رضى الله عنه الناس لغزوها، فخرج إليه عبدالله بجيش استقبلته برقة بقيادة عقبة، ومنها انطلق إلى طرابلس وحاصرها أياماً ثم انصرف عنها، ثم حاصر قابس وانصرف عنها، حيث أفضى منها إلى تونس، وفاوض جريجوريوس عند قمونية، ثم دارت المعركة على مقربة من حصن عقوبة، وانتصر المسلمون وتقدموا إلى سبيطلة، ثم عاد عبدالله إلى مصر، ولم يول عليهم أحداً، ولم يتخذ بها قيرواناً، وكان ذلك فى سنة ٢٨هـ / ٦٤٧- ٦٤٨م.(٣٦) .

والواقع أن برقة قد أسهمت من خلال موقعها الجغرافى بدور هام وفعال فى الفتوحات الإسلامية واستقرارها فى إفريقية، وقد أورد ياقوت الحموي عنها " اسم صقع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الإسكندرية وإفريقية، واسم مدينتها أنطابلس وتفسيره الخمس مدن. (٣٧)

كانت برقة تعرف قبل الفتح الإسلامي بأنطابلس، قال ابن خرداذبة فى المسالك والممالك " ونزلت لواتة أرض برقة وهى أنطابلس بالرومية وهى خمس مدائن " (٣٨)، ثم أطلق عليها العرب اسم برقة بعد الفتح، وفى ذلك قال ابن سعيد " وكانت البلاد تعرف بأنطابلس فسمتها العرب برقة لما رأتها كثيرة الحجارة المختلطة بالرمل ". (٣٩)

طبيعة أهل برقة

يحدثنا ابن عبد الحكم عن أهل برقة من البربر بقوله " وتقدمت لواتة فسكنت أرض أنطابلس وهى برقة " (٤٠)، ثم يحدثنا اليعقوبي بشكل أكثر تفصيلاً عن سكانها من العرب والبربر بقوله " ولبرقة جبلان أحدهما يقال له الشرقي فيه قوم من العرب من الأزد ولخم وجذام وصدف وغيرهم من أهل اليمن، والآخر يقال له الغربي فيه قوم من غسان وقوم من جذام والأزد وتجيب وغيرهم من بطون العرب وقرى بطون البربر من لواتة من زكودة و مفرطة وزنارة وفى هذين الجبلين عيون جارية وأشجار وثمار وحصون وآبار للروم قديمة ". (٤١)

كما يحدثنا ابن عبدالحكم(٤٢) عن الطبيعة الطيبة المسالمة التي تميز به أهل برقة مقارنة بأهل المغرب ككل، وفي ذلك قال البلاذرى " فكانوا أخصب قوم

بالمغرب ولم يدخلها فتنة، قال الواقدي: وكان عبدالله بن عمرو بن العاص يقول: لولا مالى بالحجاز لنزلت برقة فما أعلم منزلا أسلم ولا أعزل منها. (٤٣)

مساجد برقة وطرابلس وبعض المدن الليبية

فيما يتعلق بالعمارة الدينية فى برقة فإن الحفائر(٤٤) الأثرية دلت على أن موقع المسجد الجامع القديم الذي يرجع فى إعتقادي إلى عهد عمرو بن العاص كان داخل أسوار المدينة الأثرية فى المساحة الممتدة من موقع المخطوطات المكتشفة إلى موقع الزاوية السنوسية، حيث كان من الطبيعي أن يشيد عمرو بن العاص مسجداً جامعاً بالمدينة، ومساجد أخرى تؤدي فيها الصلوات غير الجامعة على غرار عمائره الدينية فى مدينة الفسطاط، ومن الإشارات التاريخية التي تناولت العمارة الدينية فى الأراضي الليبية ما أورده التجاني عن مسجدين شيدهما عمرو بن العاص بطرابلس، يقع أحدهما فى الموضع (٤٥) الذى يقوم عليه حالياً مسجد أحمد باشا القرمانللي ١١٥٠هـ / ١٧٣٧- ١٧٣٨م بما نصه " ويقابل باب الستارة المتقدم الذكر المعروف بباب عبدالله من السور القديم باب يعرف بباب هوارة نسبة إلى من نزل فى أول الزمان، وبين يديه من داخل المدينة بطحاء متسعة يعرفونها بموقف الغنم.. وهنالك مسجد ينسب بناؤه إلى عمرو بن العاص رحمه الله " (٤٦)، ويقع الآخر بمدينة جنزور إحدي ضواحي طرابلس بما نصه " فحللنا بمنزل زنزور، فرأيت غابة.. وهى كثيرة القصور..وبها جامع متسع للخطبة يذكر أن عمرو بن العاص رحمه الله، أسسه " (٤٧)، كما أشار الحميري (٤٨) إلى مسجد شيده عقبة بن نافع بجبل نفوسة (٤٩)، كذلك تضم مدينة غدامس (٥٠) مسجداً ينسب إلى عقبة بن نافع.

الخليفة على بن أبي طالب رضى الله عنه

(٣٥- ٤٠هـ / ٦٥٦- ٦٦١م)

هو " على بن أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي الهاشمي. ابن عم رسول الله ﷺ، واسم أبي طالب عبد مناف. وقيل: اسمه كنيته، واسم هاشم: عمرو. وأم علي فاطمة بنت أسد بن هاشم. وكنيته: أبو الحسن أخو رسول الله ﷺ، وصهره على ابنته فاطمة سيدة نساء العالمين، وأبو السبطين، وهو أول هاشمي ولد بين هاشميين، وأول خليفة من بني هاشم، وكان على أصغر من جعفر وعقيل وطالب. وهو أول الناس إسلاما فى قول كثير من العلماء.. وهاجر إلى المدينة، وشهد بدرا، وأحدا، والخندق، وبيعة الرضوان، وجميع المشاهد مع رسول الله ﷺ إلا تبوك، فإن رسول الله ﷺ خلفه على أهله، وله فى الجميع بلاء عظيم وأثر حسن، وأعطاه رسول الله ﷺ اللواء فى مواطن كثيرة بيده.. وآخاه رسول الله ﷺ مرتين، فإن رسول الله آخي بين المهاجرين، ثم آخي بين المهاجرين والأنصار بعد الهجرة، وقال لعلي فى كل واحدة منهما: أنت أخي فى الدنيا والآخرة ". (٥١)

لم يكن انتخاب علي بن أبي طالب رضى الله عنه على الصورة التي تم بها انتخاب من سبقه من الخلفاء، فقد انتخب أبو بكر الصديق رضى الله عنه عن رضا من الصحابة الذين اجتمعوا بالمدينة المنورة، وإن كانوا قد اختلفوا بعض الاختلاف فى بادئ الأمر، وبعد وفاته لم يكن ثمة اختلاف فى الرأي، لأنه كان قد عهد إلي عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فرأي المسلمون وجوب طاعته، ولما توفى الفاروق عمر رضى الله عنه انتخب عثمان رضى الله عنه بمقتضى قانون الشوري الذي سنه عمر رضى الله عنه، وعند موت عثمان رضى الله عنه مال بعض الثوار إلى تولية على ابن أبي طالب رضى الله عنه، وعلى رأسهم ابن سبأ، وكان أكثر الصحابة متفرقين فى الأمصار، وتمت بيعة علي رضى الله عنه بالأغلبية. (٥٢)

كان الإمام على رضى الله عنه قد أبلي فى الإسلام بلاءا منقطع النظير، فقد

ناصر النبي ﷺ عندما دعا النبي ﷺ قومه عند الصفا وناشدهم الدخول في الإسلام ومؤازرته على نشره بعد أن عاداه عمه أبو لهب، ونام مكان الرسول ﷺ ليلة أن هاجر إلى يثرب، ثم لحق بالرسول ﷺ فى المدينة المنورة بعد أن رد الودائع التي كانت لدي الرسول ﷺ إلى أهلها، وتزوج من السيدة فاطمة رضي الله عنها فى السنة الثانية للهجرة، وكان مضرب الأمثال فى الفصاحة، وكان يرجع إليه فى كثير من مسائل الدين وتفسير القرآن ورواية الحديث ومسائل الميراث والمشكل من القضايا، ولقد اشتهر بلقب " الإمام " من بين الخلفاء الراشدين، ذلك لأنه انفرد بصفة لا يجاريه فيها منهم أحد، وهى " إتصاله بكل مذهب من مذاهب الفرق الإسلامية منذ وجدت فى صدر الإسلام ". (٥٣)

اشترط الإمام على رضى الله عنه أن تتم بيعته فى المسجد، وبعد أن تمت البيعة صعد على المنبر وخطب الناس، وبدأ خلافته بعزل الولاة الذين كانوا على عهد عثمان رضى الله عنه واستبدالهم بولاة جدد، وقرر تقسيم المال الفائض على الناس بالسوية، ورأي أن يؤجل التحقيق مع قتلة عثمان رضى الله عنه حتي تستقر الأحوال ويقبض على زمام الأمور، وكان بنو أمية قد طالبوا بمحاكمة قتلة عثمان رضى الله عنه والقصاص منهم، وأيد هذا الطلب كثير من المسلمين، وعلى رأسهم السيدة عائشة رضى الله عنها وطلحة والزبير رضى الله عنهما، ونتج عن ذلك اضطراب أحوال الدولة الإسلامية، ومن ذلك أن السيدة رملة بنت أبي سفيان أم المؤمنين حملت قميص عثمان رضى الله عنه مخضباً بالدماء إلى أخيها معاوية فى بلاد الشام ومعها النعمان بن بشير الأنصاري، فأمر معاوية بتعليقه على " منبر جامع دمشق " فألح الناس فى المطالبة بالثأر من قتلة عثمان رضى الله عنه، واضطربت الأمور فى مصر والبصرة والكوفة واليمن، ولم يبايع معاوية الإمام علي، كما لم يأبه بأمر العزل الذى أصدره ضد ولاة عثمان، واتهم معاوية الإمام على بشئ مما أصاب عثمان، وأنه أوي قتلته فى جيشه، واستغل التفاف أهل الشام حوله. (٥٤)

نقل العاصمة من المدينة المنورة إلى الكوفة

شهدت سنة ٣٦هـ / ٦٥٧م واقعة الجمل بين جيش الإمام علي رضى الله عنه وجيش السيدة عائشة رضى الله عنها ، وكان من نتائجها قدوم أهل الكوفة لنجدة الإمام على، مما جعله رضى الله عنه يعمل للكوفة وأهلها كل حساب، وقد ترتب على ذلك نقل عاصمة الدولة الإسلامية من مهدها " المدينة المنورة " إلى " الكوفة "، وفى سنة ٣٧هـ / ٦٥٨م تفاقم النزاع بين على ومعاوية رضى الله عنهما بحيث أدي فى النهاية إلى الصدام المسلح بينهما فى واقعة " صفين "، إلا أن الأمر انتهى بالإتفاق فيما بينهما على التحكيم، ولم يجن الإمام على من الهدنة ونتيجة التحكيم إلا كل ما أضر بمركزه أبلغ الضرر، إذ انقسم جيشه، وانقلب أنصاره خصوماً ألداء، خرجوا عليه وحاربوه، وسمي هؤلاء بالخوارج، وكان أن انتصر رضى الله عنه على الخوارج، ورغب فى قتال معاوية فطلب أتباعه العودة إلي الكوفة للاستعداد، فعسكر بهم بالنخيلة قرب الكوفة، وفى ذلك الوقت تمكن معاوية من خلال عمرو بن العاص من السيطرة على مصر، وسير الحملات إلى عين التمر بالعراق والأنبار والمدائن ووادي البصرة والحجاز واليمن وغيرها فى الوقت الذي تسلل فيه أتباع الإمام على من معسكرهم، وتراخوا فى هذا الأمر، وخلال هذه الأحداث نجح عبدالرحمن بن ملجم المرادي فى قتل الإمام علي، وذلك أثناء صلاة الفجر بمسجد الكوفة، وذلك بعد أن قضى رضى الله عنه فى الخلافة أربع سنوات وتسعة أشهر.(٥٥)

هوامش وتعليقات الفصل السادس

١) السيد سابق: فقه، ج٣، ص٣٦١.

٢) البخاري: صحيح، مج٢، ج٤، ص١٧.

٣) البخاري: صحيح، مج٢، ج٤، ص٤٣.

٤) محمد عبد الهادي شعيرة: من تاريخ التحصينات العربية في القرنين الأول والثاني للهجرة، دراسات في الآثار الإسلامية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة، ١٩٧٩م، صص ١١- ١٤.، عبدالله كامل موسى عبده: دراسات في الحضارة والآثار الإسلامية في ليبيا، دار الآفاق العربية، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ص٨٣.

٥) أنطاكية: ذكرها ياقوت فقال " ولم تزل أنطاكية قصبة العواصم من الثغور الشامية، وهي من أعيان البلاد وأمهاتها..". ياقوت الحموي: معجم، مج١، صص٢٦٦- ٢٦٧.

٦) اللاذقية: مدينة في ساحل بحر الشام تعد في أعمال حمص وهي غربي جبلة.. وهي الآن من أعمال حلب ". ياقوت الحموي: معجم، مج٥، صص٥- ٦.

٧) طرابلس: " ويقال أطرابلس.. وهي مدينة طرابلس الغرب، أما طرابلس الشام التي نحن بصددها فهي "في الإقليم الرابع ". ياقوت الحموي: معجم، مج٤، صص ٢٥- ٢٦. مزيد من التفاصيل أنظر: السيد عبد العزيز سالم: طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٦٦م، صص٣٧- ٤٢.

٨) بلدة: " من مدن ساحل بحر الشام قريبة من جبلة ". ياقوت الحموي: معجم، مج١، ص٤٨٣.

٩) أنطرطوس: بلد من سواحل بحر الشام وهي آخر أعمال دمشق من البلاد الساحلية وأول أعمال حمص". ياقوت الحموي: معجم، مج١، ص٢٧٠.

١٠) مرقية: قلعة حصينة في سواحل حمص كانت خربت فجددها معاوية ". ياقوت الحموي: معجم، مج٥، ص١٠٩.

١١) بلنياس: كورة ومدينة صغيرة وحصن بسواحل حمص علي البحر. ياقوت الحموي: معجم، مج١، ص٤٨٩.

١٢) عكا: بلد علي ساحل بحر الشام من عمل الأردن، وهي من أحسن بلاد الساحل.. حصينة كبيرة الجامع.. ولم تكن علي هذه الحصانة حتى قدمها ابن طولون. ياقوت الحموي: معجم، مج٤، ص١٤٣.

١٣) صور: مدينة مشهورة سكنها خلق من الزهاد والعلماء، وكان من أهلها جماعة من الأئمة، كانت من ثغور المسلمين. ياقوت الحموي: مج٣، ص٤٣٣.

١٤) جبلة: قلعة مشهورة بساحل الشام من أعمال حلب قرب اللاذقية. ياقوت الحموي: معجم، مج٢، ص١٠٥.

١٥) عسقلان: مدينة بالشام من أعمال فلسطين علي ساحل البحر بين غزة وبيت جبرين ويقال لها عروس الشام. ياقوت الحموي: معجم، مج٤، ص١٢٢.

١٦) البلاذري: فتوح، ص١٢٩.

١٧) حسين مؤنس: فتح العرب، ص٥٠.

١٨) إبراهيم العدوي: مصر، ص١١٢.، محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير، ط١، ١٣٨٢هـ / ١٩٦٣م،ج٢، ص٨٠٣.

١٩) لوبية: كورة من كور مصر الغربية، وهي متصلة بالإسكندرية. الحميري: الروض، ص٥١٤.

٢٠) ابن عذاري: البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج. س. كولان، و ا. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ط٣، ١٩٨٣م، ج١، ص٨.

٢١) السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب، ص٥٥.

٢٢) ياقوت الحموي: معجم، مج٢، صص ٩٥٣- ٩٥٤.

٢٣) لبدة: مدينة قديمة بناحية طرابلس، الحميري: الروض، ص ٥٠٨.

٢٤) السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب، صص ٦٠- ٦١.

٢٥) ابن عبد الحكم: فتوح، ص١٨٣.

٢٦) ابن عبد الحكم: فتوح، ص١٧١.

٢٧) البكري: المسالك والممالك، تحقيق أدريان فان ليوفن وأندري فيري، الدار العربية للكتاب، ١٩٩٢م، ج٢، ص٦٥٥.

٢٨) ابن عبد الحكم: فتوح، ص١٧٢.

٢٩) ابن عبد الحكم: فتوح، ص١٧٣.

٣٠) ابن عبد الحكم: فتوح، ص١٧٣.

٣١) البلاذري: فتوح، ص٢٢٣.

٣٢) ابن عذاري: البيان، مج١، ص٨.

٣٣) ابن عبد الحكم: فتوح، ص١٧٣.

٣٤) محمد محمد زيتون: القيروان ودورها فى الحضارة الإسلامية، دار المنار، القاهرة، ط١، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، ص٢٣.

٣٥) حسين مؤنس: فتح العرب، صص ٧٧- ٧٨.

٣٦) ابن عبد الحكم: فتوح، صص ١٨٣- ١٨٧.، حسين مؤنس: فتح العرب، صص ٨٢- ١٠٥.

٣٧) ياقوت الحموي: معجم، مج١، ص٣٨٨.

٣٨) ابن خرداذبة: المسالك والممالك، الثقافة الدينية، القاهرة، ص٩١.

٣٩) محمد يوسف نجم، إحسان عباس: ليبيا فى كتب الجغرافيا والرحلات، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م، ص٨٣.

٤٠) ابن عبد الحكم: فتوح، ص١٧٠.

٤١) محمد يوسف نجم، إحسان عباس: ليبيا، ص٨.

٤٢) ابن عبد الحكم: فتوح، ص١٧١.

٤٣) البلاذري: فتوح، ص٢٢٢.

٤٤) Abdussaid , Adbulhamid: Barqa Modren E1. Merj , Estratto Da: Libya Antiqua << The Department Of Antiquties , Tripoli , 1971 , Vol. VIII. P. 126., Hamdani , Abbas , Some Aspects Of the History Of Libya During The Fatimid Period , University Of Libya , Faculty Of Arts , Libya in His – torical Conference 16 – 23 March , 1968 , PP. 2 – 21

٤٥) اتوري روسي: ليبيا منذ الفتح العربي حتي سنة ١٩١١م، ترجمة خليفة محمد التليسي، الدار العربية للكتاب، ط٢، ١٤١١هـ / ١٩٩١م، ص١٢٢.، شارل فيرو: الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتي الغزوالإيطالي، ترجمة محمد عبد الكريم الوافي، جامعة قاريونس، بنغازي، ط٣، ١٩٩٤م، ص٥٣.

٤٦) التجاني: رحلة التجاني، (تونس - طرابلس ٧٠٦- ٧٠٨ هـ)، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ١٩٨١م، ص٢٤٥.

٤٧) التجاني: رحلة التجاني، صص ٢١٤- ٢١٥.

٤٨) الحميري: الروض، صص ٤٧- ٤٨.

٤٩) جبال فى المغرب، وهى مدينة قديمة صغيرة حولها عمارات وطوائف من قبائل البربر، وبها جامع وسوق، غزاها عقبة. ياقوت الحموي: معجم، مج٤، صص ٨٠٠- ٨٠١.، الحميري: الروض، ص٥٧٨.

٥٠) علي مسعود البلوشي وآخرون: موسوعة الآثار الإسلامية فى ليبيا، أمانة التعليم، مصلحة الآثار، ليبيا، ج٢، صص ٦٧ – ٧٣.

٥١) ابن الأثير: أسد، ج٤، ص٩١.

٥٢) حسن إبراهيم حسن: تاريخ، ج١، صص ٢١٧- ٢١٨.

٥٣) محمد عبد الفتاح عليان: تاريخ، صص ٣١٥- ٣١٨.

٥٤) محمد عبد الفتاح عليان: تاريخ، صص ٣٢٢- ٣٢٥.

٥٥) محمد عبد الفتاح عليان: تاريخ، صص ٣٣٠- ٣٦٩.

الخاتمة

وبعد فقد تطرق هذا الكتاب إلي موضوعات تاريخية وأثرية في الجزيرة العربية والمشرق والمغرب في العصرين النبوي والراشدي، وقد اعتمدت في المقام الأول علي النص لأهمية ذلك بالنسبة لدراسة نشأة وتطور الفن المعماري الإسلامي من جهة، والرد علي المستشرقين من جهة أخرى.

وقد اشتمل الكتاب على مقدمة وستة فصول، حيث جاء الفصل الأول بعنوان المسجد لغة وشرعاً وفي القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف "، وجاء الفصل الثاني بعنوان " المسجد الحرام من المنظورين القرآني والمعماري "، وقد تطرق هذا الفصل إلي عمارة المسجد الحرام في عهدي عمر وعثمان رضي الله عنهما، ثم مخطط المسجد الحرام والمساجد في العالم الإسلامي، اما الفصل الثالث فقد جاء بعنوان " الآثار المعمارية الإسلامية في عصر النبي ﷺ "، وقد تطرق هذا الفصل إلي نقاط عديدة تاريخية وأثرية في الحجاز بشكل خاص والجزيرة العربية بشكل عام سواء قبل أو بعد الهجرة النبوية من مكة المكرمة إلي المدينة المنورة، وفي الفصل الرابع الذي جاء بعنوان " الآثار المعمارية الإسلامية في عهدي أبي بكر وعمر رضي الله عنهما " تطرق البحث إلي المسجد النبوي بالمدينة المنورة، ثم مدينة البصرة وعمائرها، ثم فتح مدينة دمشق وعمائرها، ثم مدينة القدس ومسجدها الجامع، ثم مدينة الكوفة وعمائرها، ثم مدينة الفسطاط وعمائرها، وجاء الفصل الخامس بعنوان " الآثار المعمارية الإسلامية في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه "، وقد أوضحت الدراسة أن هذه الفترة التاريخية تعد البداية الحقيقية لتطور الفن المعماري الإسلامي بشكل خاص والحضارة الإسلامية بشكل عام، وقد اشتمل هذا الفصل علي دراسة للمسجد النبوي، ومقاصير الصلاة، ونقش المسجد، وإشكالية تخطيط المسجد النبوي ومساجد العالم الإسلامي، أما الفصل السادس والأخير فقد جاء بعنوان " العمائر الدفاعية (الحربية) في عهدي عمر وعثمان رضي الله عنهما.

ثبت الأشكال والخرائط والصور (اللوحات)

أولاً: الأشكال:

شكل ١) منظور ومسقط أفقي للكعبة في سنة ٦٠٨هـ عن **Creswell**.

شكل ٢) منظور ومسقط أفقي للكعبة في سنة ٦٠٨هـ عن أحمد رجب.

شكل ٣) تصور لمخطط المسجد النبوي في مرحلته الأولى عمل الباحث.

شكل ٤) تصور لمخطط المسجد النبوي من صحن وظلة للقبلة عمل الباحث.

شكل ٥) تصور لمخطط المسجد النبوي بعد تحويل القبلة عمل الباحث

شكل ٦) تصور لإعلان الأذان من فوق سطح منزل " النوار أم زيد " بالمدينة المنورة عمل الباحث.

شكل ٧) تصور معماري للكتلة المعمارية التي كانت تعلو أحد أركان المسجد النبوي عمل الباحث.

شكل ٨) تصور معماري للأسطوان المربعة التي يقال لها المطمار عمل الباحث.

شكل ٩) مخطط المسجد النبوي قبل السنة السابعة وبعدها عن **Creswell**.

شكل ١٠) مخطط المسجد النبوي بعد تحويل القبلة عن فريد شافعي.

شكل ١١) مخطط المسجد النبوي بعد تحويل القبلة عن سعاد ماهر.

شكل ١٢) مخطط المسجد النبوي في عهد الرسول ﷺ عن أحمد فكري.

شكل ١٣) مخطط المسجد النبوي بعد تحويل القبلة عن الشهري.

شكل ١٤) مخطط المسجد النبوي في حياة الرسول ﷺ عن الشهري.

شكل ١٥) مخطط المسجد النبوي عن محمود عكوش.

شكل ١٦) مخطط المسجد النبوي بعدعمارة السلطان عبد المجيد عن الشهري.

شكل ١٧) مخطط المسجد النبوي عن **Pauty**.

شكل ١٨) مخطط المسجد النبوي عن حسن الباشا.

شكل ١٩) مخطط المسجد النبوي عن حسن الباشا.

شكل ٢٠) مخطط المسجد النبوي وزيادة الخليفة عمر رضي الله عنه عن الشهري.

شكل ٢١) مخطط المسجد النبوي عن أحمد رجب.

شكل ٢٢) مخطط مدينة دمشق عند الفتح الإسلامي عن قتيبة الشهابي.

شكل ٢٣) مخطط تقريبي لأبواب دمشق وأبراجها في العصرين الروماني والإسلامي عن قتيبة الشهابي.

شكل ٢٤) مخطط مسجد الكوفة عن فريد شافعي.

شكل ٢٥) مخطط مسجد عمرو بن العاص بالفسطاط عن أحمد فكري.

شكل ٢٦) مخطط مسجد عمرو بن العاص بالفسطاط عن أحمد فكري.

شكل ٢٧) مخطط المسجد النبوي في عهد عثمان رضي الله عنه عن الشهري.

شكل ٢٨) تصور لتخطيط المسجد النبوي في عهد عثمان رضي الله عنه عن فريد شافعي

شكل ٢٩) مخطط مسجد الكوفة في عهد زياد بن أبيه عن أحمد فكري.

شكل ٣٠) مخطط المسجد النبوي في عهد الوليد بن عبد الملك عن **Sauvaget**.

شكل ٣١) مخطط المسجد النبوي في عهد الوليد بن عبد الملك عن أحمد فكري.

ثانياً: الخرائط

خريطة ١) خريطة مكة المكرمة زمن الرسول ﷺ عن حسين مؤنس.

خريطة ٢) خريطة فتح مكة المكرمة عن حسين مؤنس.

خريطة ٣) خريطة تبين خط سير الرسول ﷺ عن حسين مؤنس.

خريطة ٤) خريطة توضح الخندق بالمدينة المنورة عن حسين مؤنس.

خريطة ٥) خريطة المدينة المنورة (قبائل ومواقع) عن حسين مؤنس.

خريطة ٦) خريطة لبلاد اليمن عن حسين مؤنس.

خريطة ٧) خريطة العراق عن حسين مؤنس.

خريطة ٨) خريطة المغازي والفتوح عن حسين مؤنس.

خريطة ٩) خريطة بلاد الشام والجزيرة عن حسين مؤنس.

خريطة ١٠) خريطة فتوح الشام (مواقع) عن حسين مؤنس.

خريطة ١١) خريطة فتح الشام عن حسين مؤنس.

خريطة ١٢) خريطة بلاد الشام بعد الفتح عن حسين مؤنس.

خريطة ١٣) خريطة تبين فتوح مصر والنوبة عن حسين مؤنس.

خريطة ١٤) خريطة فتح العرب للمغرب (أ) عن حسين مؤنس.

خريطة ١٥) خريطة فتح العرب للمغرب (ب) عن حسين مؤنس.

ثالثاً: الصور:

١) نقش مؤرخ بسنة ٢٤هـ من وادي المعتدل بالمدينة المنورة.

ثبت المصادر والمراجع العربية وغير العربية

القرآن الكريم:

أولاً: المصادر العربية:

- ابن الأثير (عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد أبي عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني) ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣م:
- الكامل في التاريخ، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولي، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧ م.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق محمد إبراهيم البنا، محمد أحمد عاشور، محمود عبد الوهاب فايد، دار الشعب.
- ابن تغري بردي (جمال الدين أبي المحاسن يوسف) ت ٨٧٤ هـ/١٤٦٩م.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، وزارة الثقافة والارشاد القومي.
- ابن جبير (أبي الحسن محمد بن أحمد) ت ٦١٤هـ / ١٢١٧م:
- رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك، دار ومكتبة الهلال.
- ابن خرداذبة (أبي القاسم عبيد الله بن عبد الله) ت حوالي ٣٠٠ هـ / ٩١٢م:
- المسالك والممالك ويليه نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة، الثقافة الدينية، القاهرة.
- ابن دقماق (إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي) ت ٨٠٩هـ / ١٤٠٦م.
- الانتصار لواسطة عقد الأمصار، بولاق، الطبعة الأولي، ١٣٠٩هـ /١٨٩٢م
- ابن زولاق:
- فضائل مصر وأخبارها وخواصها، تحقيق د. علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- ابن سعد (محمد) ت ٢٣٠هـ / ٨٤٤م:
- الطبقات الكبري، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

- ابن عبد الحكم (أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين القرشي) ت ٢٥٧ هـ /٨٦٧م:
- فتوح مصر وأخبارها، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولي، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.
- ابن العبري (غريغوريوس الملطي) ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م:
- تاريخ مختصر الدول، دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة الأولي، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.
- ابن عذاري (أبو عبد الله محمد المراكشي):
- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج. س. كولان، أ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣م
- ابن غلبون:
- التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخيار، مكتبة النور، طرابلس، ليبيا، الطبعة الثانية، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٧م.
- ابن كثير القرشي:
- تفسير القرآن العظيم، دار إحياء الكتب العربية.
- ابن الكندي (عمر بن محمد بن يوسف):
- فضائل مصر المحروسة، تحقيق د. علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولي، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.
- ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم) ت ٧١١هـ / ١٣١١م:
- لسان العرب، دار المعارف، القاهرة.
- ابن النجار:
- الدرة الثمينة في تاريخ المدينة، تحقيق د. محمد زينهم، الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.

- ابن هشام (أبو محمد عبد الملك) ت ٢١٨هـ / ٨٣٣م:
- السيرة النبوية، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤١٦هـ / ١٩٦٦م.
- البخاري:
- صحيح البخاري، دار مطابع الشعب.
- البكري (أبو عبيد الله بن عبد العزيز) ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٧م:
- المسالك والممالك، تحقيق أدريان فان ليوفن واندري فيري، الدار العربية للكتاب، ١٩٩٢م.
- البلاذري (الإمام أبو الحسن) ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م:
- فتوح البلدان، مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، الطبعة الأولي، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- التجاني (أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد):
- رحلة التجاني (تونس ـ طرابلس ٧٠٦ـ ٧٠٨هـ)، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ١٩٨١م.
- التهانوي (محمد أعلي بن علي):
- موسوعة اصطلاحات العلوم الإسلامية المعروف بكشاف اصطلاحات الفنون، نشر خياط، بيروت، لبنان، ١٩٦٦م.
- الحميري (محمد عبد المنعم) ت ٨٦٦هـ / ١٤٦١م:
- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق د. احسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، الطبعة الثانية، ١٩٨٠م.
- الدار قطني:
- سنن الدار قطني، تحقيق السيد عبد الله هاشم، دار المحاسن، القاهرة، دار المعرفة، بيروت، المدينة المنورة، الحجاز، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م.

- الرازي (أحمد بن عبد الله بن محمد) ت ٤٦٠هـ / ١٠٦٧م:
  - تاريخ مدينة صنعاء، تحقيق د. حسين عبد الله العمري، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.
- الزركشي (محمد بن عبدالله) ت ٧٩٤هـ/١٣٩١م:
  - إعلام الساجد بأحكام المساجد، تحقيق أبو الوفا مصطفى المراغي، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- الزمخشري (جار الله أبي القاسم محمود بن عمر):
  - أساس البلاغة، الهيئة االمصرية العامة للكتاب، ط٣، ١٩٨٥م.
- السكتواري (علاء الدين علي):
  - محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر.
- السمهودي (نور الدين علي بن أحمد) ت ٩١١هـ/١٥٠٥م:
  - وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- السيوطي (أبي عبدالله محمد بن شهاب الدين أحمد بن علي بن عبد الخالق المنهاجي شمس الدين) ت ٨٨٠هـ/١٤٧٥م:
  - اتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى، تحقيق د. أحمد رمضان أحمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢م.
- السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن محمد بن عثمان) ت ٩١١هـ/١٥٠٥م:
  - حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٧م.
- الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير) ت ٣١٠هـ/٩٢٢م:
  - تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

- القرطبي (أبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري):
  - الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٩٦٦م.
- القسطلاني:
  - شرح الإمام الزرقاني المالكي علي المذاهب اللدنية، المطبعة الأزهرية المصرية، ط١، ١٣٢٦هـ.
- الكندي (أبي عمر محمد بن يوسف) ت ٣٥٠هـ/٩٦١م:
  - تاريخ ولاة مصر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- المدني البرزنجي (جعفر بن السيد إسماعيل):
  - نزهة الناظرين في تاريخ مسجد سيد الأولين والآخرين، تحقيق أحمد سعيد ابن سلم، القاهرة، ط٢، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
- مسلم:
  - صحيح مسلم (الجامع الصحيح)، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- المقري الفيومي (أحمد بن محمد):
  - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المطبعة الأميرية ببولاق مصر، ط١، ١٩٠٣م.
- المقريزي (تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي) ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م:
  - المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٧م.
- المناوي:
  - فيض القدير، ط١، ١٣٥٦هـ /١٩٣٨م.
- النووي (أبو زكريا محي الدين):
  - تهذيب الأسماء واللغات، إدارة الطباعة المنيرية، مصر.

- الواقدي (أبو عبدالله محمد بن عمر) ت ٢٠٧هـ/٨٢٢م:
  - فتوح الشام، دار الجيل، بيروت.
- ياقوت الحموي (شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله) ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م:
  - معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥ م.
- يحيي بن الحسين:
  - غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.
- اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن واضح) ت ٢٨٤هـ/٨٩٧م:
  - تاريخ اليعقوبي، دار الفكر، بيروت، ١٣٧٥هـ /١٩٥٦م.

ثانياً: المراجع العربية

- إبراهيم أحمد العدوي (دكتور):
  - مصر الإسلامية درع العروبة ورباط الإسلام، هيئة الآثار المصرية، وزارة الثقافة.
- أحمد رجب محمد علي (دكتور):
  - المسجد الحرام بمكة المكرمة ورسومه في الفن الإسلامي، الدار المصرية اللبنانية، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.
  - المسجد النبوي بالمدينة المنورة ورسومه في الفن الإسلامي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
- أحمد عبد الرازق أحمد (دكتور):
  - الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى (العلوم العقلية)، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩١م.
- أحمد فكري (دكتور):
  - مساجد الإسلام – ١ – (مسجد القيروان)، مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر، ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م.

- مساجد القاهرة ومدارسها (المدخل)، دار المعارف بمصر، ١٩٦١م.

- جرجي زيدان:
- تاريخ التمدن الإسلامي، مؤسسة دار الهلال، ١٩٦٨ م.

- جمال الدين الشيال (دكتور):
- تاريخ مدينة الإسكندرية في العصر الإسلامي، دار المعارف، القاهرة، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.

- حسن إبراهيم حسن (دكتور):
- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والإجتماعي، دار الجيل، بيروت، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط ١٣، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

- حسن الباشا (دكتور):
- مدخل إلي الآثار الإسلامية، دار النهضة العربية، القاهرة.

- حسن عبد الوهاب:
- تاريخ المساجد الأثرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، ١٩٩٤ م.

- حسين مؤنس (دكتور):
- فتح العرب للمغرب، الثقافة الدينية، القاهرة.
- المساجد، ١٩٩٤ م.
- أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

- زكي محمد حسن (دكتور):
- فنون الإسلام، دار الرائد العربي، القاهرة، بيروت.

- سارة حسن منيمنة (دكتور):
- مور فولوجية مدينة دمشق، مجلة الفكر العربي (مسألة المدينة والمدينة العربية ١)، تشرين الأول (أكتوبر)، تشرين الثاني (نوفمبر)، ١٩٨٢م، العدد التاسع والعشرون، السنة الرابعة.

● سعاد ماهر محمد (دكتور):
- مساجد في السيرة النبوية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م.
● سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور):
- العلم بين المسجد والمدرسة (تاريخ المدارس في مصر الإسلامية)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م.
● السيد سابق:
- فقه السنة، دار الفتح للإعلام العربي، القاهرة، ط١، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.
● السيد عبد العزيز سالم (دكتور):
- طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٦٦م.
- تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.
- تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٢م.
- دراسات في تاريخ العرب (تاريخ الدولة العربية ٢)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٣م.
● طه الولي:
- المدينة في الإسلام (مسألة المدينة والمدينة العربية ١)، مجلة الفكر العربي، تشرين الأول (أكتوبر)، تشرين الثاني (نوفمبر)، ١٩٨٢م، العدد التاسع والعشرون، السنة الرابعة.
● عارف باشا العارف:
- تاريخ القدس، دار المعارف بمصر.
● عبدالله كامل موسى عبده (دكتور):
- تطور المئذنة المصرية بمدينة القاهرة منذ الفتح العربي وحتي نهاية العصر المملوكي - دراسة معمارية زخرفية مقارنة مع مآذن العالم الإسلامي، رسالة

دكتوراه غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.
- الاستحكامات الحربية بالثغور المصرية في عصر الحروب الصليبية، مجلة كلية الآداب، جامعة جنوب الوادي، العدد الرابع، ١٩٩٥م.
- دراسات في الحضارة والآثار الإسلامية في ليبيا، دار الآفاق العربية، ط١، ١٤٢٢هـ /٢٠٠٢م.
- العباسيون وآثارهم المعمارية فى الشرق ومصر والمغرب حتى نهاية القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادي، دار الآفاق العربية، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٨م.
- عبد الحي الكتاني:
- نظام الحكومة النبوية المسمي التراتيب الإدارية، بيروت.
- عبد الرحمن بن محمد عوض الجزيري:
- كتاب الفقه علي المذاهب الأربعة، الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٦م.
- عبد النعيم محمد حسنين:
- إيران والعراق في العصر السلجوقي، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت، ط١، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- علي مسعود البلوشي (دكتور) وآخرون:
- موسوعة الآثار الإسلامية في ليبيا، أمانة التعليم، مصلحة الآثار، ليبيا.
- عيسي سلمان (دكتور) وآخرون:
- العمارات العربية الإسلامية في العراق، دار الرشيد للنشر، الجمهورية العراقية، ١٩٨٢م.
- فتحي أحمد الهرام (دكتور):
- التضاريس والجيومورفولوجيا (كتاب الجماهيرية - دراسة في الجغرافية)، سرت، ط١، ١٩٩٥م.

- فريد شافعي (دكتور):
  - العمارة العربية في مصر الإسلامية - عصر الولاة - الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م.
- كمال الدين سامح (دكتور):
  - العمارة في صدر الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩١م.
- لبيب السعيد:
  - الأذان والمؤذنون، الهيئة المصرية العامة للتأليف، ١٩٧٠م.
- مجمع اللغة العربية:
  - المعجم الوسيط، جمهورية مصر العربية، الطبعة الثالثة.
- محمد بن أحمد كنعان:
  - تاريخ الخلافة الراشدة، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.
- محمد إلياس عبد الغني:
  - المساجد الأثرية في المدينة، المدينة المنورة، ط٢، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.
- محمد حسين محاسنة:
  - تاريخ مدينة دمشق، الأوائل، دمشق، ٢٠٠١م.
- محمد عبد الستار عثمان (دكتور):
  - نظرية الوظيفية بالعمائر الدينية المملوكية الباقية بمدينة القاهرة، رسالة دكتوراه منشورة، كلية الآداب، سوهاج، جامعة أسيوط، ديسمبر، ١٩٧٩م.
  - المدينة الإسلامية، عالم المعرفة، ١٢٨، الكويت، ذو الحجة، ١٤٠٨هـ / أغسطس /آب ١٩٨٨م.
- محمد عبد الفتاح عليان (دكتور):
  - تاريخ الخلفاء الراشدين - دراسات وبحوث - مكتبة المتنبي، الدمام، المملكة العربية السعودية، ط ٣، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

- محمد عبد الهادي شعيرة (دكتور):
- من تاريخ التحصينات العربية في القرنين الأول والثاني للهجرة (دراسات في الآثار الإسلامية)، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة، ١٩٧٩م.
- محمد علي دبوز:
- تاريخ المغرب الكبير، ط ١، ١٣٨٢هـ / ١٩٦٣م.
- محمد كرد علي:
- خطط الشام، دمشق، ١٣٤٣هـ / ١٩٢٥م.
- محمد محمد زيتون (دكتور):
- القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، دار المنار، القاهرة، ط ١، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- محمد محمد الكحلاوي (دكتور):
- مقاصير الصلاة في العصر الإسلامي، مجلة كلية الآثار، جامعة القاهرة، العدد الثالث، ١٩٨٩م.
- القيم الدينية وأثرها في تخطيط عمارة المساجد (دراسات في علم الآثار والتراث)، الجمعية السعودية للدراسات الأثرية، قسم الآثار والمتاحف، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض، العدد الأول، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
- محمد مختار باشا:
- كتاب التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الأفرنكية والقبطية، المطبعة الأميرية ببولاق مصر المحمية، ط ١، ١٣١١هـ.
- محمد هزاع الشهري (دكتور):
- عمارة المسجد النبوي منذ إنشائه حتي نهاية العصر المملوكي، دار القاهرة، ط ١، ٢٠٠١م.
- محمود حامد أحمد الحسيني (دكتور):
- التطور العمراني لعواصم مصر الإسلامية ـ الفسطاط، العسكر، القطائع،

حتي نهاية العصر الفاطمي، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٨٧م.

- مصطفي عبد الله شيحة (دكتور):
- مدخل إلي العمارة والفنون الإسلامية في الجمهورية اليمنية، القاهرة، ط ١، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م.
- محمد يوسف نجم (دكتور)، احسان عباس (دكتور):
- ليبيا في كتب الجغرافية والرحلات، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م.
- هويدا عبد العظيم رمضان (دكتور):
- المجتمع في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلي العصر الفاطمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١م.
- وزارة الأوقاف:
- كتاب الفقه علي المذاهب الأربعة - قسم العبادات، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ١، ١٣٤٧هـ / ١٩٢٨م.
- وزارة الأوقاف، المملكة العربية السعودية، وكالة الآثار والمتاحف:
- سلسلة آثار المملكة العربية السعودية، الرياض، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.
- وليد عبد الله عبد العزيز:
- الحسبة علي المدن والعمران، حوليات كلية الآداب، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، الحولية السادسة عشرة، ١٤١٦ - ١٤١٧هـ / ١٩٩٥ - ١٩٩٦م.

ثالثاً: المراجع المعربة:

- اتوري روسي:
- ليبيا منذ الفتح العربي حتي سنة ١٩١١، ترجمة خليفة محمد التليسي، الدار العربية للكتاب، ط ٢، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.

- أوقطاى اصلان ابا:
- فنون الترك وعمائرهم، ترجمة أحمد محمد عيسى، الطبعة الأولي، استانبول، ١٩٨٧م.
- زامباور:
- معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ترجمة زكي محمد حسن بك وحسن أحمد محمود، واشترك في ترجمة بعض فصوله سيدة إسماعيل كاشف وحافظ أحمد حمدي وأحمد ممدوح حمدي، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان.
- شارل فيرو:
- الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتي الغزو الإيطالي، ترجمة محمد عبد الكريم الوافي، جامعة قاريونس، بنغازي، ط ٣، ١٩٩٤م.
- غوستاف لوبون:
- حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠م.
- كريزويل:
- الآثار الإسلامية الأولي، ترجمة عبد الهادي عبلة، دار قتيبة، دمشق، الطبعة الأولي، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

رابعاً: المراجع غير العربية:

Abdussaid , Abdlhammid:

- Barqa Modern El –Merj , Estratto da"Libya Antiqua", The Department of Antiquities , Tripoli , 1971.

Abu seif (D.B.):

- The Minarets of Cairo , The Amercan University in Cairo Press , 1985.

- Bloom , J.:
- Minaret Symbol of Islam , Published by Oxford University Press.

- Creswell (K.A.C):
- The Evolution of The Minaret , Burlington ,1926.
- A Short Account of Early Muslim Architecture , The

Amercan University in Cairo Press , 1989.

- **Hamdani , Abbas:**
  - Some Aspects of The History of Libya During The Fatimid Period , University of Libya , Faculty of Arts , Libya in History , Historical Conference 16 – 23 March , 1968.
- **Organzation of Islamic Capitals and Cities:**
  - Principles of Architectural Design and Urban Planning During Differ-ent Islam Eras (Analytical Study for Cairo City) , The organization of Islamic Capitals and Cities , 1412 A.H. / 1992 A.D.
- **Sauvaget (J):**
  - La Mosquée Omeyyade De Médine , Paris , 1947.

بحوث وكتب صدرت للمؤلف

قائمة البحوث:

- الجامع الكبير بصنعاء " رؤية تاريخية أثرية فيما أثير حول عمارة الرواق الشرقي "، مجلة الإكليل، ١٩٩٢م.
- متنزه سرياقوس في العصر المملوكي، مجلة كلية الآداب بقنا، جامعة جنوب الوادي، العدد الثالث، ١٩٩٤م.
- الاستحكامات الحربية بالثغور المصرية في عصر الحروب الصليبية، مجلة كلية الآداب بقنا، جامعة جنوب الوادي، العدد الرابع، ١٩٩٥م.
- أضواء جديدة علي بعض منشآت أمراء المماليك في القرنين السابع والثامن للهجرة (الثالث عشر والرابع عشر للميلاد)، منشآت الأمير الجاولي وسلار في مصر والشام، مجلة المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب، العدد الرابع، مارس، ١٩٩٧م.
- منزل وقف السادات الوفائية، دراسة أثرية وثائقية، مجلة كلية الآداب بقنا، جامعة جنوب الوادي، العدد السابع، ١٩٩٧م.
- دراسة أثرية وثائقية للمنصورة منذ نشأتها حتي نهاية القرن السابع عشر، مجلة كلية الآثار، جامعة القاهرة، العدد الثامن، ١٩٩٧م.
- العمارة الدينية السلجوقية في آسيا الصغري وأحدث ما كتب عنها، بحث قدم إلي اللجنة العلمية الدائمة للترقية (الأساتذة والأساتذة المساعدون)، آثار إسلامية، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٩٩م.
- سلطنة عمان في كتابات الجغرافيين المسلمين في العصور الوسطي (مجلة المنهل)، العدد "٥٥٠"، المجلد "٩٠"، العام "٦٤"، يونيه، ١٩٩٨م.
- المآذن ذات المباخر (من روائع العمارة الإسلامية)، مجلة المنهل، العدد "٥٥٩"، المجلد "٦١"، العام "٦٥"، يوليو وأغسطس، ١٩٩٩م.
- نصوص كتابية فاطمية من برقة محفوظة بمتحفي البيضاء وطلميثة بليبيا،

مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، كلية الآداب، جامعة المنيا، ٢٠٠٠م.

- دراسة أثرية معمارية لقلعتين ليبيتين من العصر العثماني الثاني بمدينتي توكرة والقيقب، مجلة كلية الآداب، جامعة المنيا، أبريل، ٢٠٠٠م.
- مساجد مدينة المرج الليبية الباقية من العصر العثماني الثاني " دراسة أثرية معمارية "، دراسات في آثار الوطن العربي، كتاب الملتقي الثالث لجمعية الآثاريين العرب، الندوة العلمية الثانية، ١٦ ـ ١٧ شعبان / ١٢ ـ ١٣ نوفمبر ٢٠٠٠م، ج ٢، القاهرة، ٢٠٠٠م، المجلس العربي للدراسات العليا والبحث العلمي، جمعية الآثاريين العرب.
- المنشآت التجارية والصناعية بمدينة قوص منذ العصر العثماني حتي نهاية القرن ١٣هـ / ١٩م " دراسة أثرية وثائقية "، مجلة المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب، العدد التاسع (المجلد الأول)، مارس، ٢٠٠١م.
- أثر العوامل البيئية علي الآثار الإسلامية " دراسة تطبيقية علي منزل السادات الوفائية "، بحث ألقي في الندوة القومية الأولي بعنوان " نحو تفعيل آليات دور السياحة في الاقتصاد المصري "، ٢ ـ ٣ أكتوبر ٢٠٠١م، كلية السياحة والفنادق، جامعة المنوفية.
- المستشرقون والحضارة الإسلامية " ترجمة ودراسة نقدية لدراسة كريزويل (Creswell) تطور المئذنة "، بحث ألقي في مؤتمر الترجمة تقنيات وتطبيقات، القاهرة، ٢٤ ـ ٢٥ أكتوبر ٢٠٠١م، جامعة ٦ أكتوبر، المعهد العالي للغات.
- طرز المساجد الليبية منذ العصر العثماني الأول حتي العصر العثماني الثاني، بحث ألقي في مؤتمر " دراسات في آثار الوطن العربي ٢ "، القاهرة، ٢٧ ـ ٢٩ أكتوبر ٢٠٠١م، جمعية الآثاريين العرب، المجلس العربي للدراسات العليا والبحث العلمي، اتحاد الجامعات العربية.
- مآذن القاهرة بين الترميم والصيانة الدورية، المؤتمر الدولي لترميم الآثار الإسلامية، القاهرة، ١٦ ـ ٢٠ فبراير ٢٠٠٢م، وزارة الثقافة، المجلس الأعلي

للآثار، مركز معلومات القاهرة التاريخية.

- العمارة الإسلامية في القرن الأول الهجري بين فلسفة العقيدة والفكر الإستشراقي، المؤتمر الدولي السابع للفلسفة الإسلامية، جامعة القاهرة (نشر هذا البحث تحت عنوان " أضواء علي الفن المعماري الإسلامي حتي نهاية العصر الراشدي " ندوة الحضارة العربية الإسلامية في العصور الوسطي ودورها في بناء الحضارة العالمية، حصاد ١٠)، منشورات اتحاد المؤرخين العرب، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.
- أضواء جديدة علي تطور الكتابات الكوفية في أفريقيا وبرقة ومصر في العصر الفاطمي، المؤتمر الدولي للنقوش والخطوط والكتابات في العالم عبر العصور، مكتبة الإسكندرية، ٢٤ ـ ٢٧ أبريل ٢٠٠٣م.
- الزوايا في العمارة الدينية الليبية خلال العصر العثماني " دراسة حضارية أثرية "، المؤتمر السادس للاتحاد العام للآثاريين العرب، ٤ ـ ٦ أكتوبر ٢٠٠٣م، المجلس العربي للدراسات العليا والبحث العلمي لاتحاد الجامعات العربية، الحلقة الرابعة، القاهرة، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
- المشاركة في أعمال المؤتمر الدولي الخامس للحضارة اليمنية "صنعاء الحضارة والتاريخ، ببحث بعنوان " الفن المعماري الإسلامي في آسيا وأفريقيا حتي العصر الأيوبي في ضوء الموروث الفني والعوامل البيئية والتأثيرات المتبادلة "، ١٦ ـ ٢٤ / ١١ /٢٠٠٤م.
- دراسة أثرية معمارية لبعض الصهاريج المكتشفة حديثاً بمدينة القاهرة، المؤتمر السابع للاتحاد العام للآثاريين العرب، ٢ ـ ٣ أكتوبر ٢٠٠٤م، الندوة العلمية الثالثة، دراسات في آثار الوطن العربي، المجلس العربي للدراسات العليا والبحث العلمي لاتحاد الجامعات العربية، الحلقة الخامسة، القاهرة، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.
- **The Islamic Architectural Art in Asia and Africa until the Ayyubid Period in Light of the Artistic Hertage ,**

Environmental Factors and Mutual Influences , International Seminar , The Middle Eastern and Islamic Worlds As Seen in the Context of Their Material Cultures , The Middle Eastern Culture Center in Japan , 2005.

- The Mausoleum domes in Quseir city , An Architectural and archeological Study , The Culture of Sinai and Red Sea from Antiquity to the Present day , 9 – 11 December 2005 , Sharm El Sheikh , Istituto Italiano Di Cultra Al Cairo – 11 C C , Supreme Council of Antiquities – S C A , Egyptian Society of Greek and Roman Studies – E S G R S.

- أعمال الترميم بمدينة القاهرة وأثرها في الكشف عن آثار جديدة " ورشة عمل عن دول جنوب البحر المتوسط وايطاليا رؤية جديدة عن الحفائر والترميم وحفظ الآثار"، المركز الثقافي الايطالي بالتعاون مع المجلس الأعلى للآثار والمراكز الثقافية الايطالية بدمشق، بيروت، طرابلس، الجزائر، الرباط، وتونس، المجلس الأعلى للآثار، وزارة الثقافة، ٢- ٢٠٠٦/٥/٣م.

- المسجد العباسي ببورسعيد (١٣٢٢هـ / ١٩٠٤- ١٩٠٥م) " دراسة أثرية معمارية مقارنة "، بحث ألقي في فعاليات ملتقي الاتحاد العام للآثاريين العرب التاسع المنعقد ١١-١٢ نوفمبر ٢٠٠٦م، كتاب المؤتمر التاسع للاتحاد العام للآثاريين العرب لعام ٢٠٠٦م، المجلس العربي للدراسات العليا والبحث العلمي لاتحاد الجامعات العربية.

- الشيخ محمد الدواخلي وعمائره في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري " دراسة أثرية وثائقية "، مجلة التاريخ والمستقبل، جامعة المنيا، عدد يناير ٢٠٠٨م.

- برجا القلعة الحمادية بالجزائر بين التأصيل والتأثير " دراسة أثرية معمارية "، بحث مقدم لمعهد الآثار / جامعة الجزائر في الملتقي الدولي من ٢٤ - ٢٩ مايو ٢٠٠٨م، تحت عنوان " التراث الأثري لولاية المسيلة "، وهو قيد النشر.

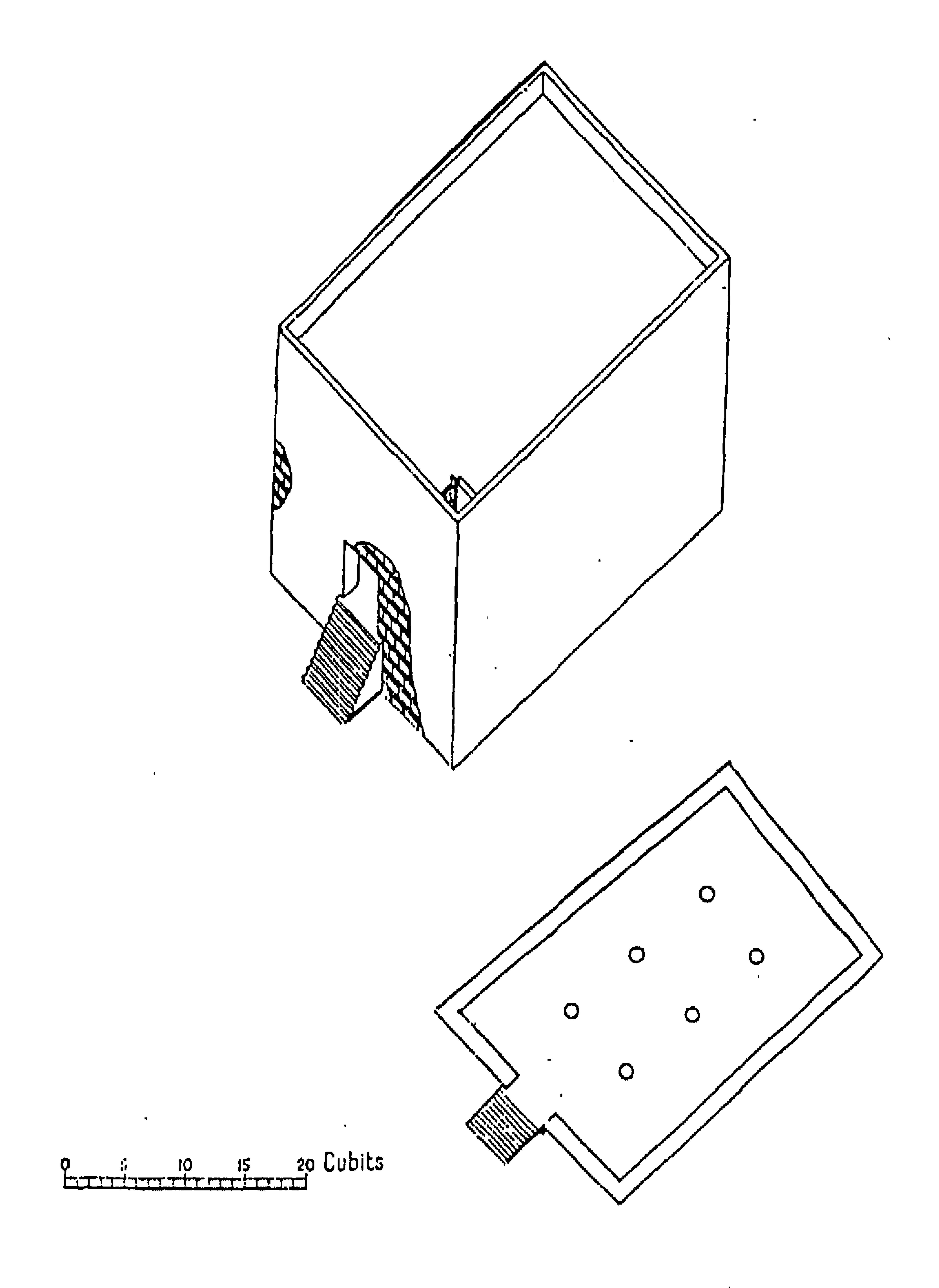
- سرحة البحيرة ومتنزه الطرانة وتروجة حتى بداية العصر العثماني " دراسة حضارية أثرية "، مجلة التاريخ والمستقبل، جامعة المنيا، يوليو ٢٠٠٨م.

- أضواء جديدة علي عمائر مدينة الإسكندرية خلال سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون الثالثة " دراسة أثرية وثائقية ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية / جامعة المنيا ، إصدار خاص، يناير ٢٠٠٧م.

قائمة الكتب:

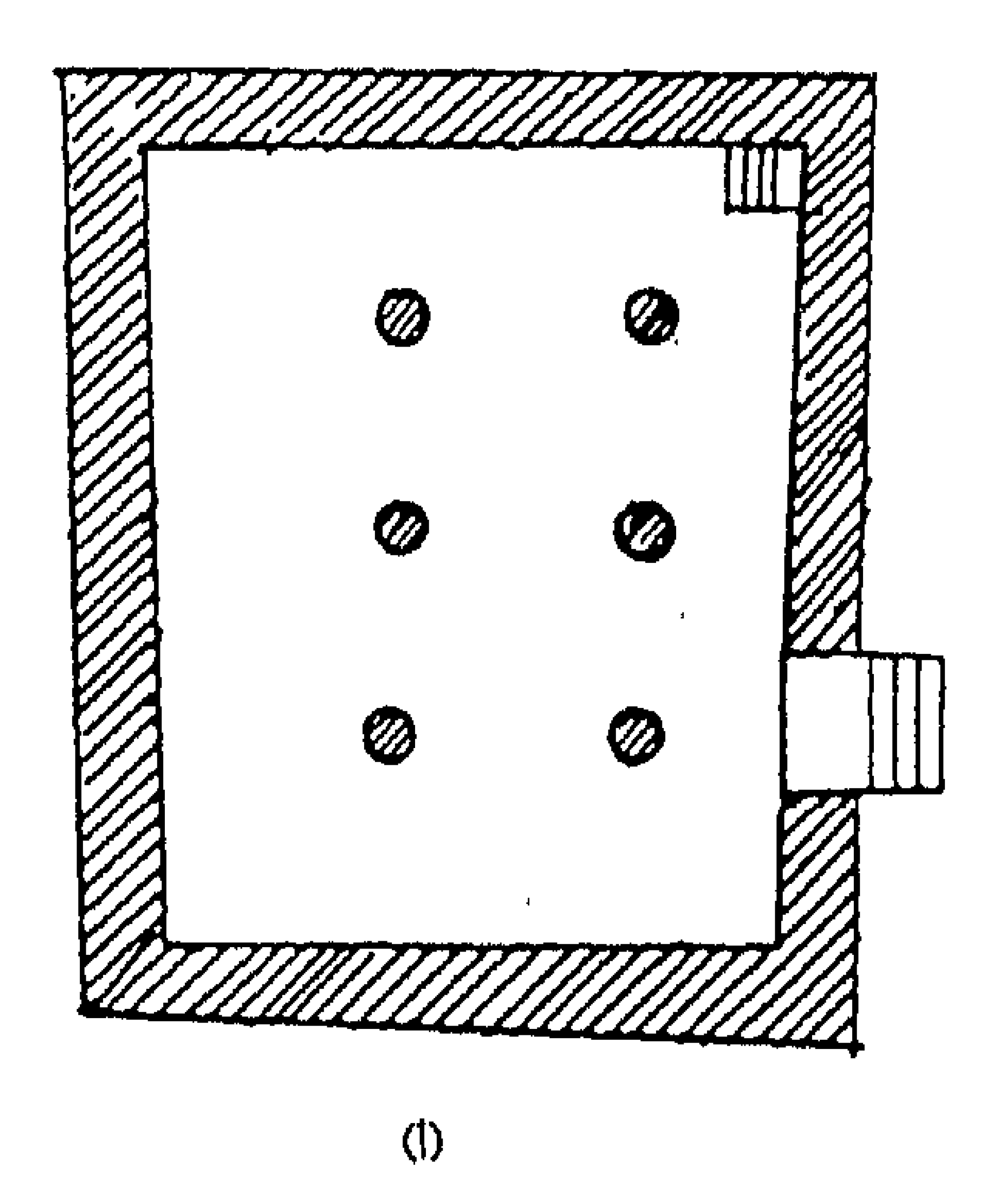
- The Fatimid Architecture in Cairo - General - Egyptian Book Organization.
- مدينة برقة وآثارها الإسلامية، عبق التاريخ وطرز العمارة، (مدن تراثية ـ ٦)، دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.
- الفاطميون وآثارهم المعمارية في العراق ومصر وأفريقيا ، دار الآفاق العربية ، القاهرة، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.
- دراسات في الحضارة والآثار الإسلامية في ليبيا ، دار الآفاق العربية ، القاهرة، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.
- العباسيون وآثارهم المعمارية في العراق ومصر وأفريقيا ، دار الآفاق العربية ، القاهرة، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م، وقد أعيد نشر هذا الكتاب تحت عنوان " العباسيون وآثارهم المعمارية فى الشرق ومصر والمغرب حتى نهاية القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادي "، دار الآفاق العربية، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٨م.
- الأمويون وآثارهم المعمارية في الشام والعراق والحجاز واليمن ومصر وإفريقية ، دار الآفاق العربية، ٢٠٠٣م.
- المسلمون وآثارهم المعمارية حتي نهاية عصر الخلفاء الراشدين، موسوعة العمارة الإسلامية (المجلد الأول)، دار الآفاق العربية، ٢٠٠٣م.
- المآذن في العمارة المصرية والعالم الإسلامي (مجلدان، دار زهراء الشرق ودار القاهرة، ٢٠٠٥م، قيد النشر.
- كريزويل (Creswell): تطور المنارة (المئذنة ـ الصومعة) ـ ترجمة ودراسة نقدية للدكتور / عبد الله كامل موسي عبده، قيد النشر.

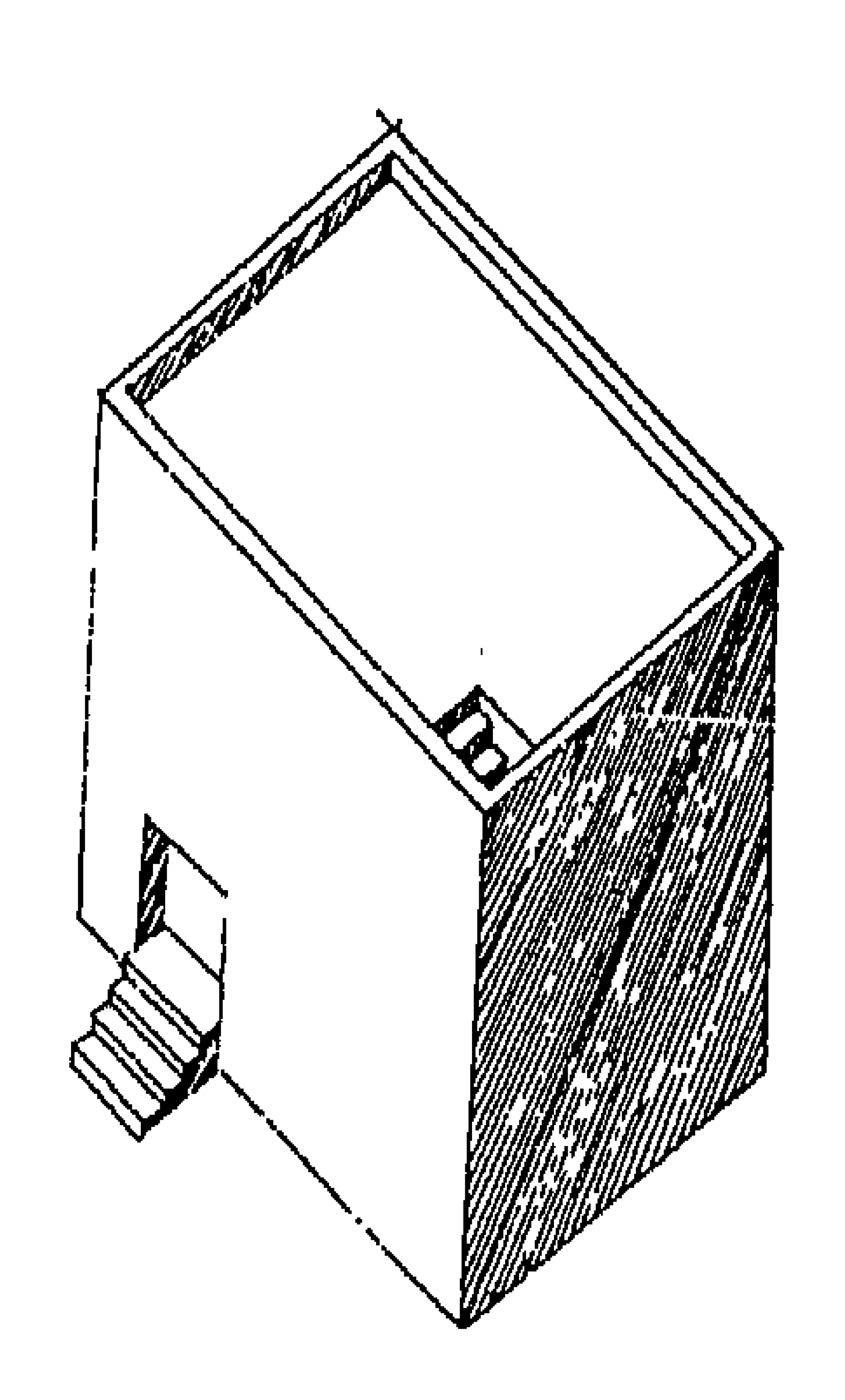
أولا : الأشكال



(شكل : ١)

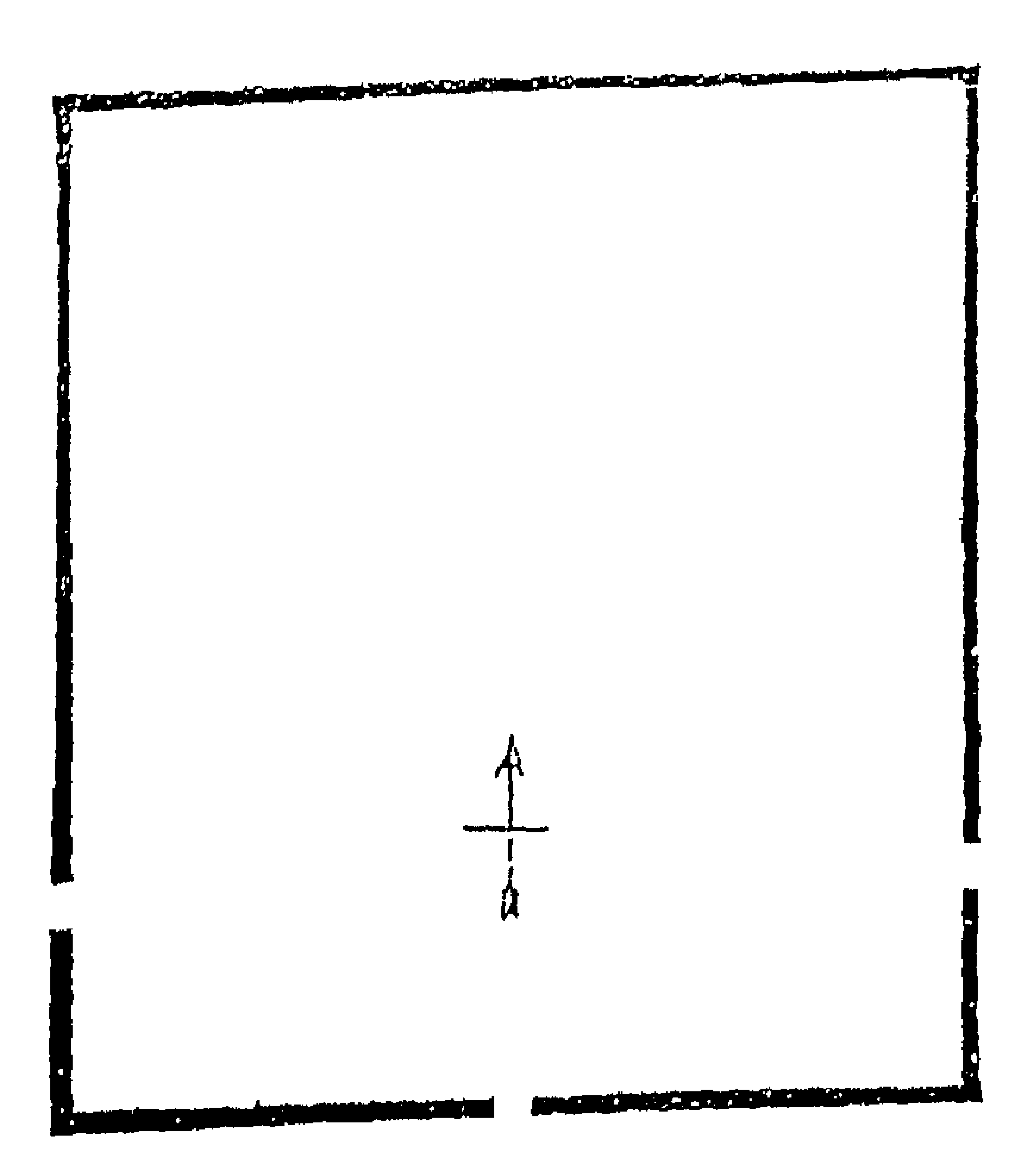
منظور ومسقط أفقي للكعبة في سنة ٦٠٨ هـ عن Creswell .



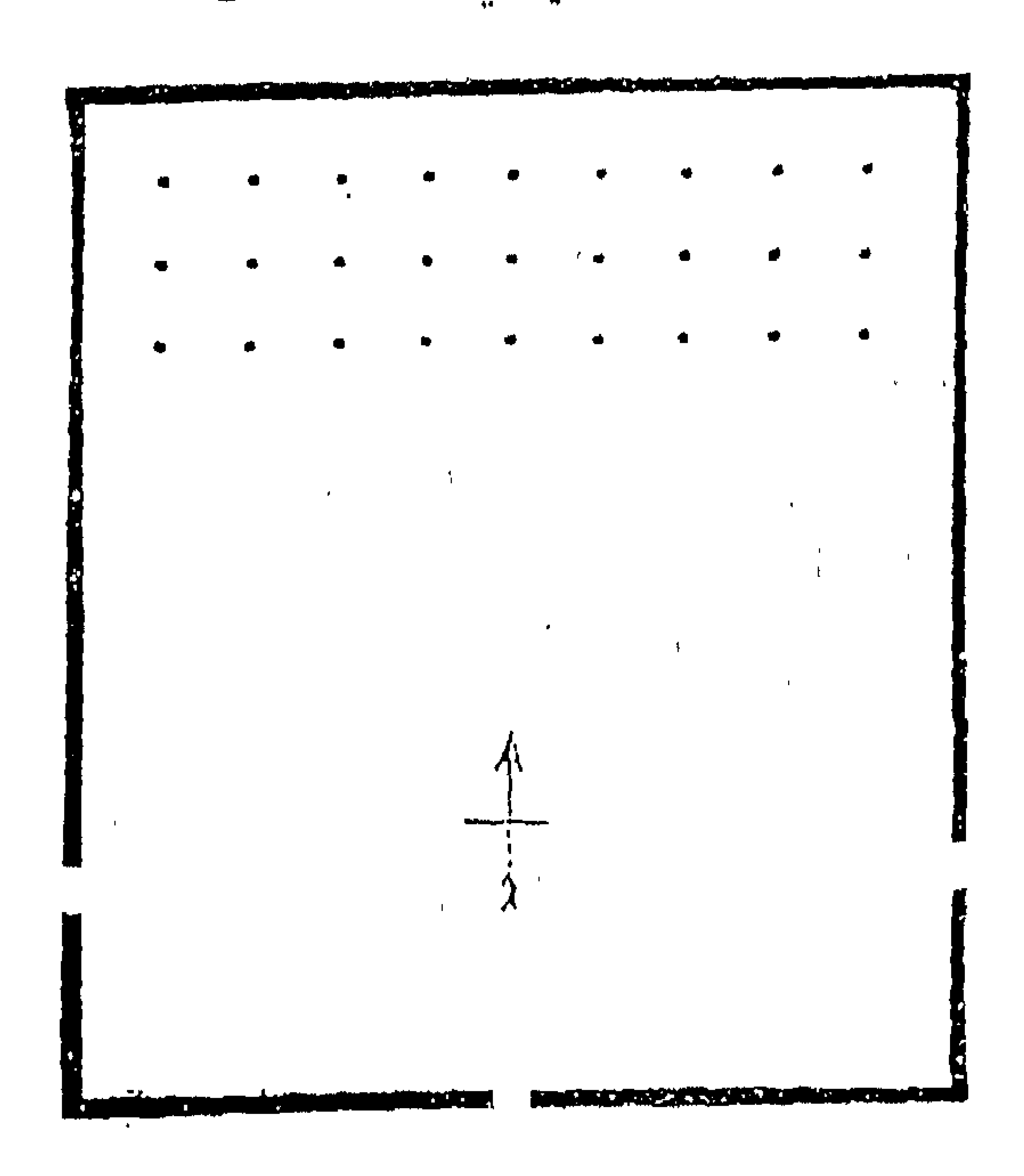


(شكل : ٢)

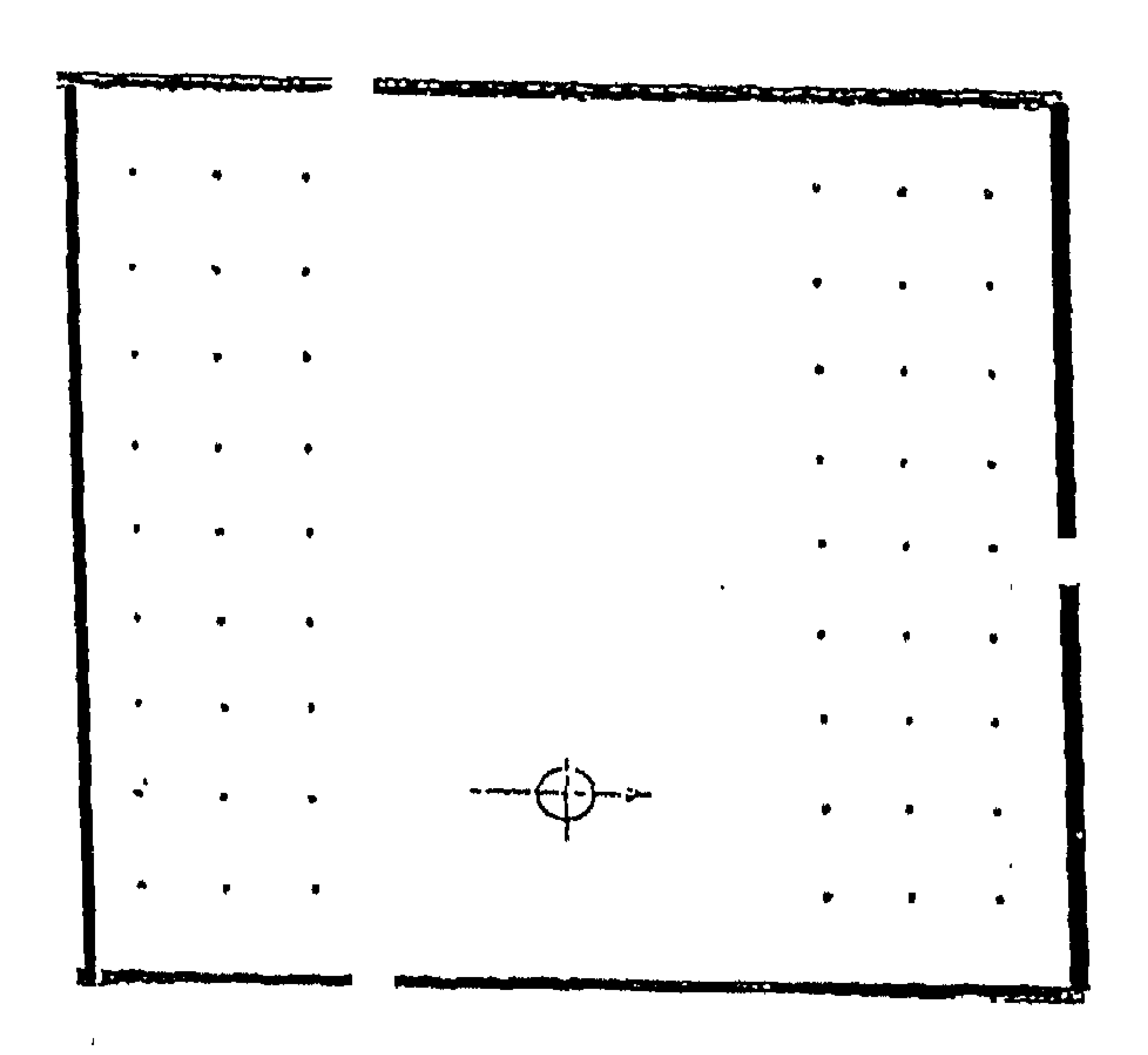
منظور ومسقط أفقي للكعبة في سنة ٦٠٨ هـ عن أحمد رجب .



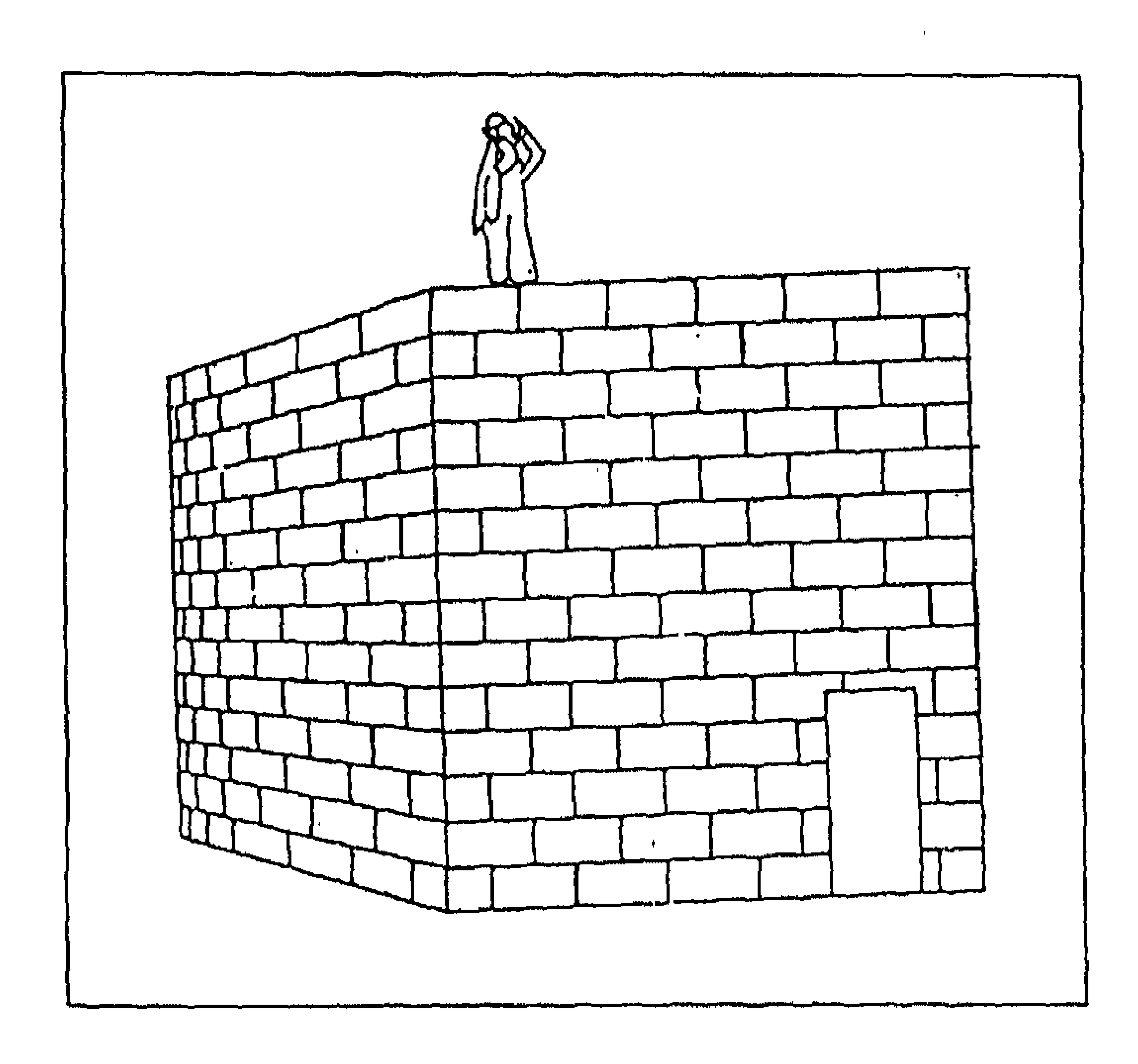
(شكل : ٣)
تصور لمخطط المسجد النبوي في مرحلته الأولى عمل الباحث .



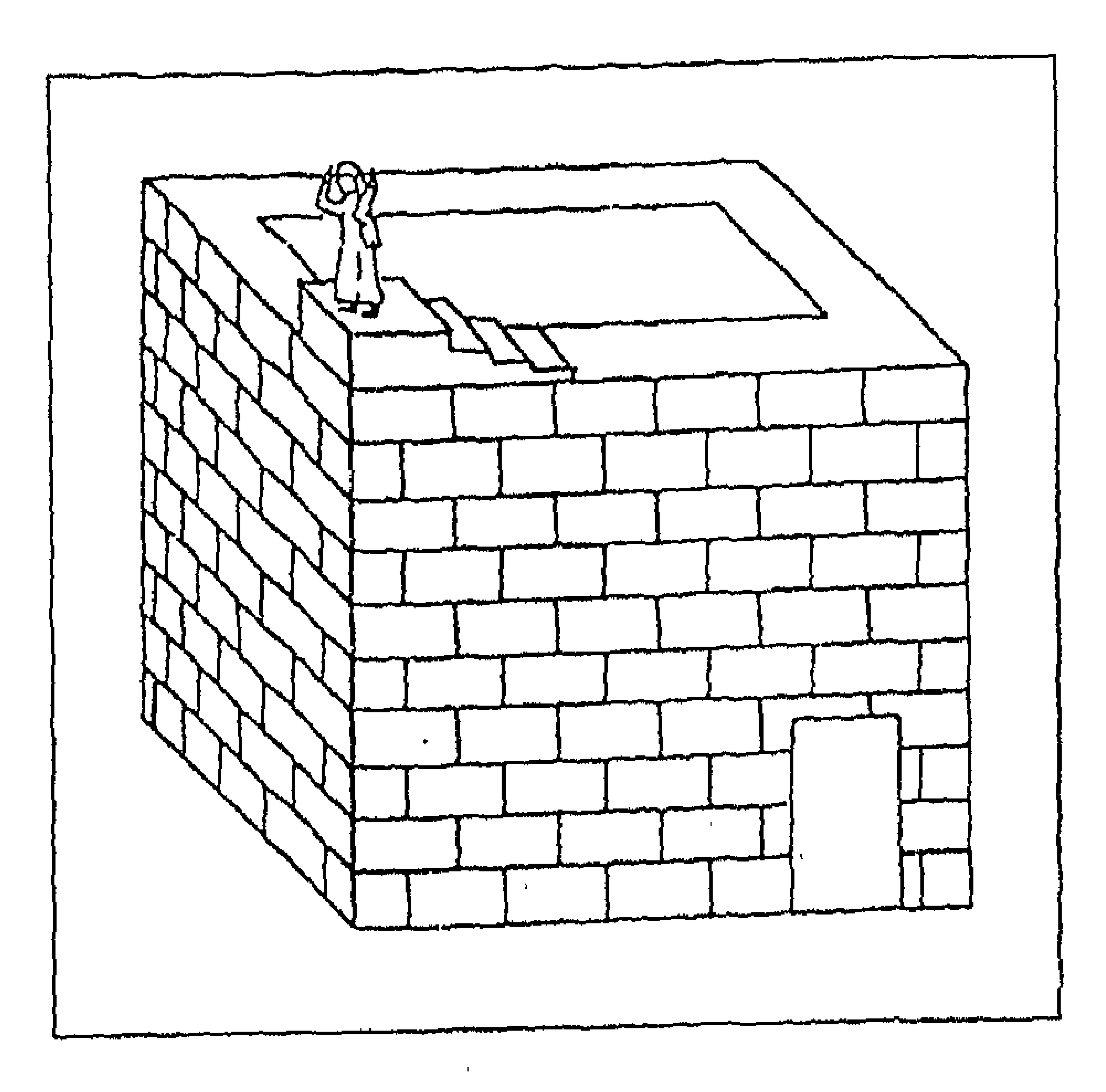
(شكل : ٤)
تصور لمخطط المسجد النبوي من صحن وظلة للقبلة عمل الباحث .



(شكل : ٥)
تصور لمخطط المسجد النبوي بعد تحويل القبلة عمل الباحث .

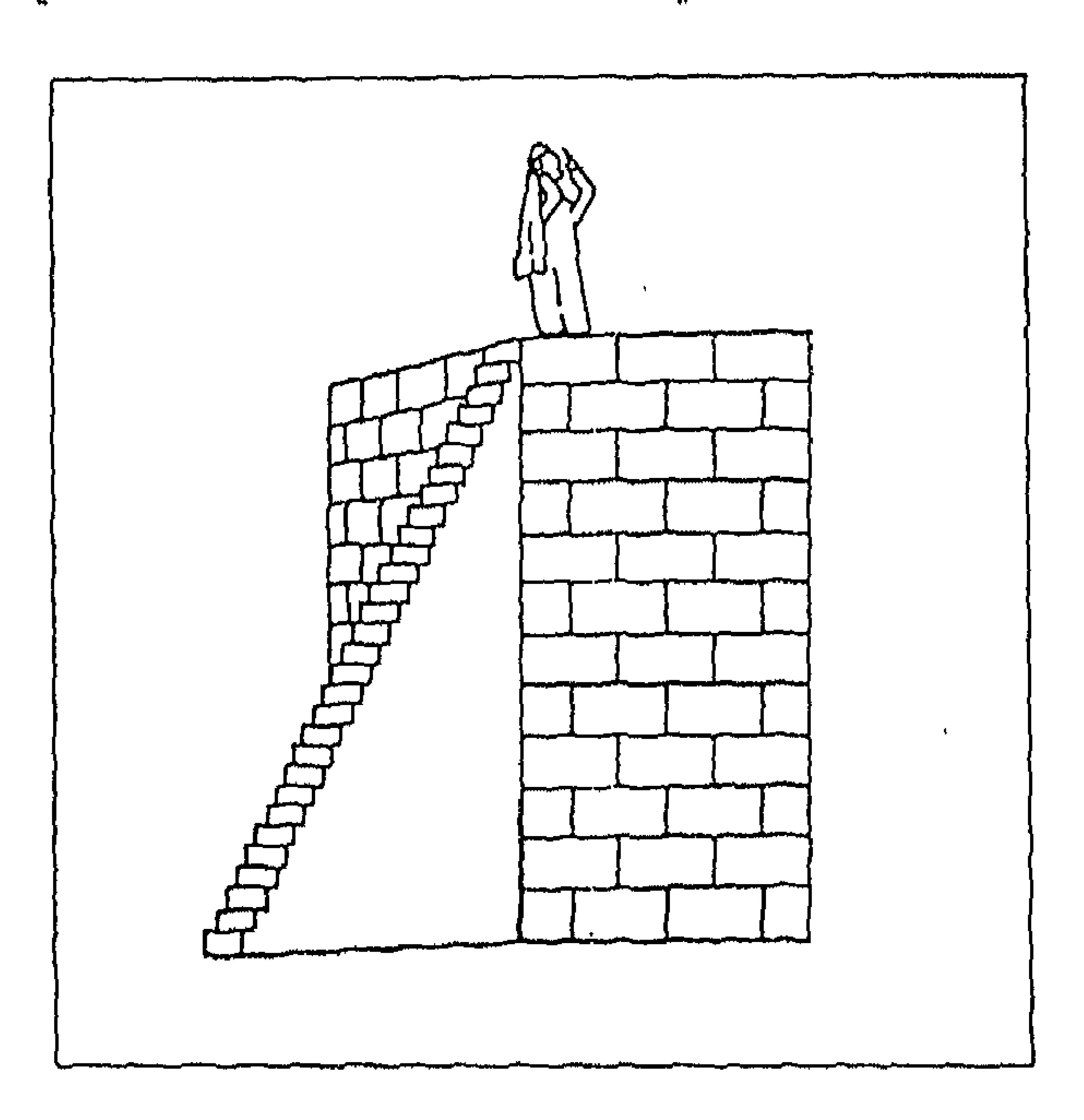


(شكل : ٦)
تصور لإعلان الأذان من فوق سطح منزل «النوار أم زيد» بالمدينة المنورة عمل الباحث .



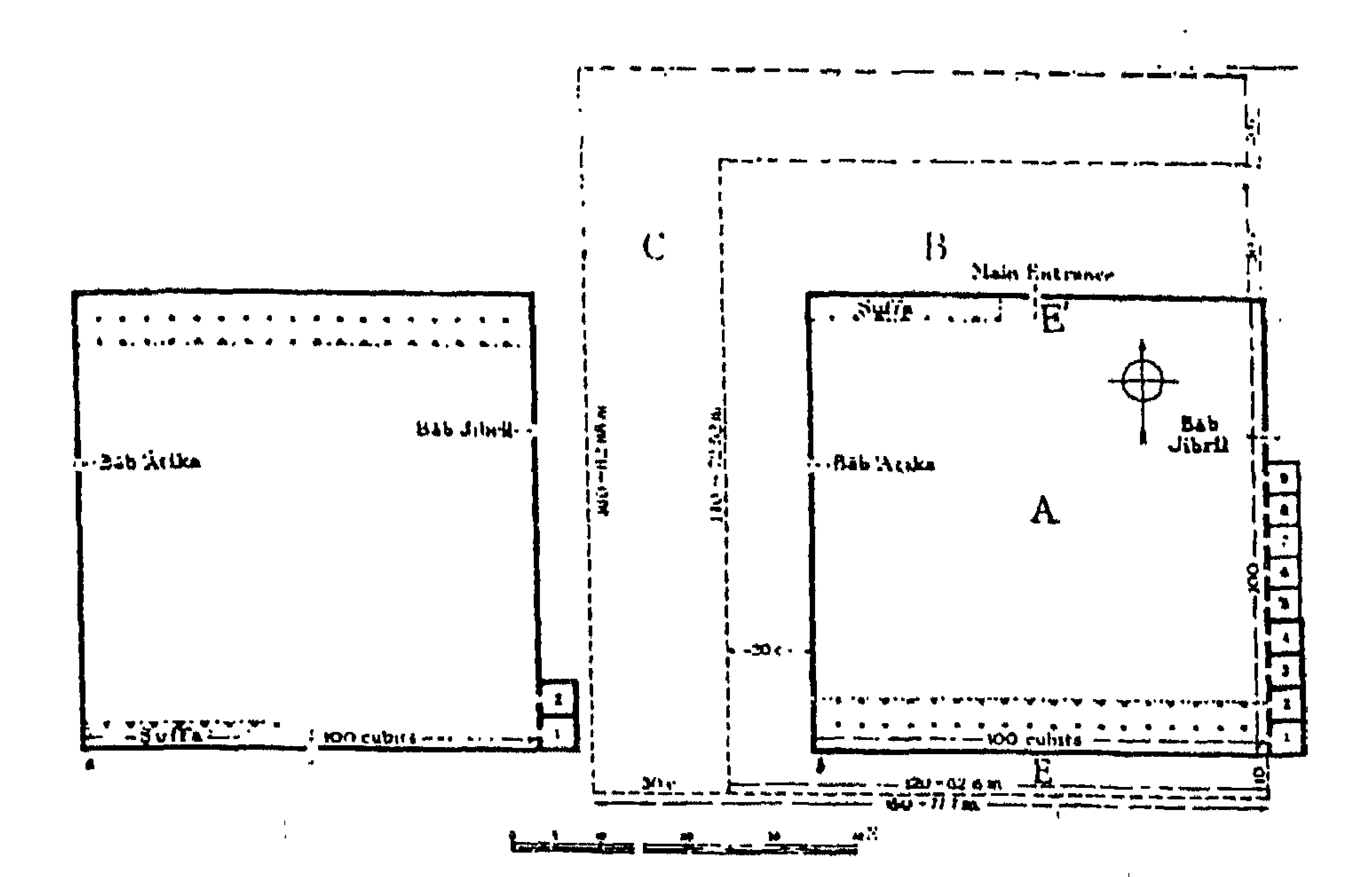
(شكل : ٧)

تصور معماري للكتلة المعمارية التي كانت تعلو أحد أركان المسجد النبوي عمل الباحث .



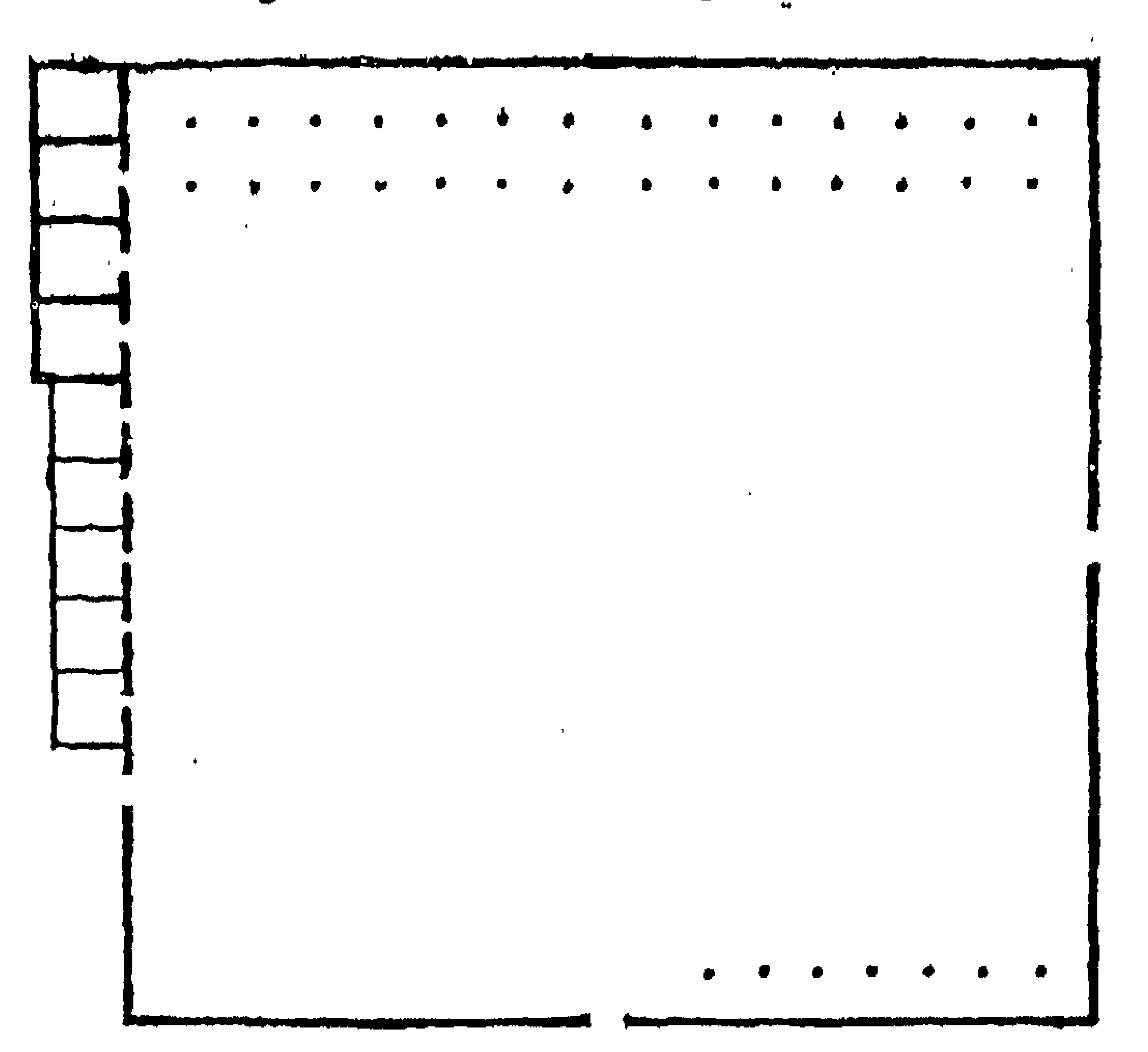
(شكل : ٨)

تصور معماري للأسطوان المربعة التي يقال لها المطمار عمل الباحث .



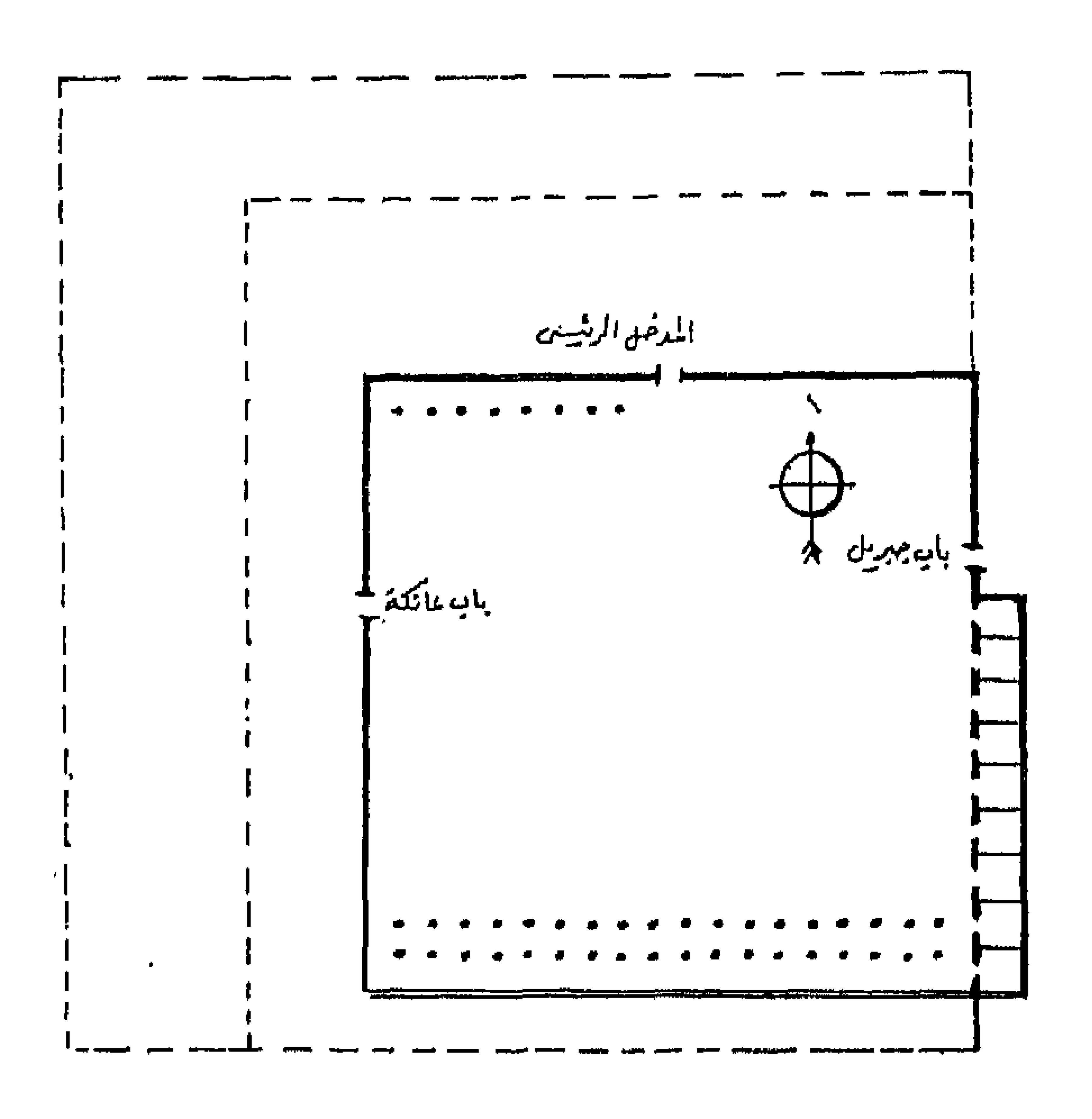
(شكل : ٩)

مخطط المسجد النبوي قبل السنة السابعة وبعدها عن Creswell .



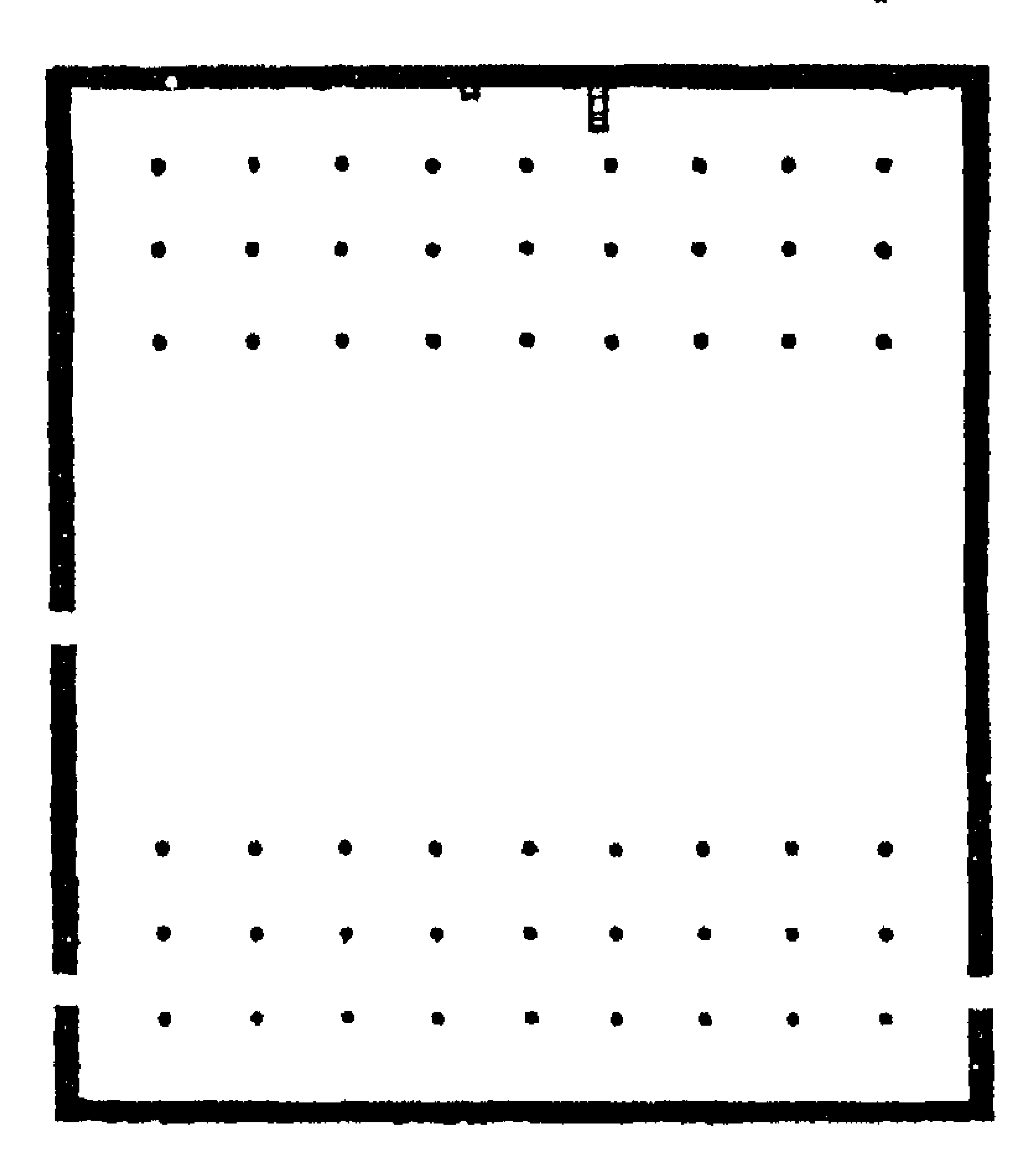
(شكل : ١٠)

مخطط المسجد النبوي بعد تحويل القبلة ، ويه يظهر التشابه بينه وبين مخطط كريزويل في قصر موقع الصفة على الجزء الشمالي الغربي من مؤخرة المسجد النبوي عن فريد شافعي .



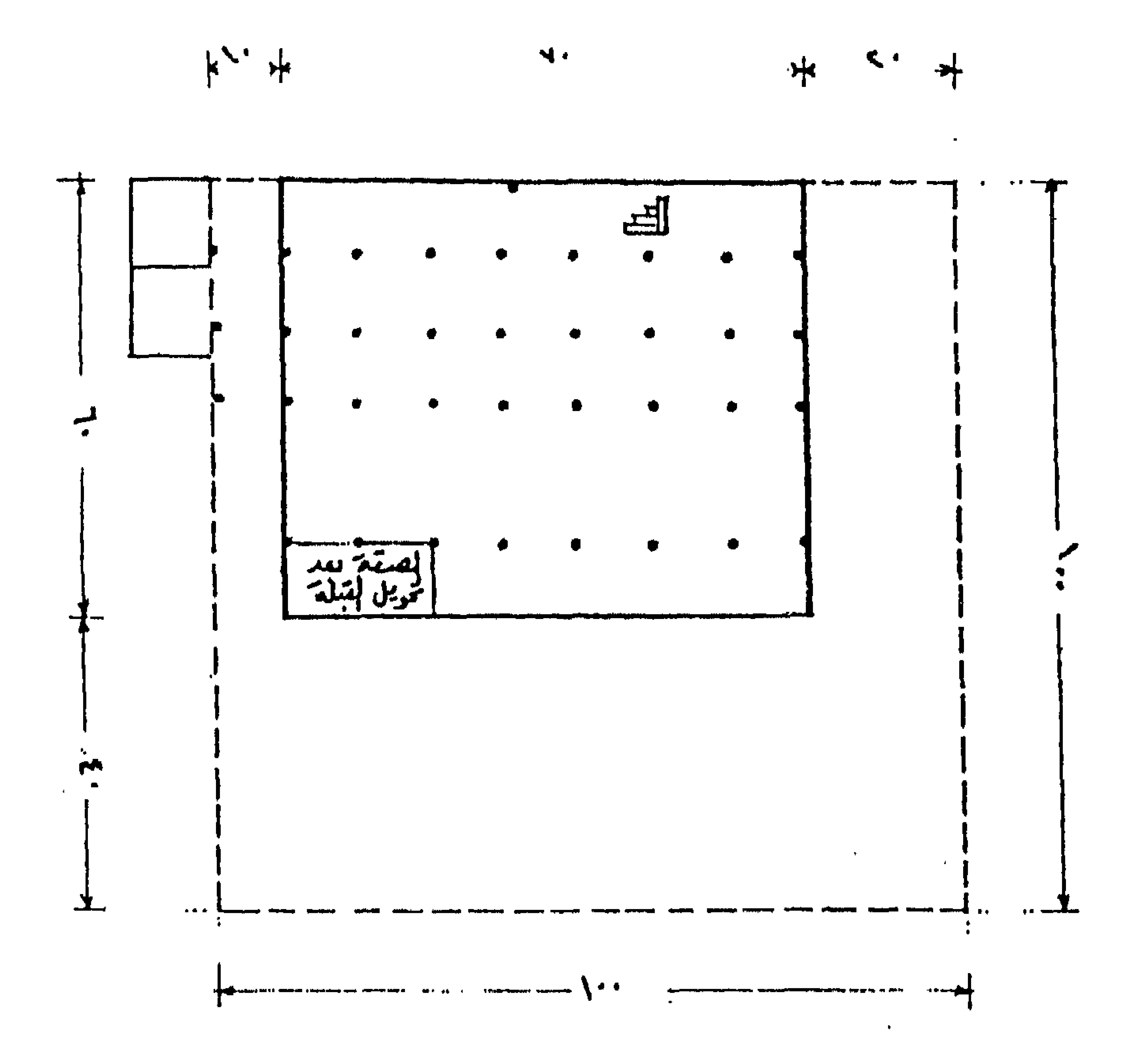
(شكل : ١١)

مخطط المسجد النبوي الذي نشرته سعاد ماهر في كتابها مساجد مصر . وقد أخذته كما يبدو عن كريزول وبه يظهر موقع أهل الصفة مقتصراً على الجزء الشمالي الشرقي من مؤخرة المسجد النبوي . التعليق عن الشهري .



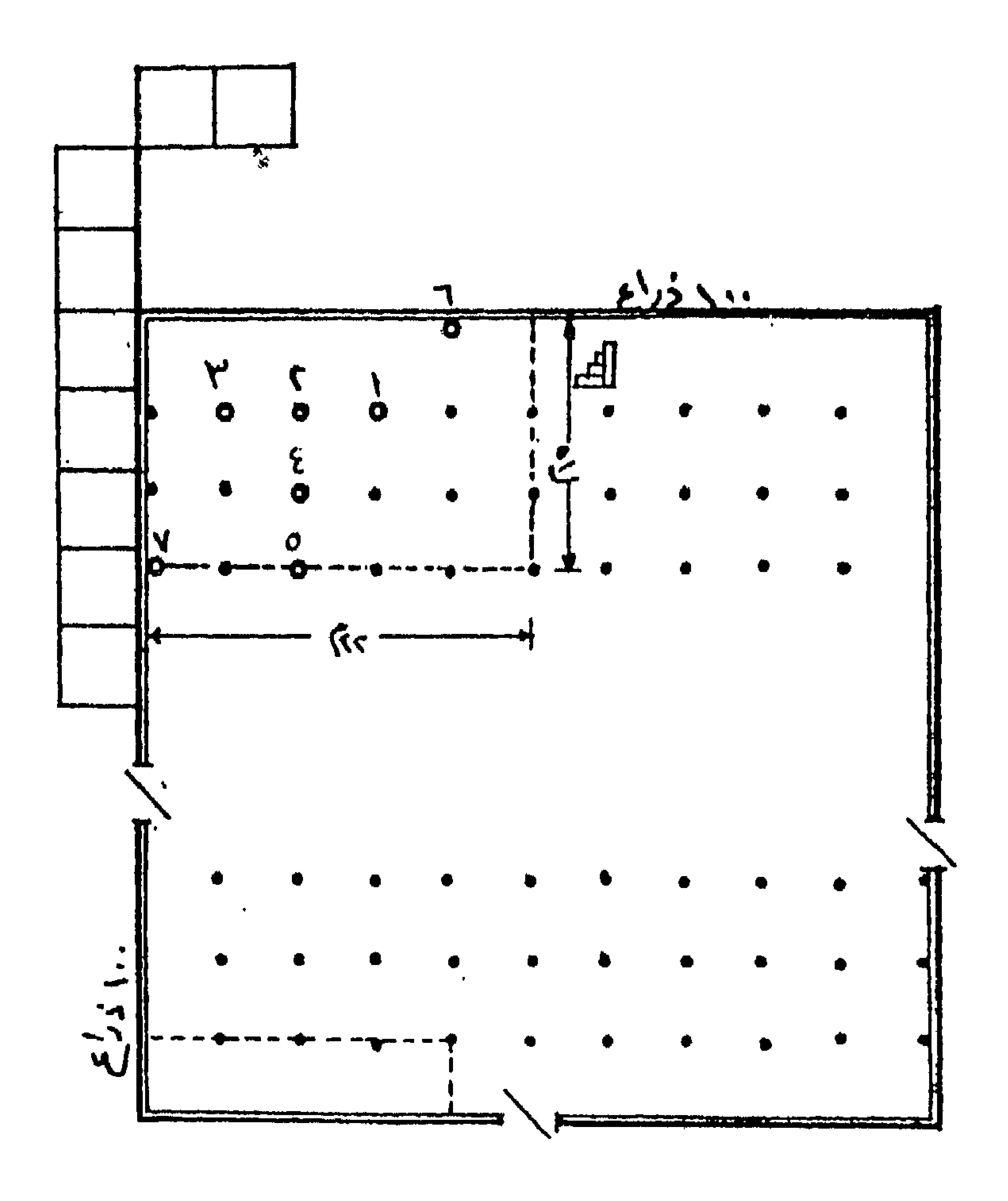
(شكل : ١٢)

مخطط المسجد النبوي في عهد الرسول ﷺ عن أحمد فكري .



(شكل : ١٣)

مخطط للمسجد النبوي بعد تحويل القبلة وبه يظهر موقع أهل الصفة من الظلة الشمالية ، ومما لا شك فيه أنها انتقلت إلى مؤخرة المسجد النبوي بعد الزيادة الأخيرة في عهد الرسول عليه السلام عن الشهري .

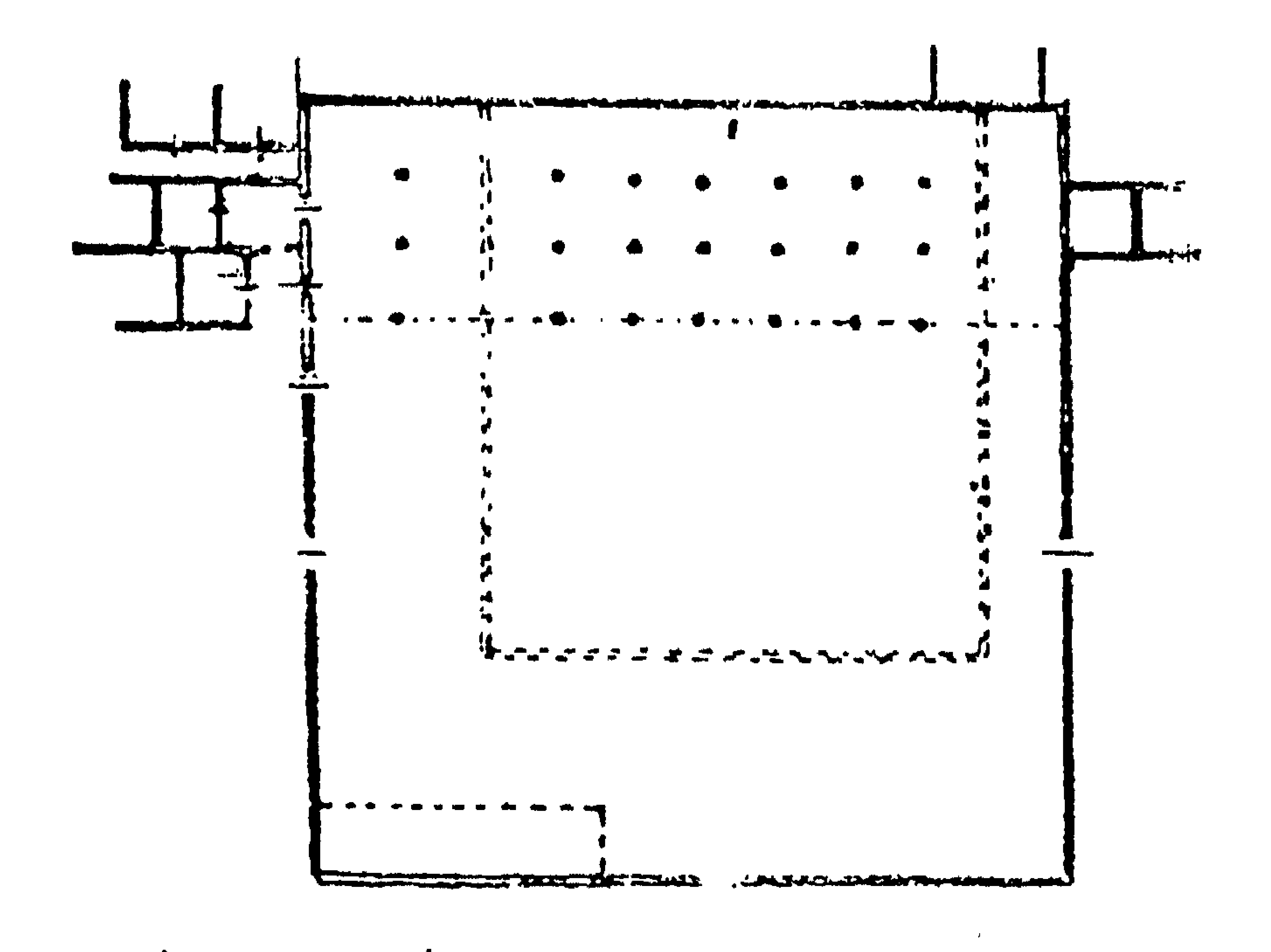


(شكل : ١٤)

مخطط المسجد النبوي في حياة الرسول وبه تظهر اسطوانات الروضة المشهورة التالية :

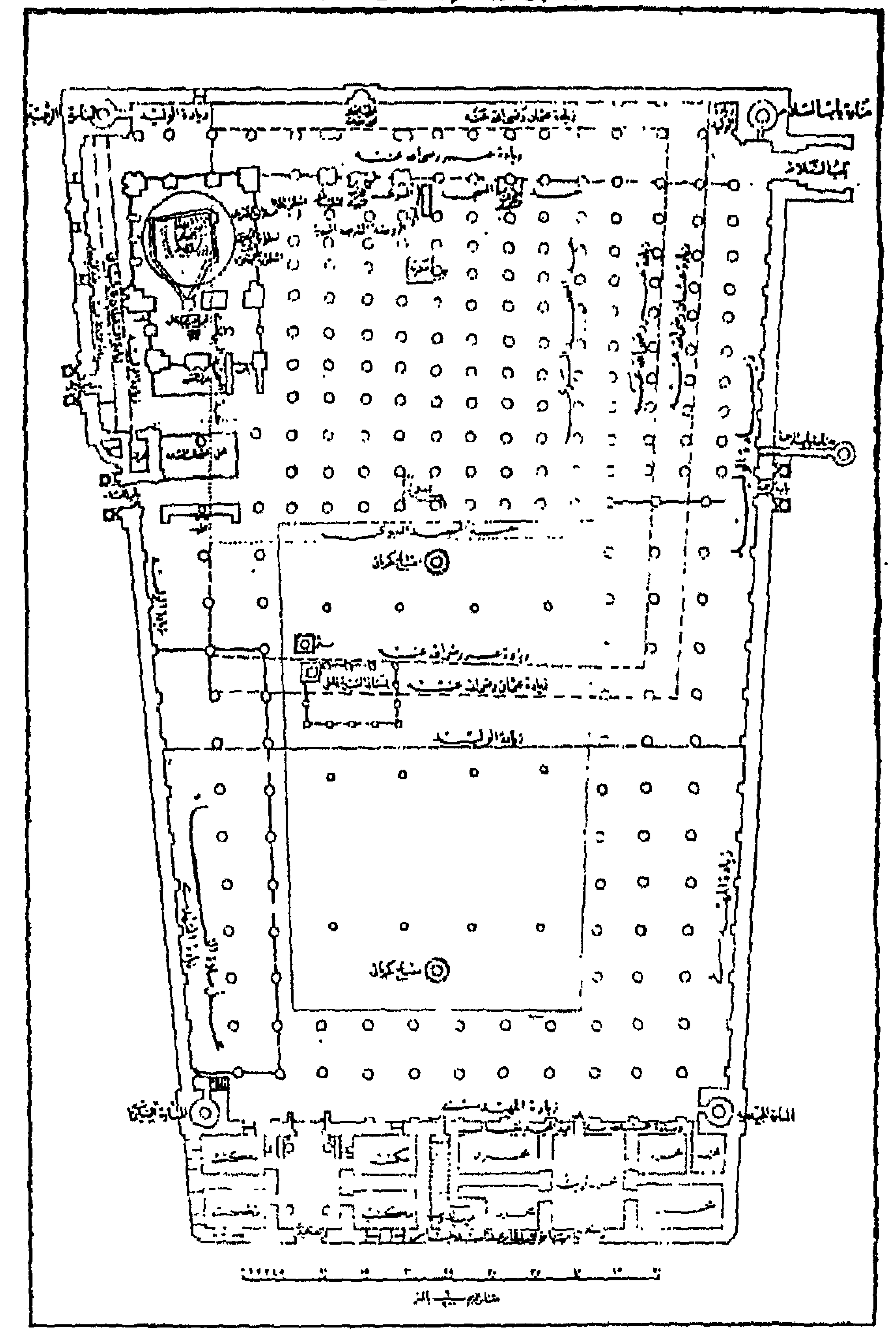
١ - اسطوانة عائشة
٢ - اسطوانة التوبة
٣ - اسطوانة السرير
٤ - اسطوانة المحرس
٥ - اسطوانة الوفود
٦ - اسطوانة مصلى النبي
٧ - اسطوانة مقام جبريل

عن الشهري .



(شكل : ١٥)

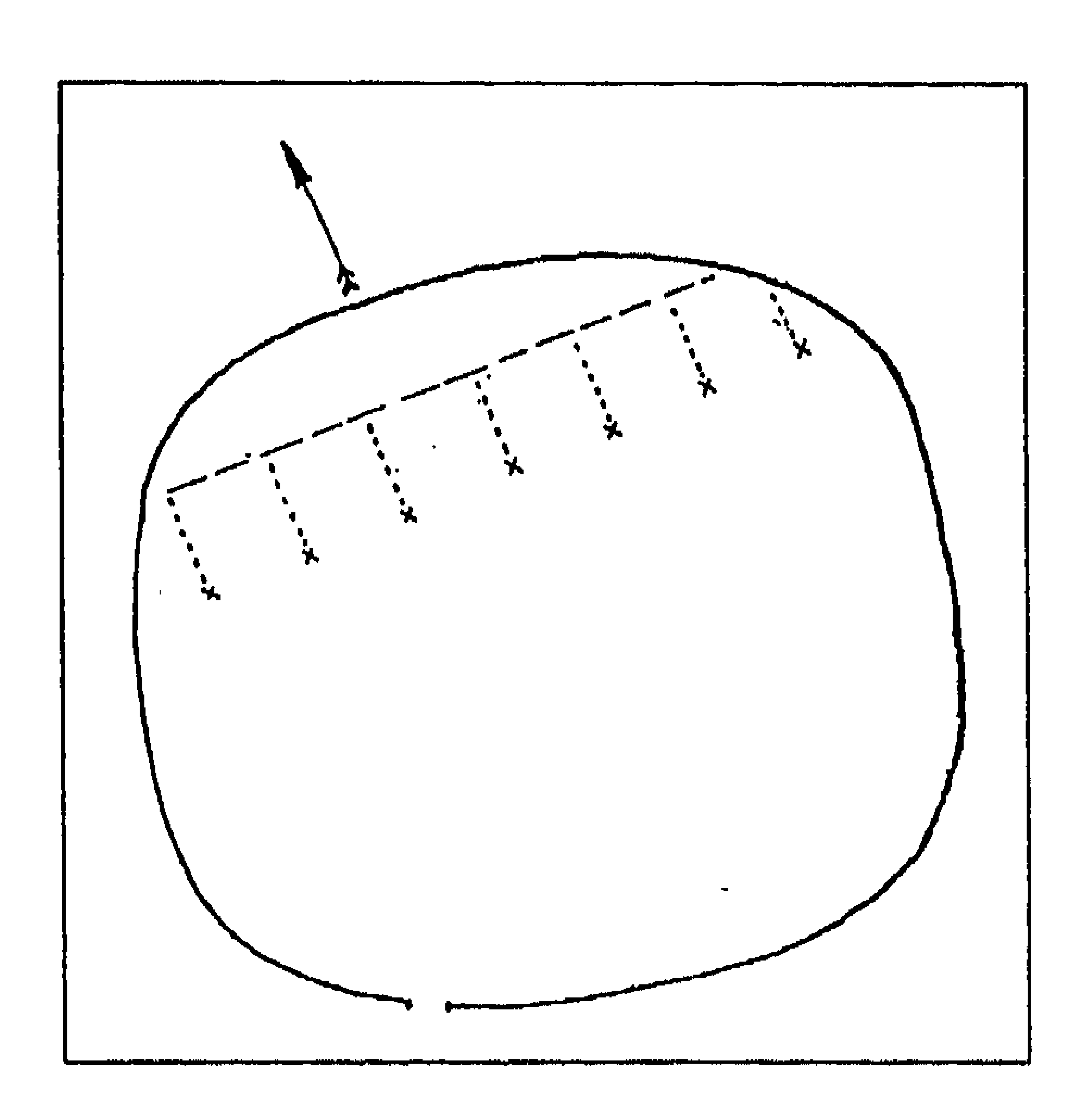
مخطط المسجد النبوي في آخر عهد الرسول ﷺ نقله أحمد فكري عن محمود عكوش ، وبه تظهر الصفة في الجانب الشمالي الشرقي من المسجد النبوي ، وفي هذا مخالفة لما في مخطط كريزول وفريد شافعي وسعاد ماهر . التعليق عن الشهري .



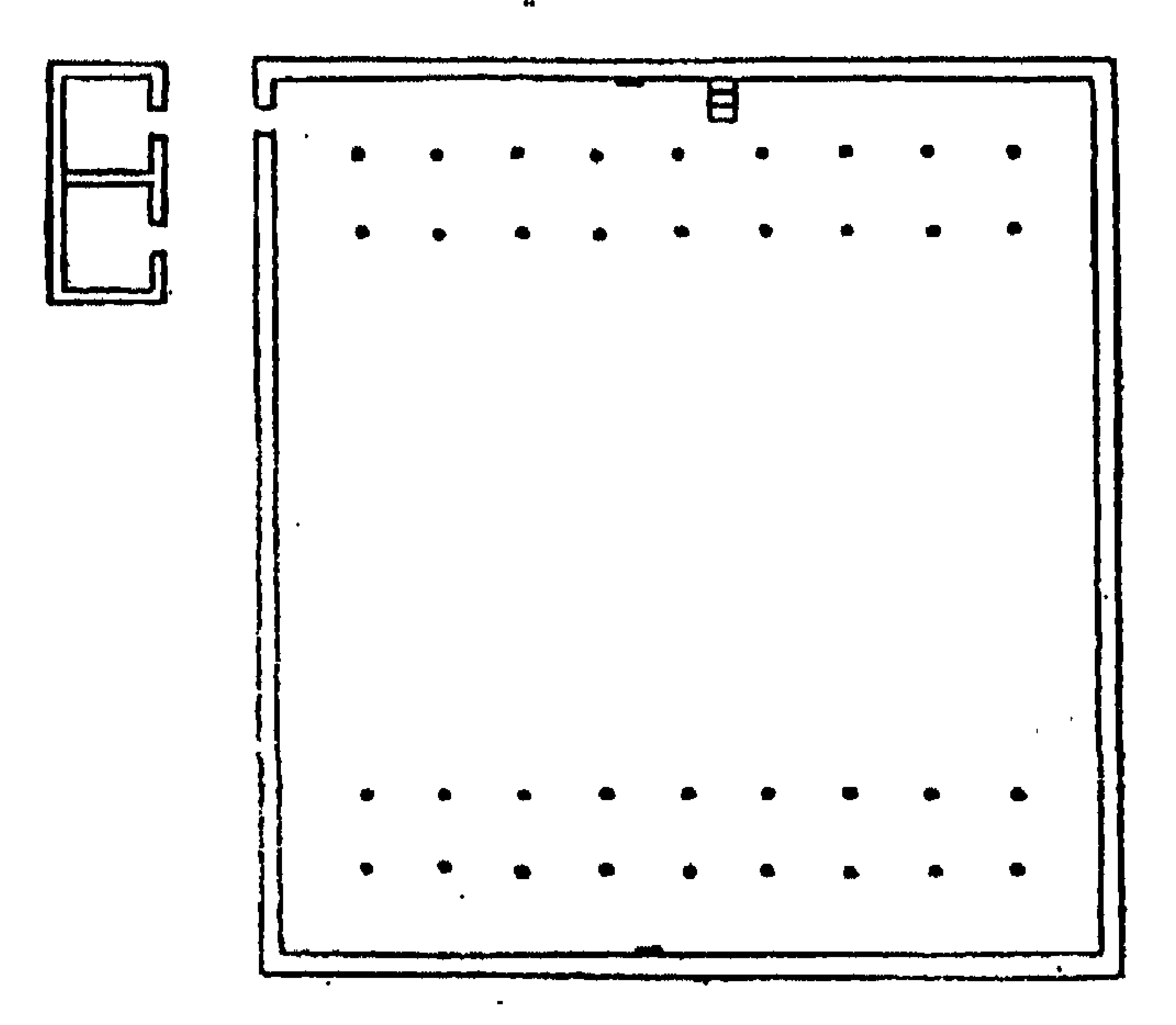
(شكل : ١٦)

مخطط المسجد النبوي بعد زيادة السلطان عبد المجيد خان سنة ١٢٧٧هـ عن مرآة الحرمين وبه يظهر موقع أهل الصفة في الجانب الشمالي الشرقي من مؤخرة المسجد النبوي في عهد الرسول ، وفي هذا مخالفة لموقعها في المخطط الذي أعده كريزويل ومن أخذ عنه

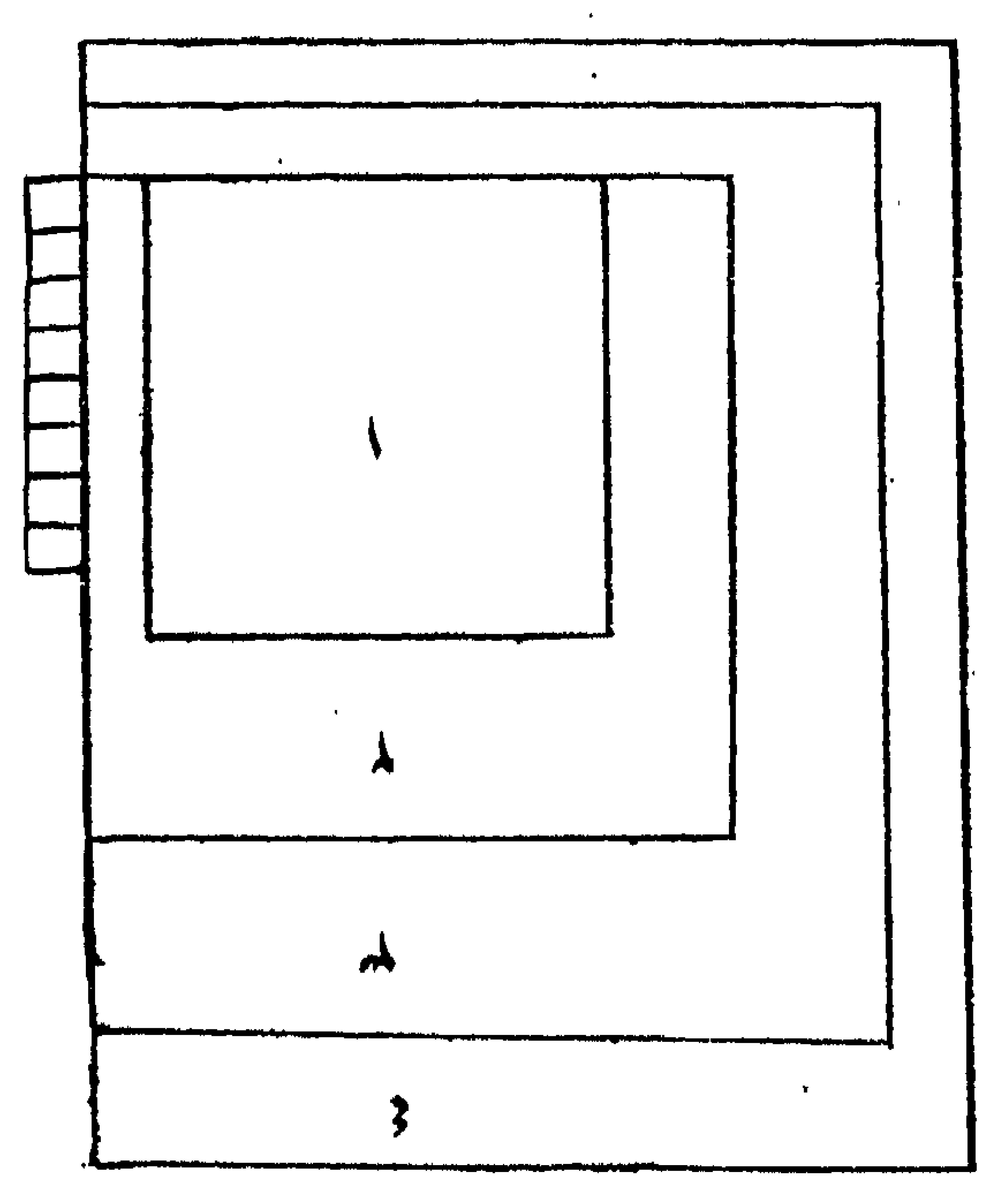
عن الشهري .



(شكل : ١٧)
مخطط المسجد النبوي عن Pauty .

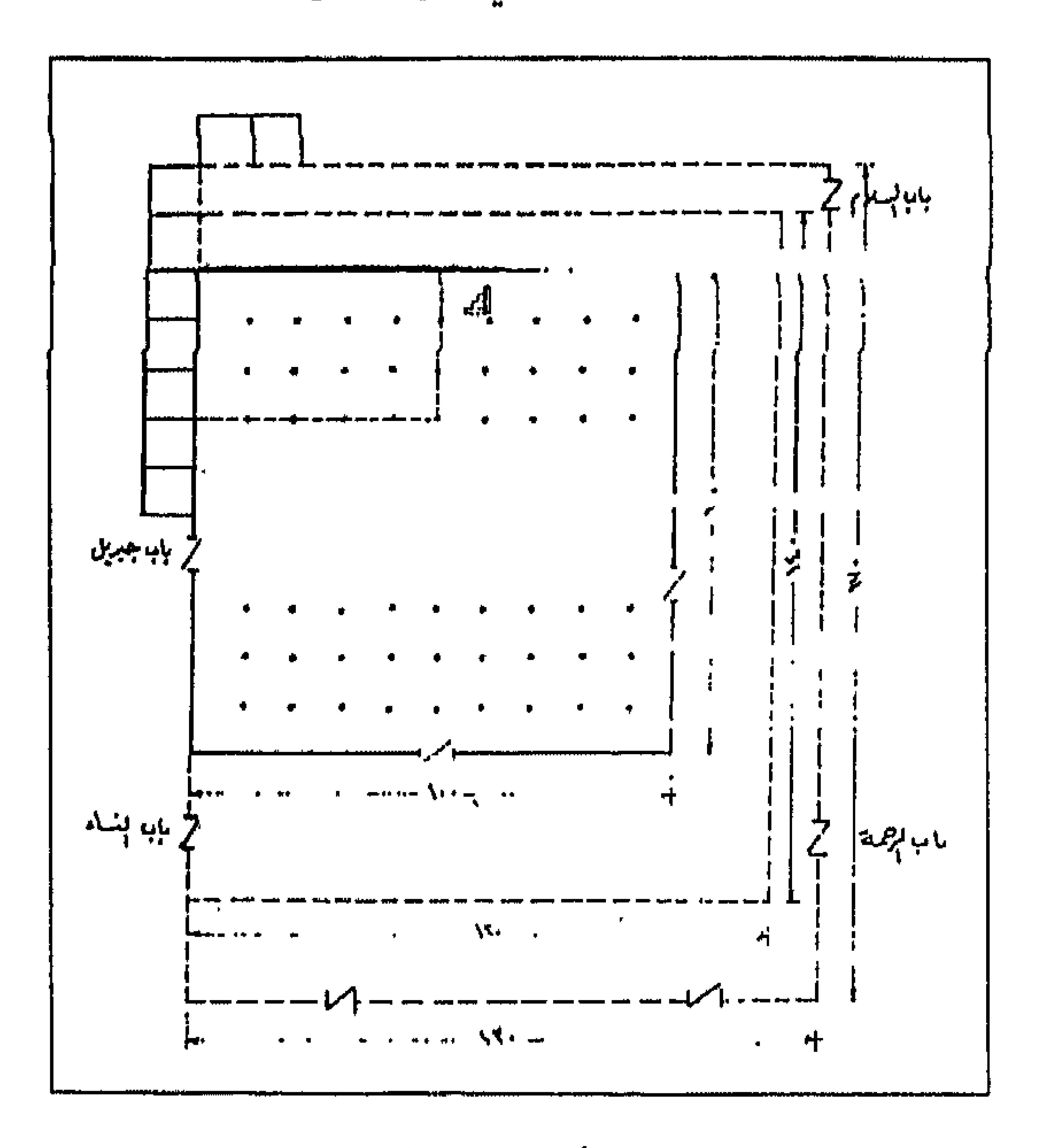


(شكل : ١٨)
مخطط المسجد النبوي بعد السنة السابعة من الهجرة الشريفة (عن حسن الباشا) ويه يظهر أنه قصر البلاطات في ظلتى المسجد على بلاطتين ، وهذا مخالف لما ثبت من أنها كانت ثلاث بلاطات في كل منها .التعليق عن الشهري .



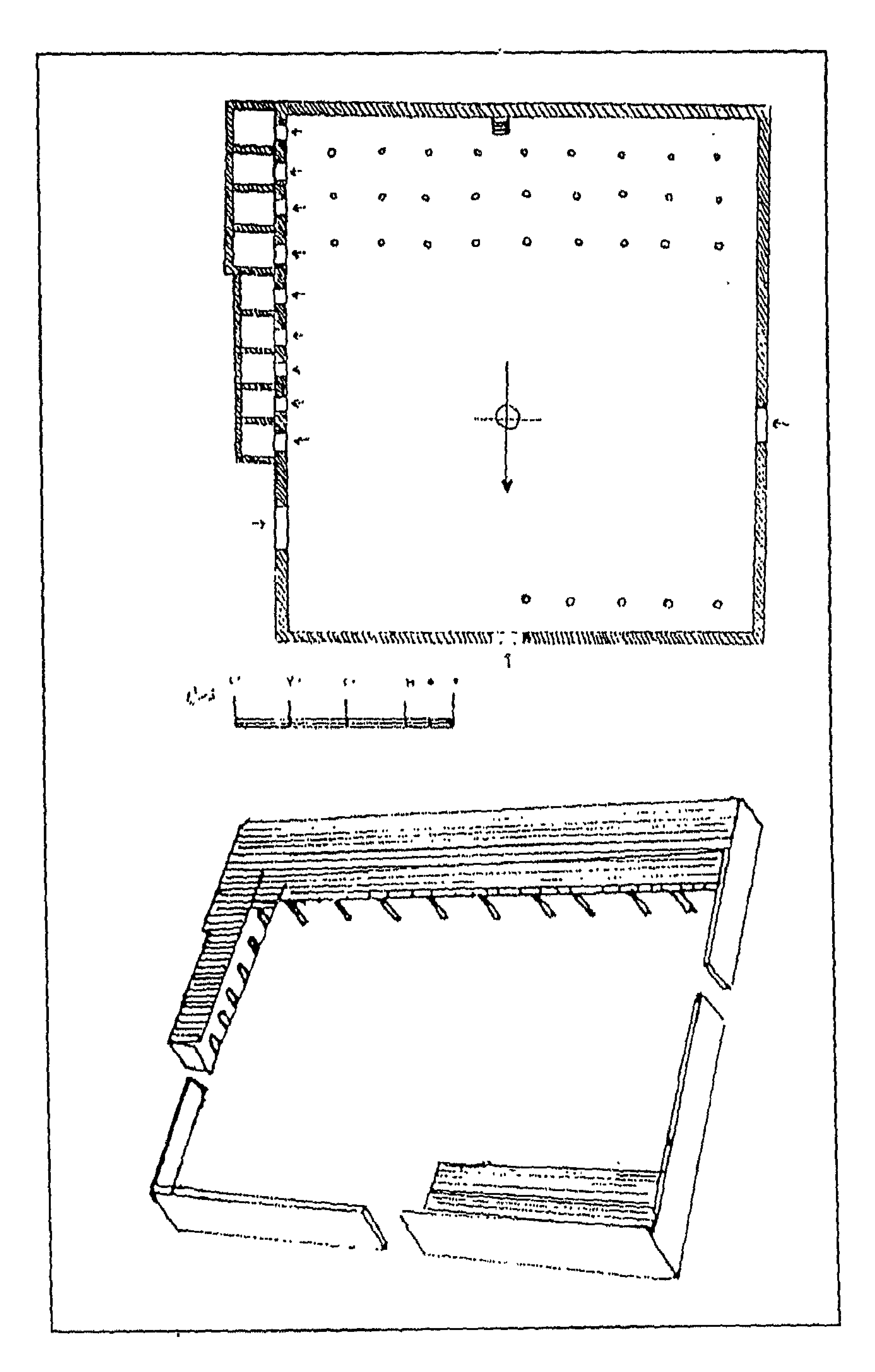
(شكل : ١٩)

مخطط المسجد النبوي عن حسن الباشا .

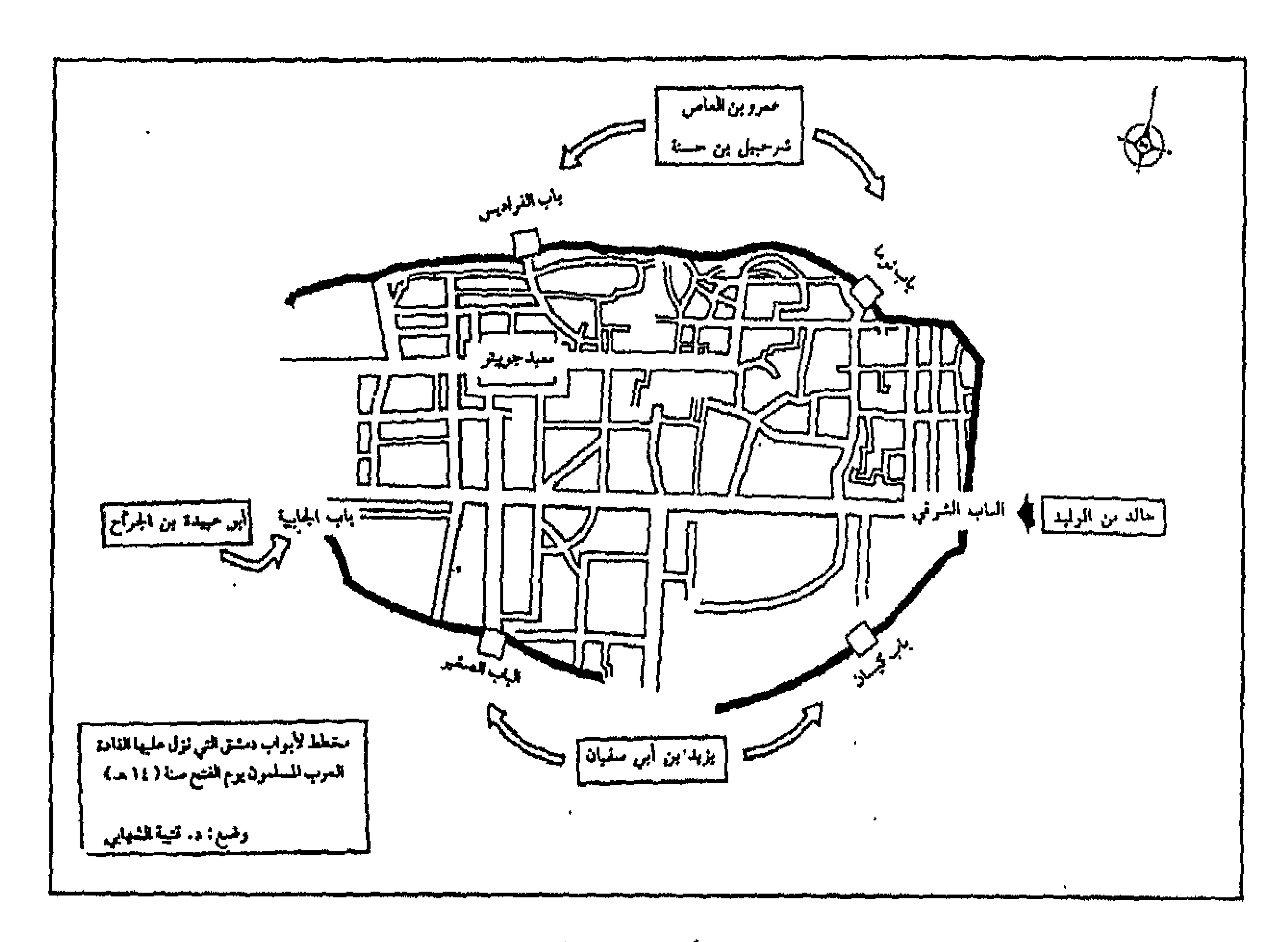


(شكل : ٢٠)

مخطط المسجد النبوي وزيادة الخليفة عمر ﷺ عن الشهري .

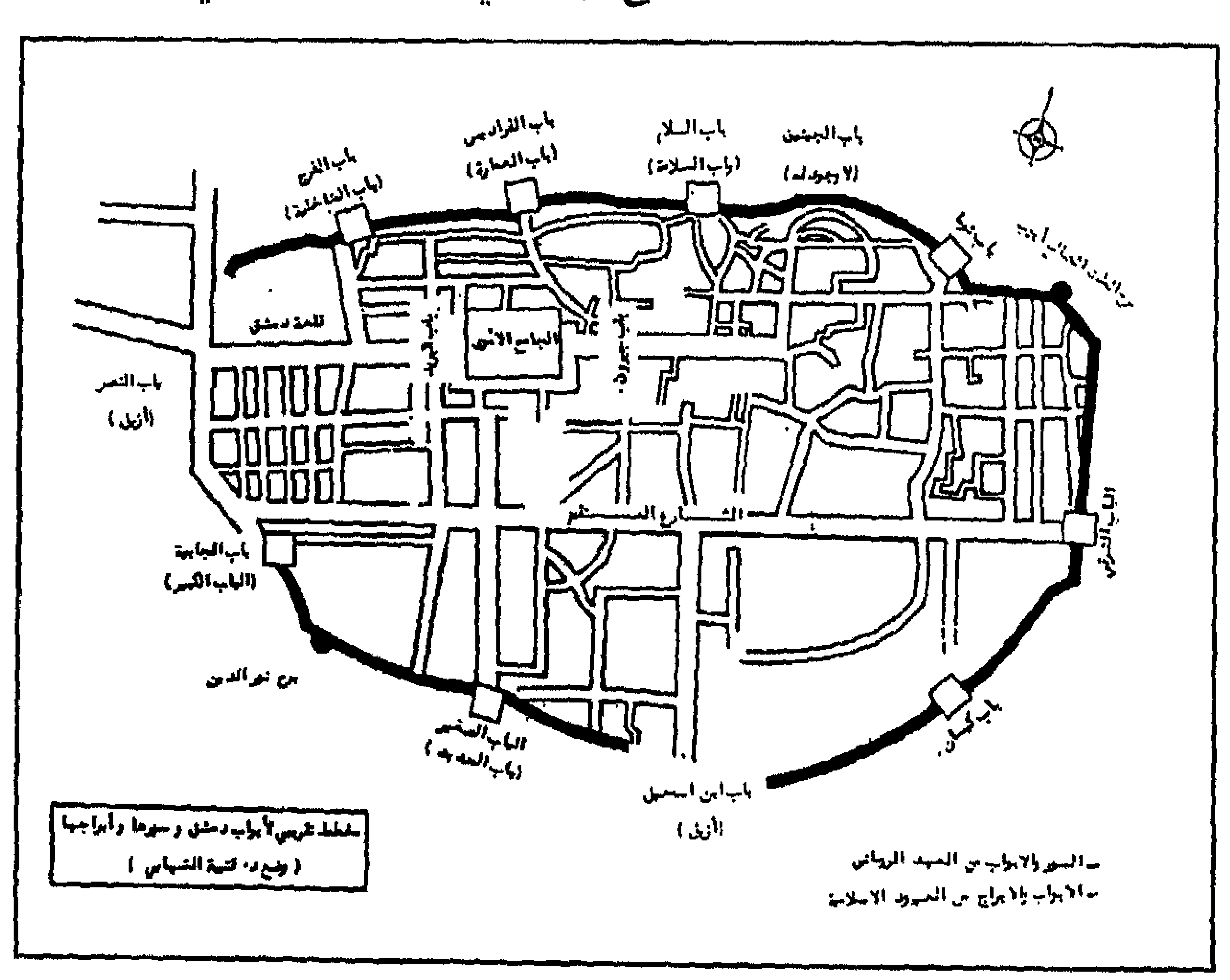


(شكل : ٢١)
مخطط المسجد النبوي عن أحمد رجب .



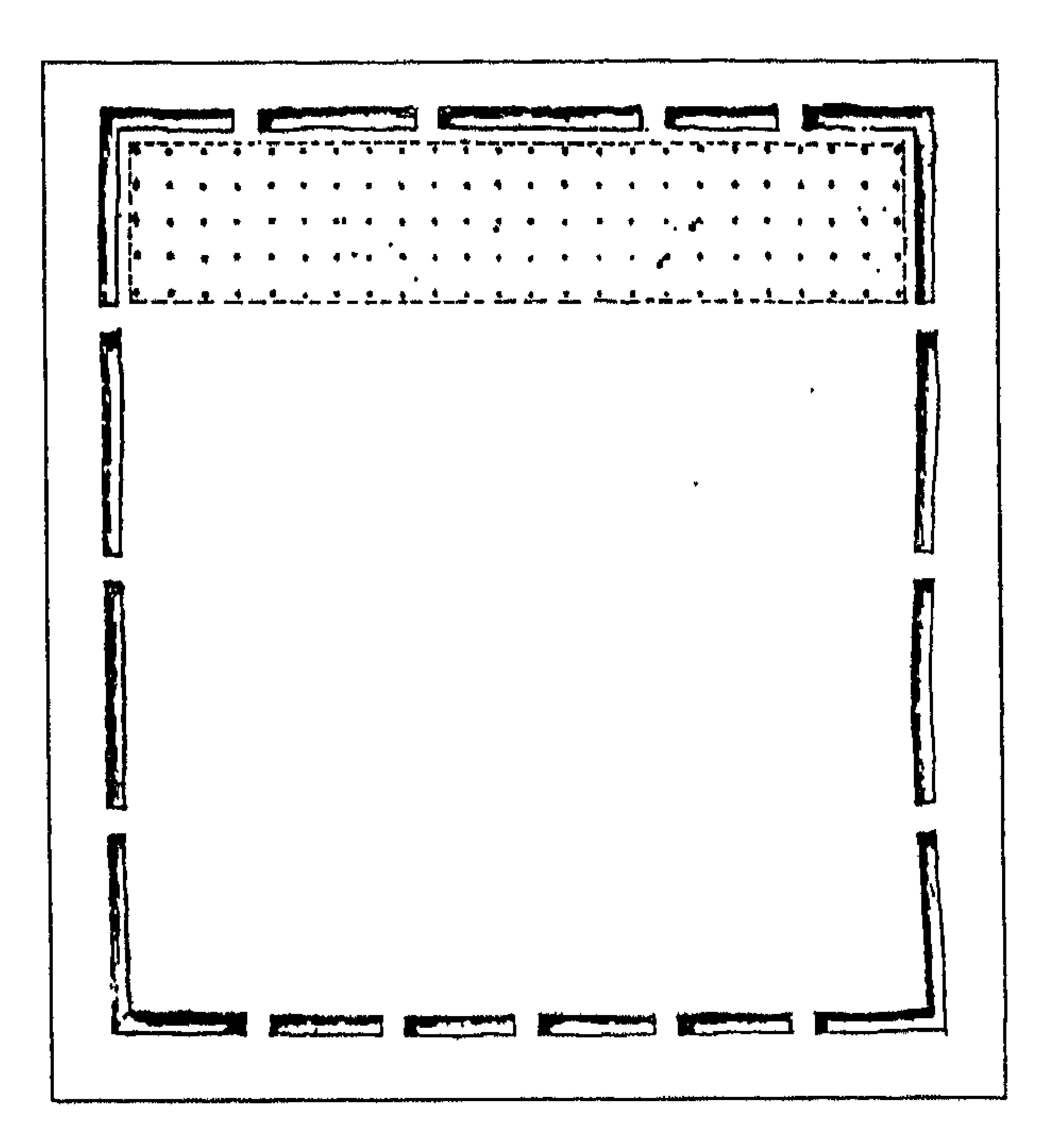
(شكل : ٢٢)

مخطط مدينة دمشق عند الفتح الإسلامي عن قتيبة الشهابي .

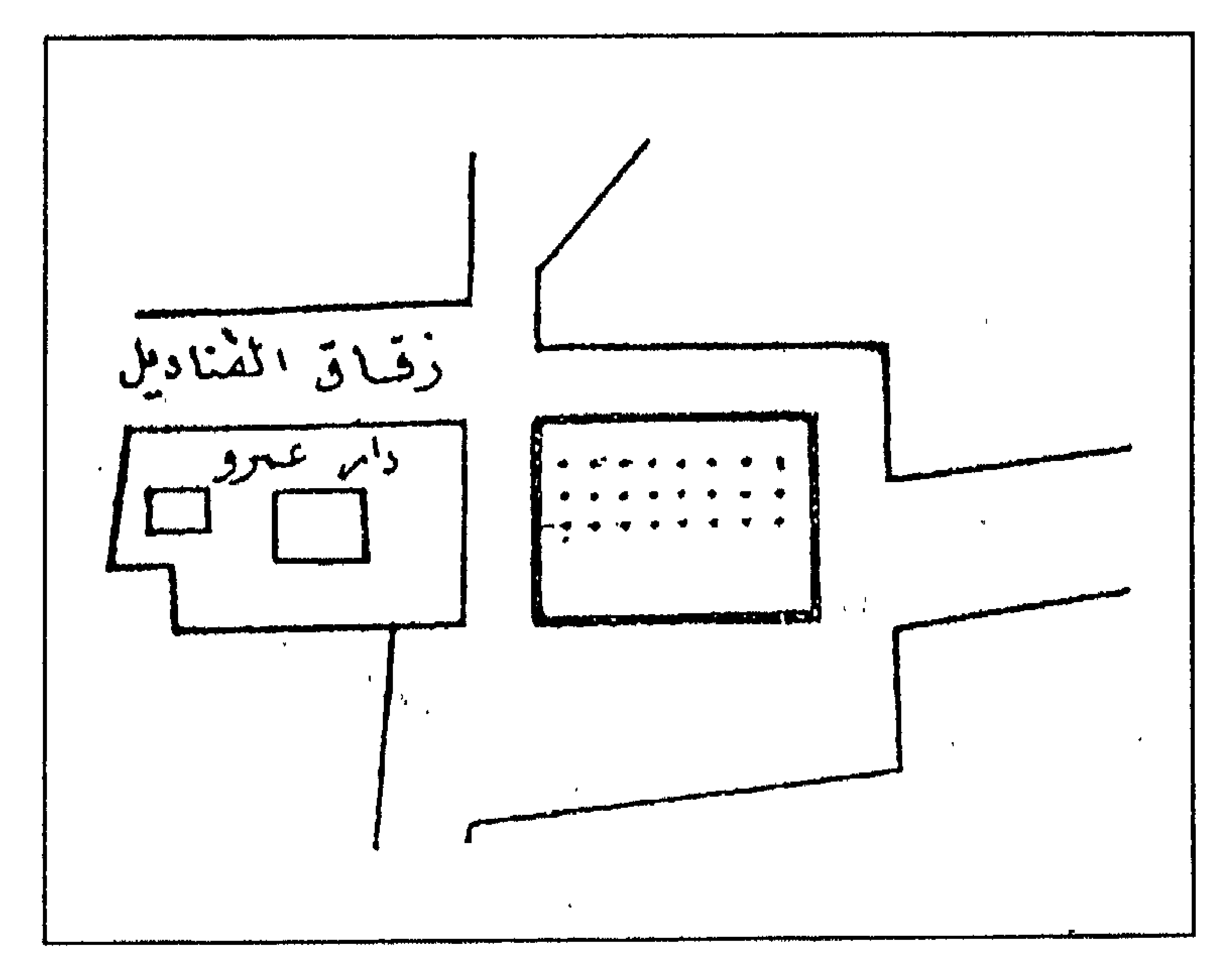


(شكل : ٢٣)

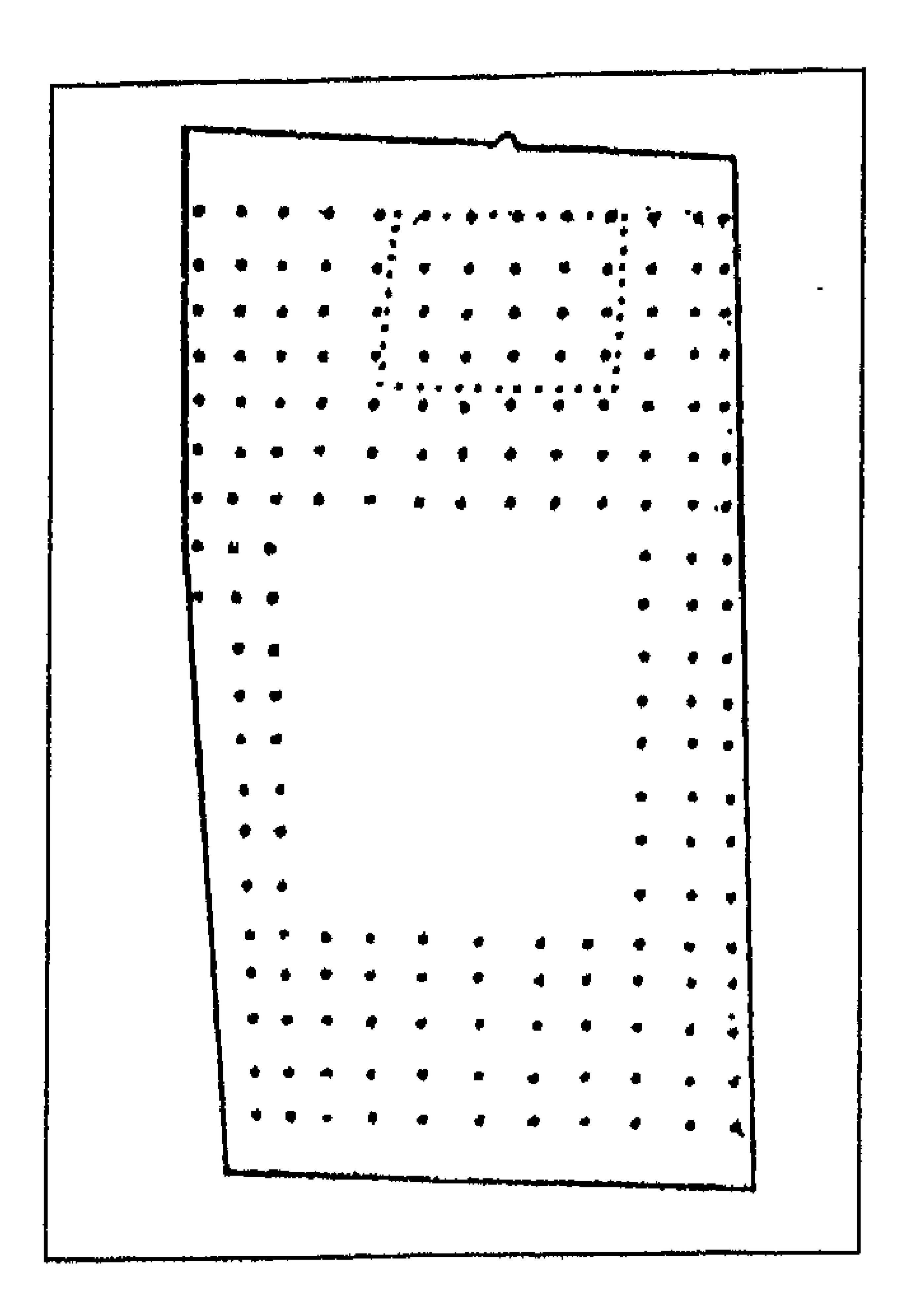
مخطط تقريبي لأبواب دمشق وأبراجها في العصرين الروماني والإسلامي عن قتيبة الشهابي .



(شكل : ٢٤)
مخطط مسجد الكوفة عن فريد شافعي .

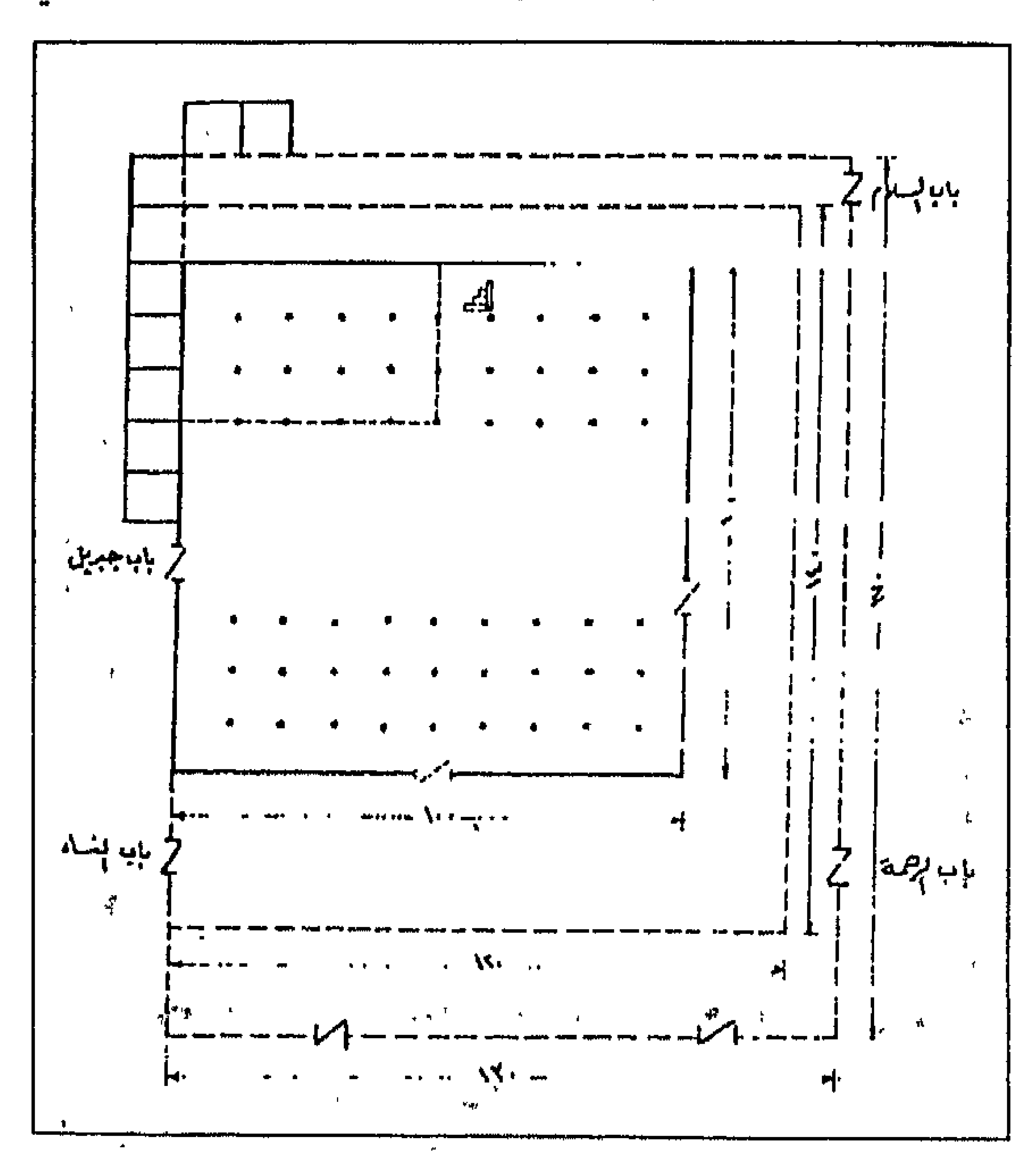


(شكل : ٢٥)
مخطط مسجد عمرو بن العاص بالفسطاط عن أحمد فكري .



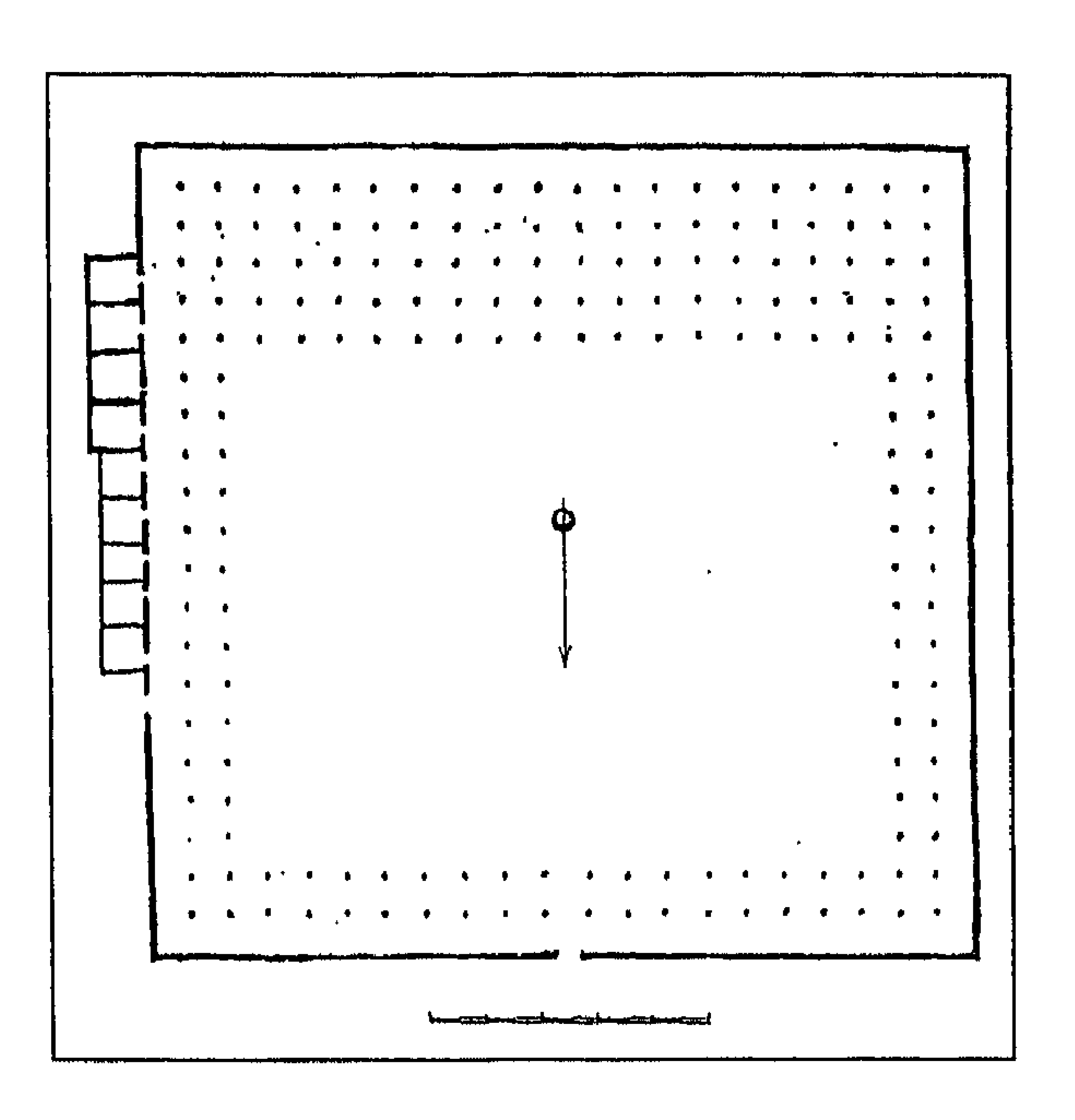
(شكل : ٢٦)

مخطط مسجد عمرو بن العاص بالفسطاط عن أحمد فكري .



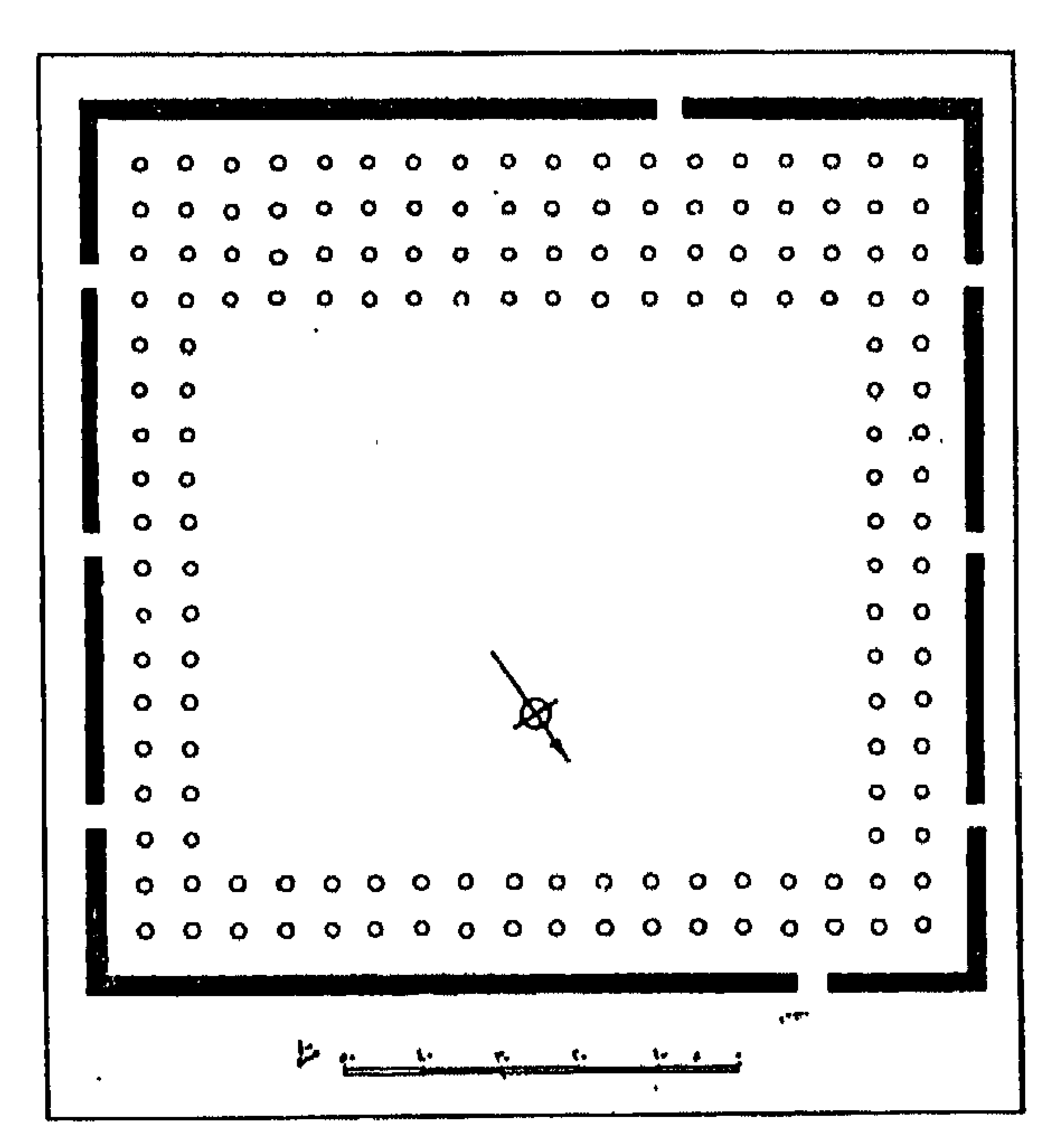
(شكل : ٢٧)

مخطط المسجد النبوي في عهد عثمان رضي الله عنه عن الشهري .



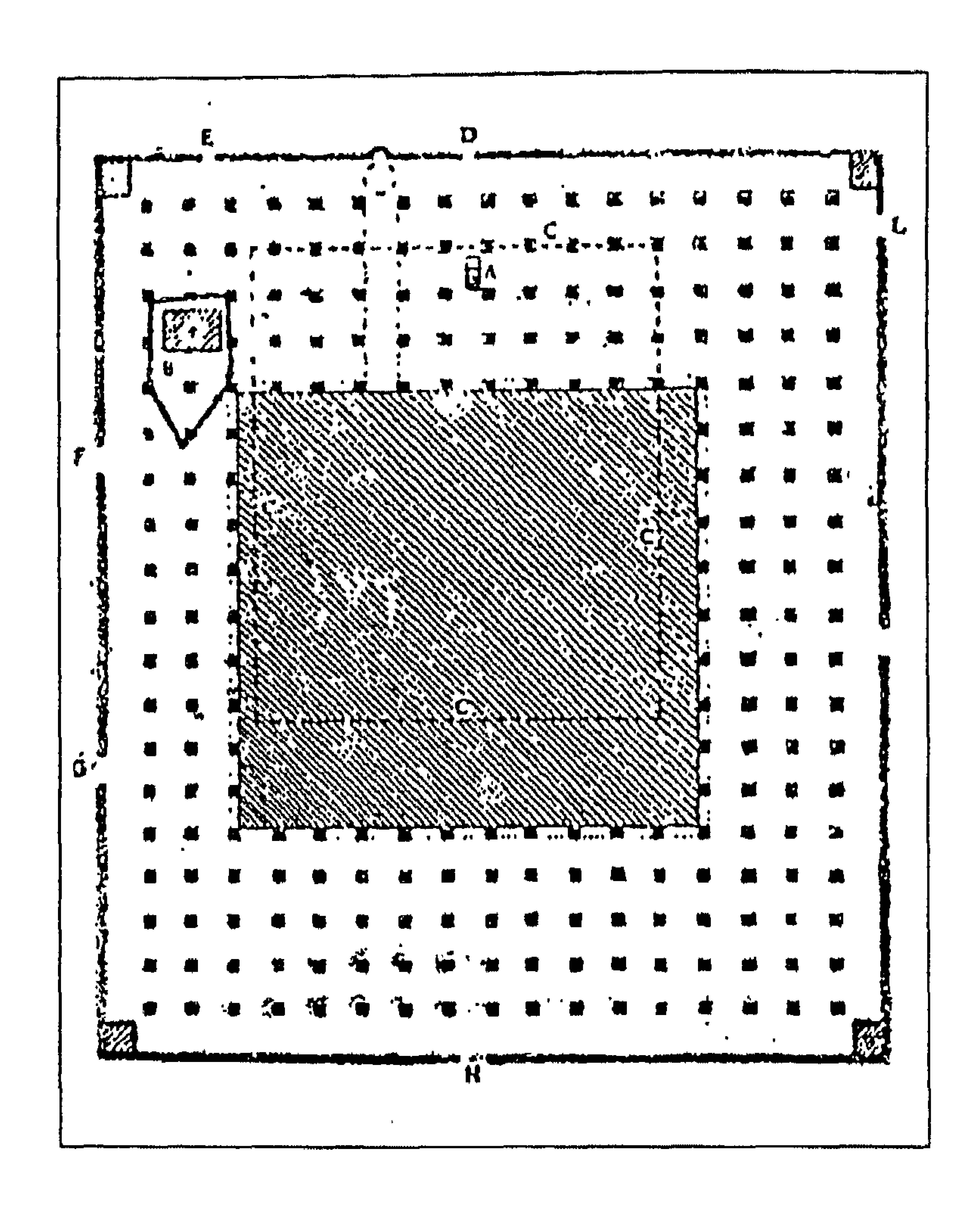
(شكل : ٢٨)

تصور لتخطيط المسجد النبوي في عهد عثمان رضي الله عنه عن فريد شافعي .



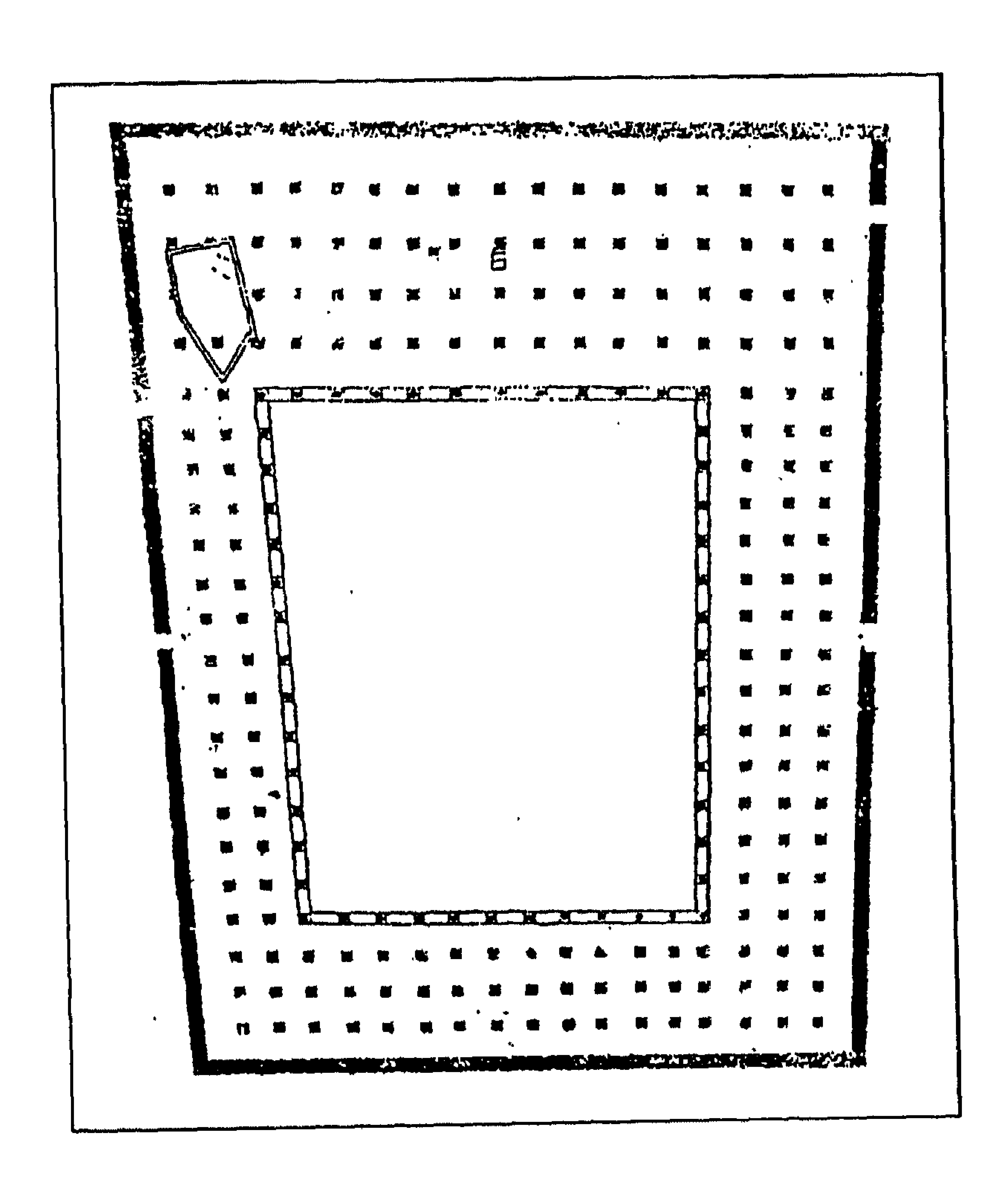
(شكل : ٢٩)

مخطط مسجد الكوفة في عهد زياد بن أبيه عن أحمد فكري .



(شكل : ٣٠)

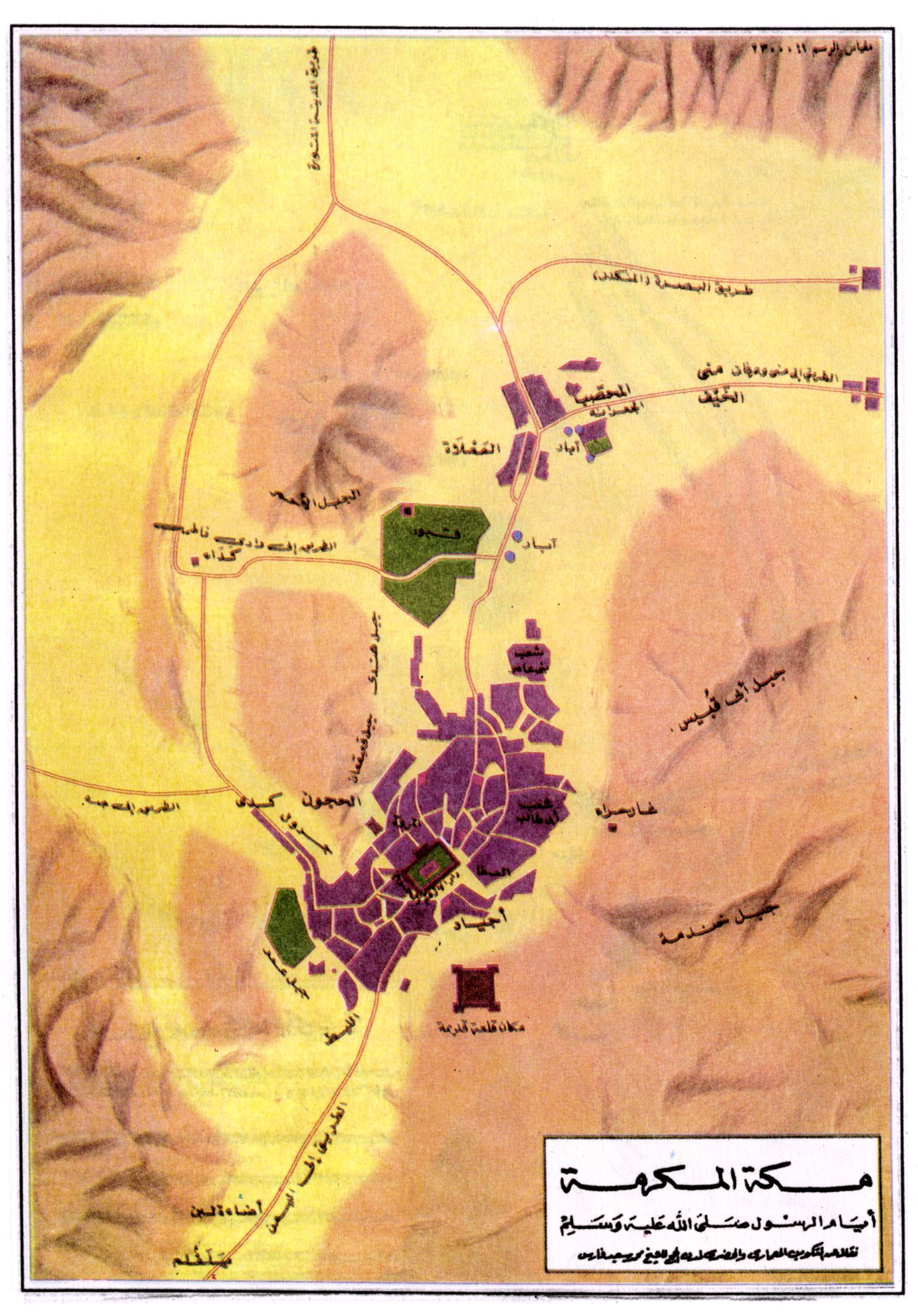
مخطط المسجد النبوي في عهد الوليد بن عبد الملك عن سوفاجيه .



(شكل : ٣١)

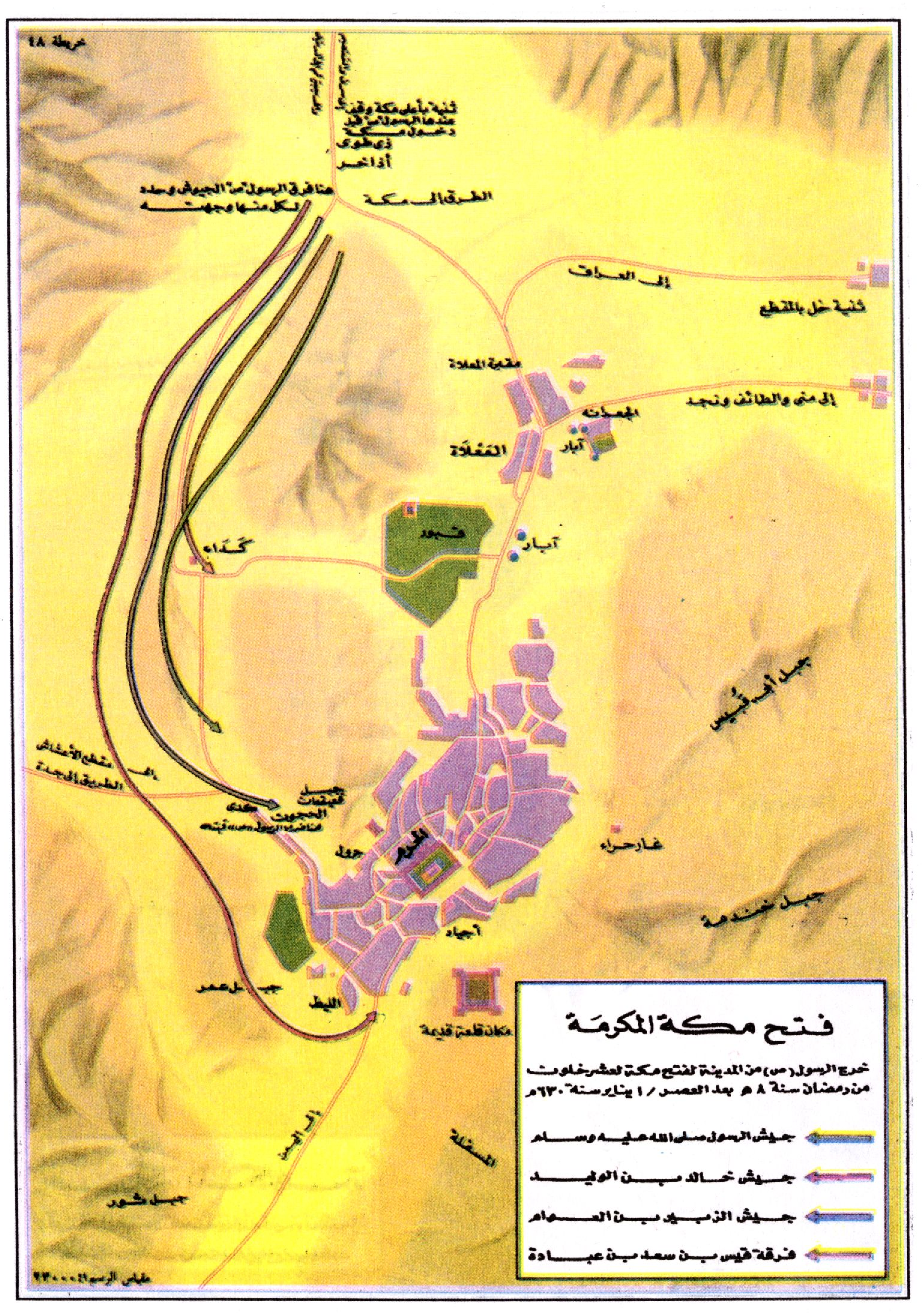
مخطط المسجد النبوي في عهد الوليد بن عبد الملك عن أحمد فكري .

ثانيا : اللوحات



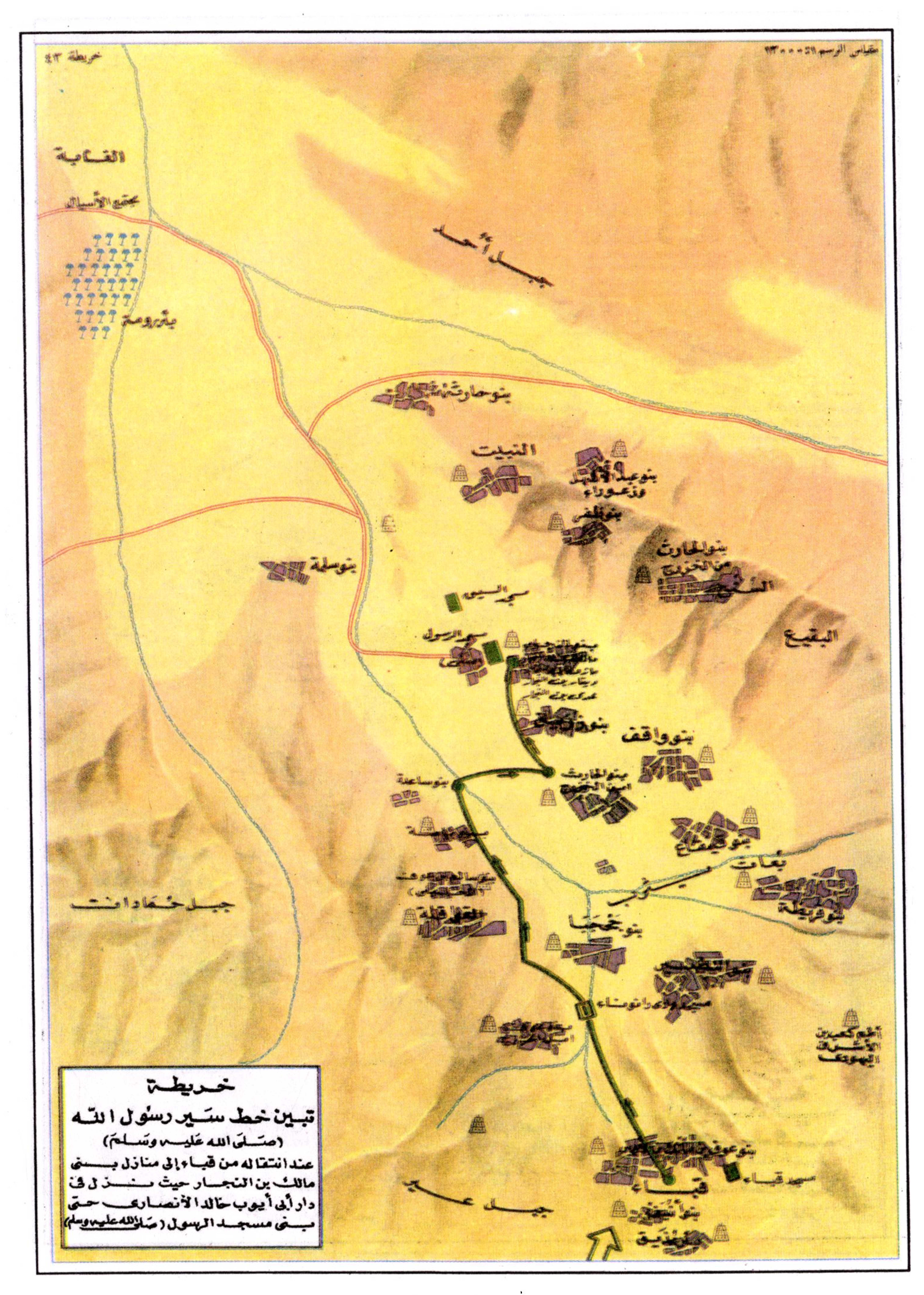
(خريطة : ١)

خريطة مكة المكرمة زمن الرسول ﷺ عن حسين مؤنس .



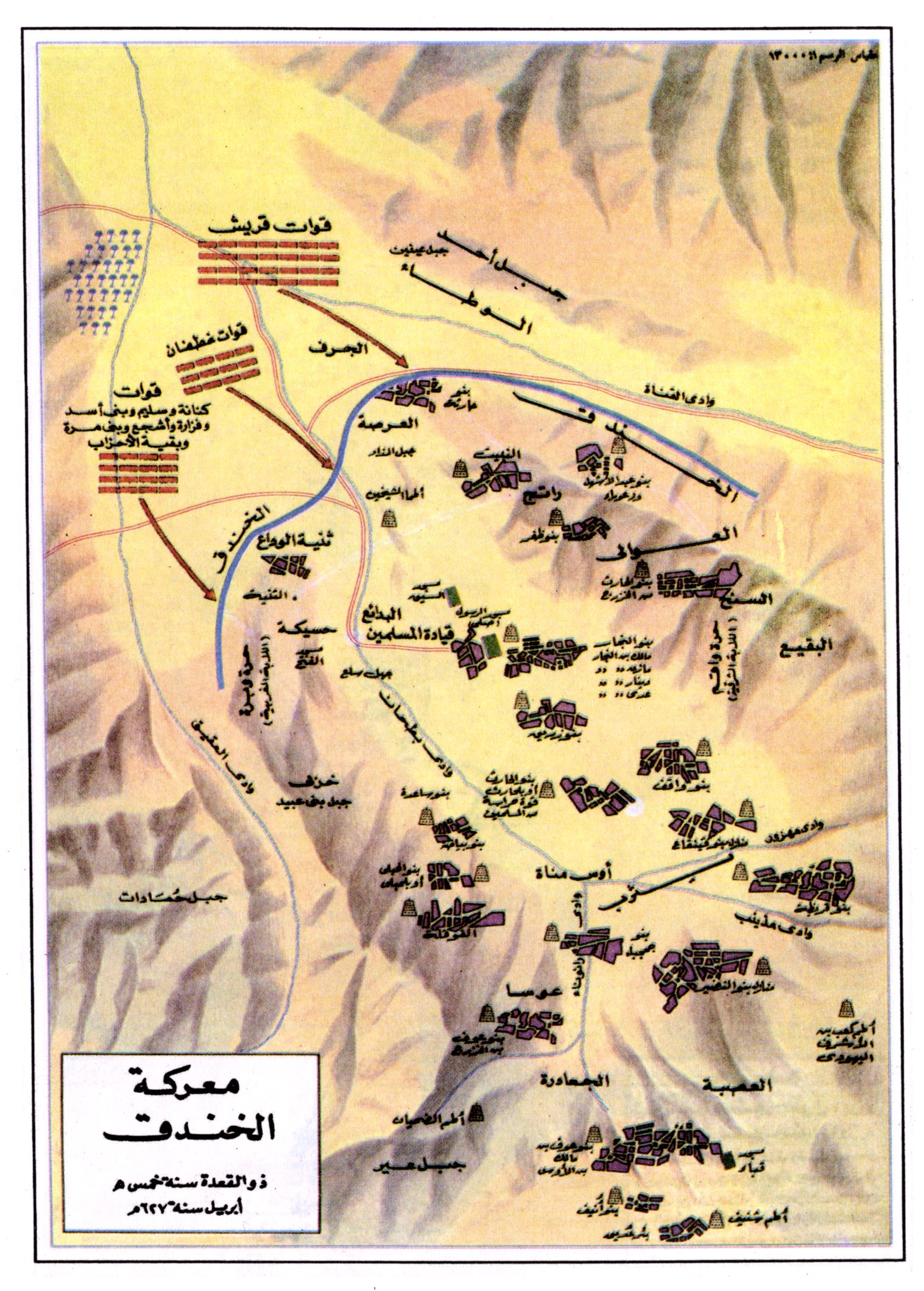
(خريطة : ٢)

خريطة فتح مكة المكرمة عن حسين مؤنس .



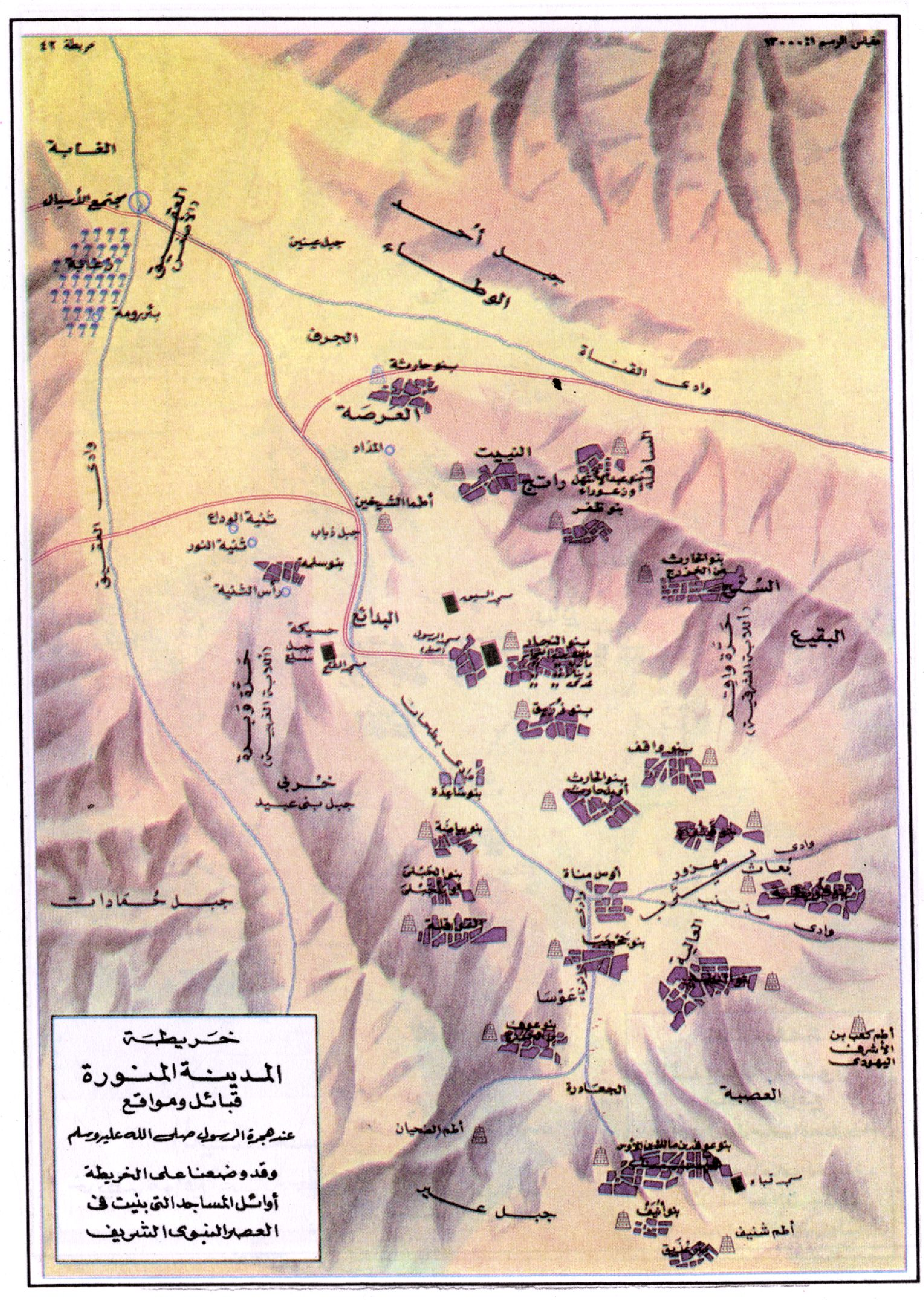
(خريطة : ٣)

خريطة تبين خط سير الرسول ﷺ عن حسين مؤنس .



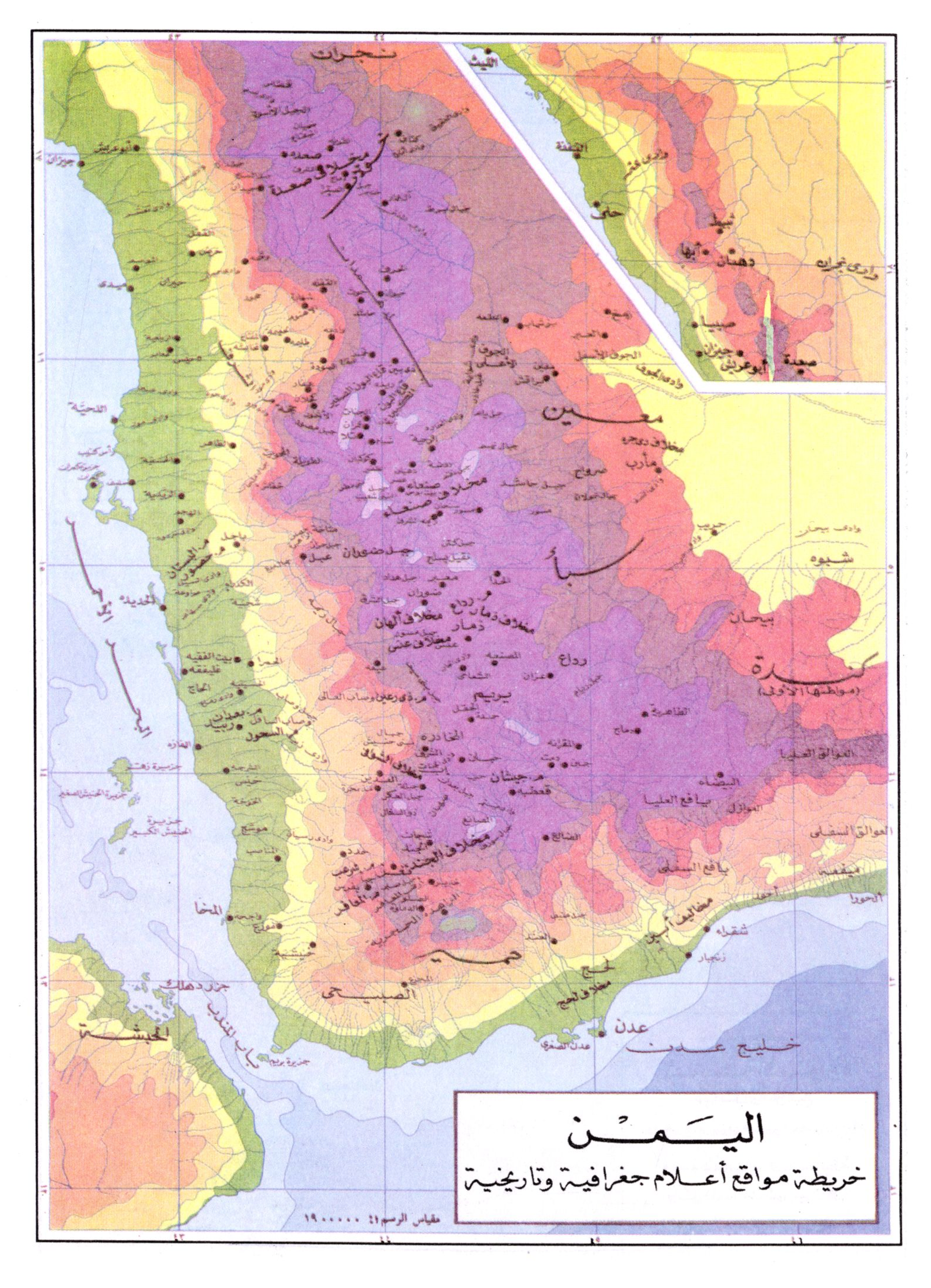
(خريطة : ٤)

توضح الخندق بالمدينة المنورة عن حسين مؤنس .



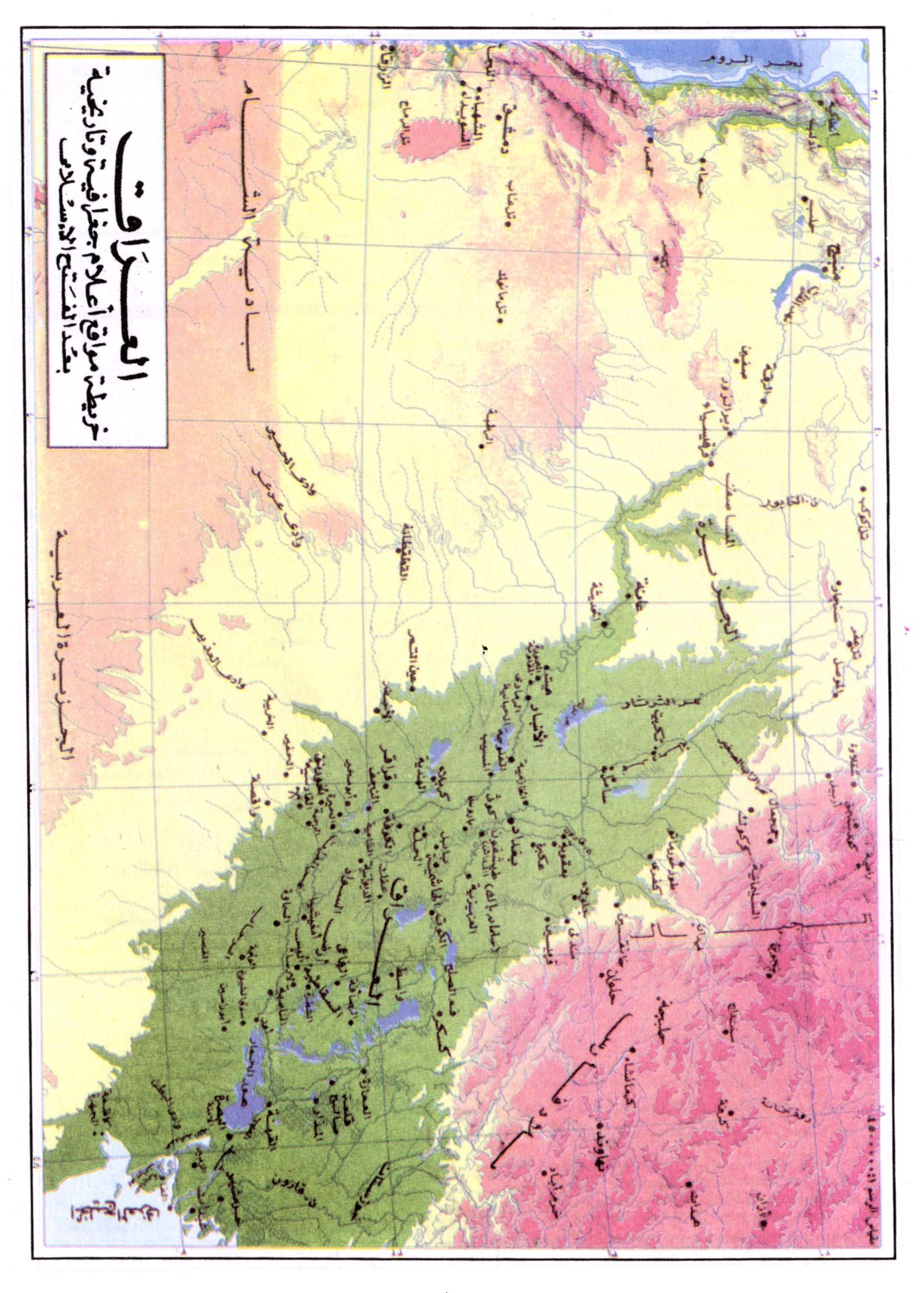
(خريطة : ٥)

خريطة المدينة المنورة (قبائل ومواقع) عن حسين مؤنس .



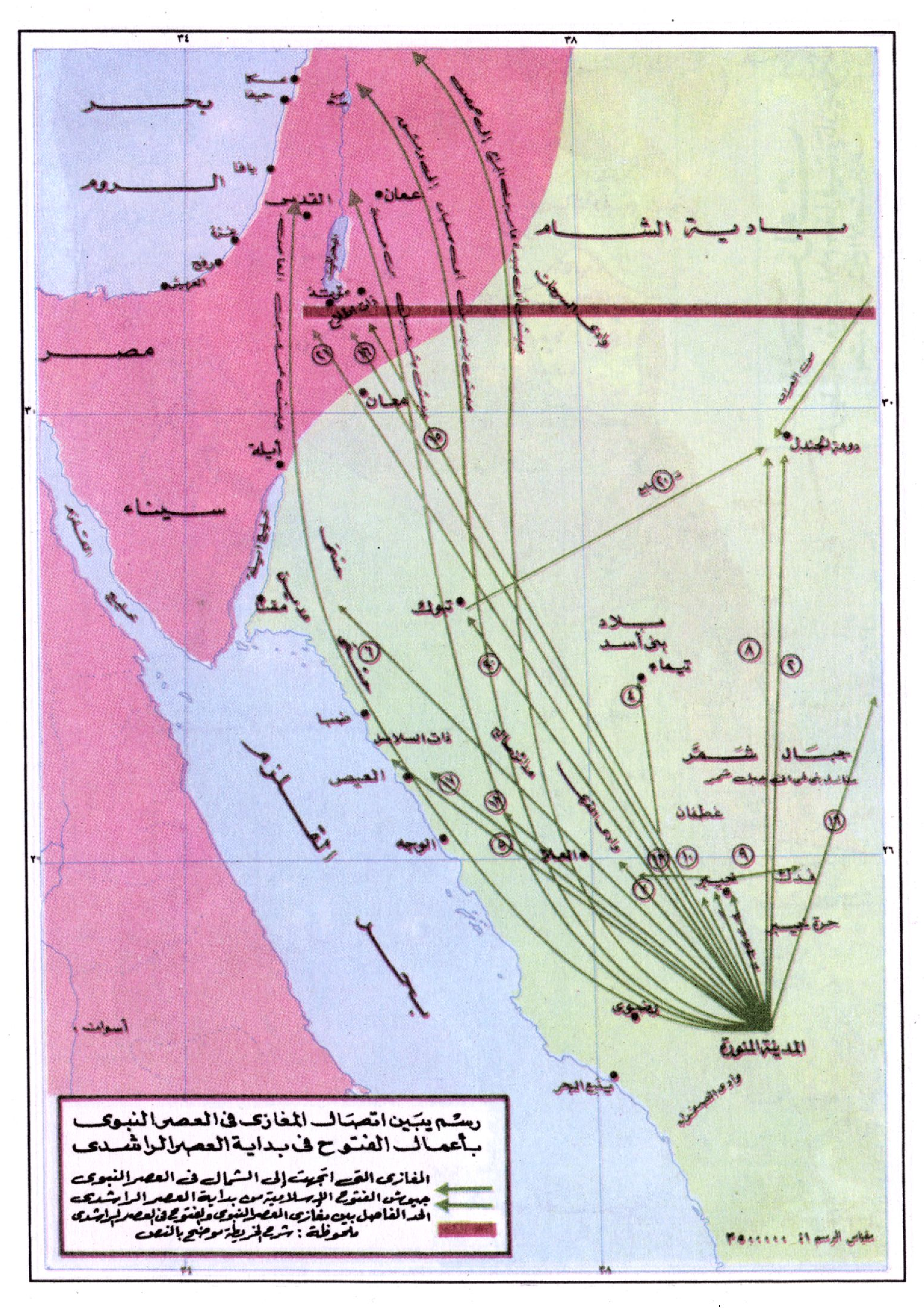
(خريطة : ٦)

خريطة لبلاد اليمن عن حسين مؤنس .



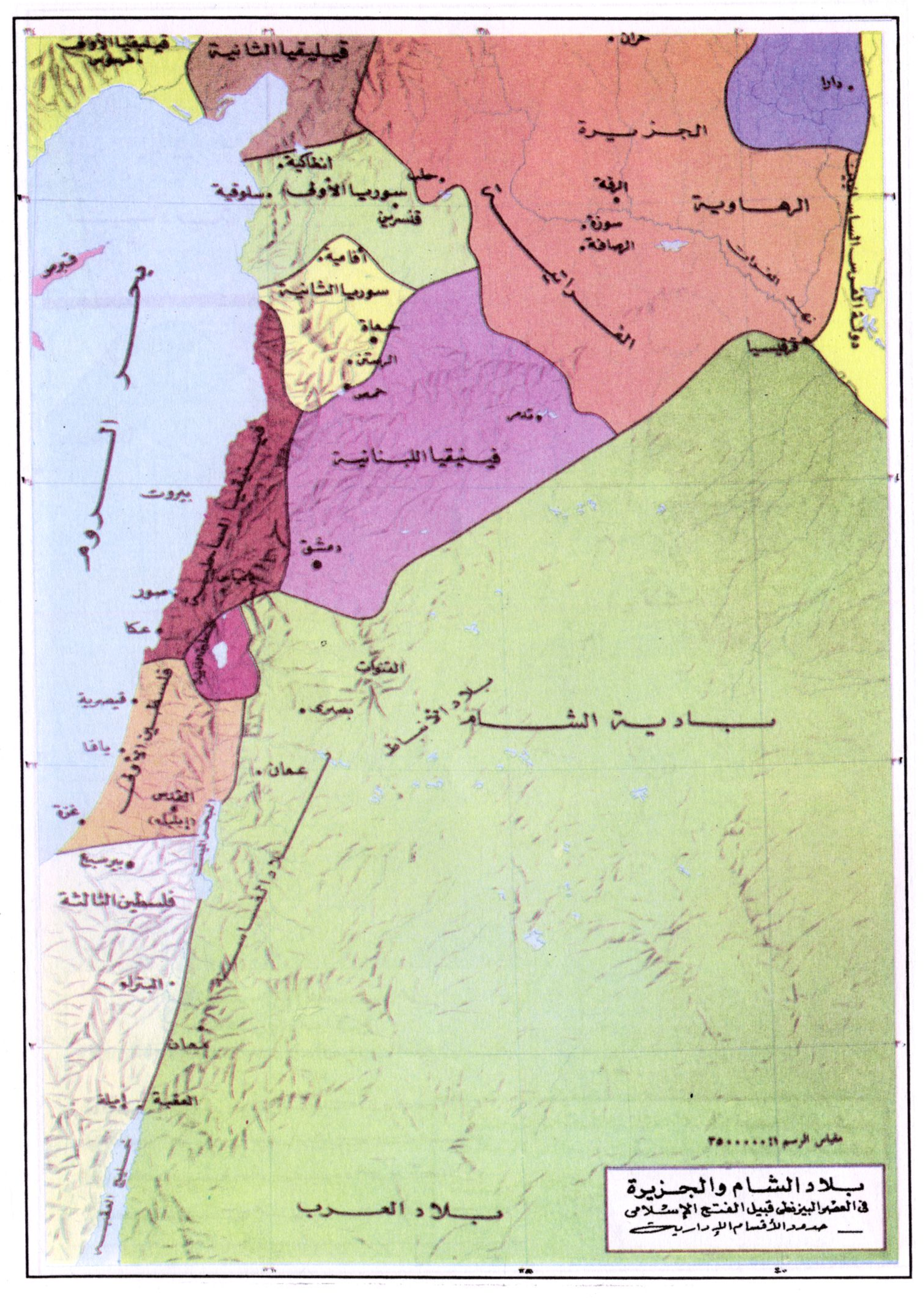
(خريطة : ٧)

خريطة العراق عن حسين مؤنس .



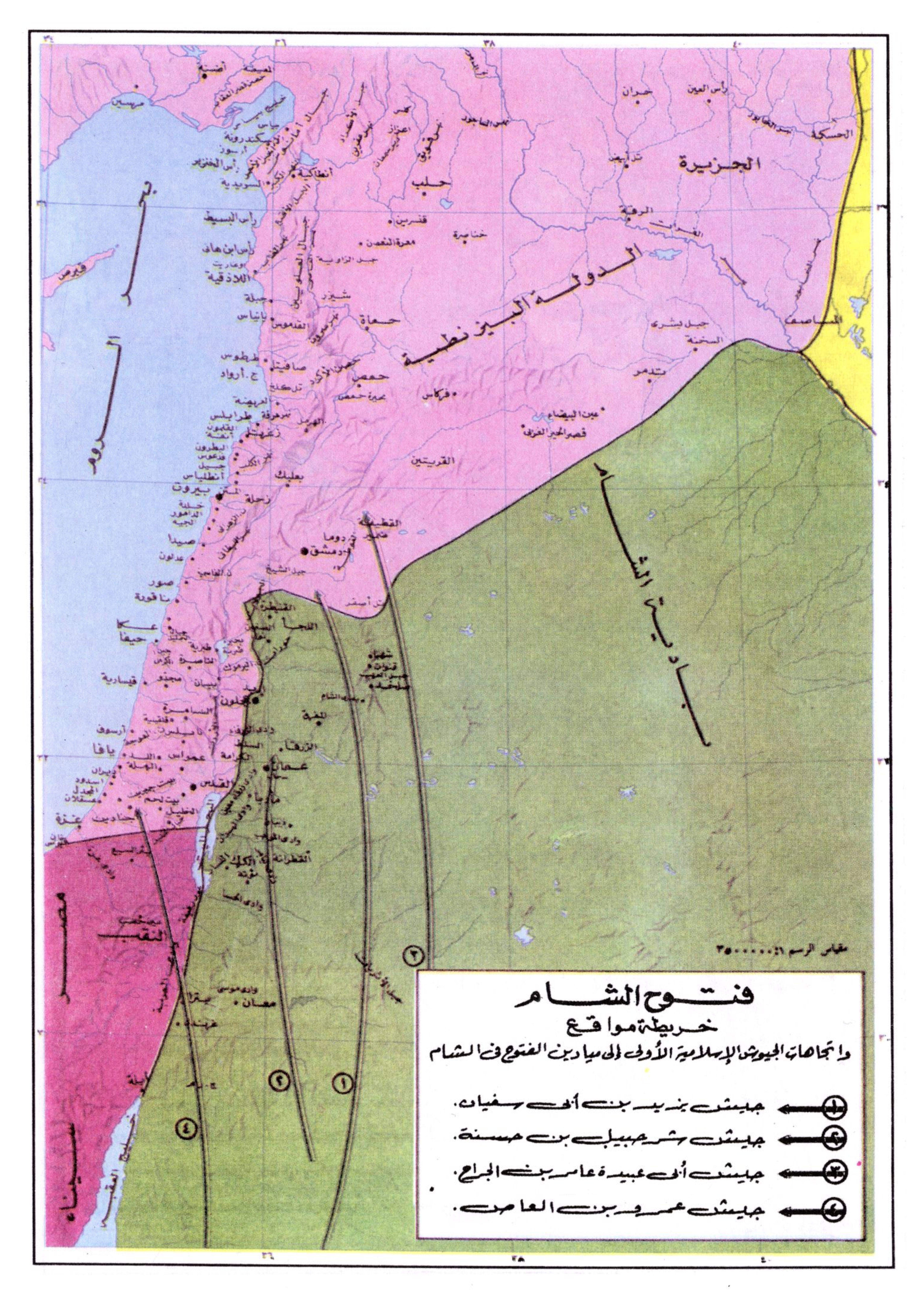
(خريطة : ٨)

خريطة المغازي والفتوح عن حسين مؤنس .



(خريطة : ٩)

خريطة بلاد الشام والجزيرة عن حسين مؤنس .



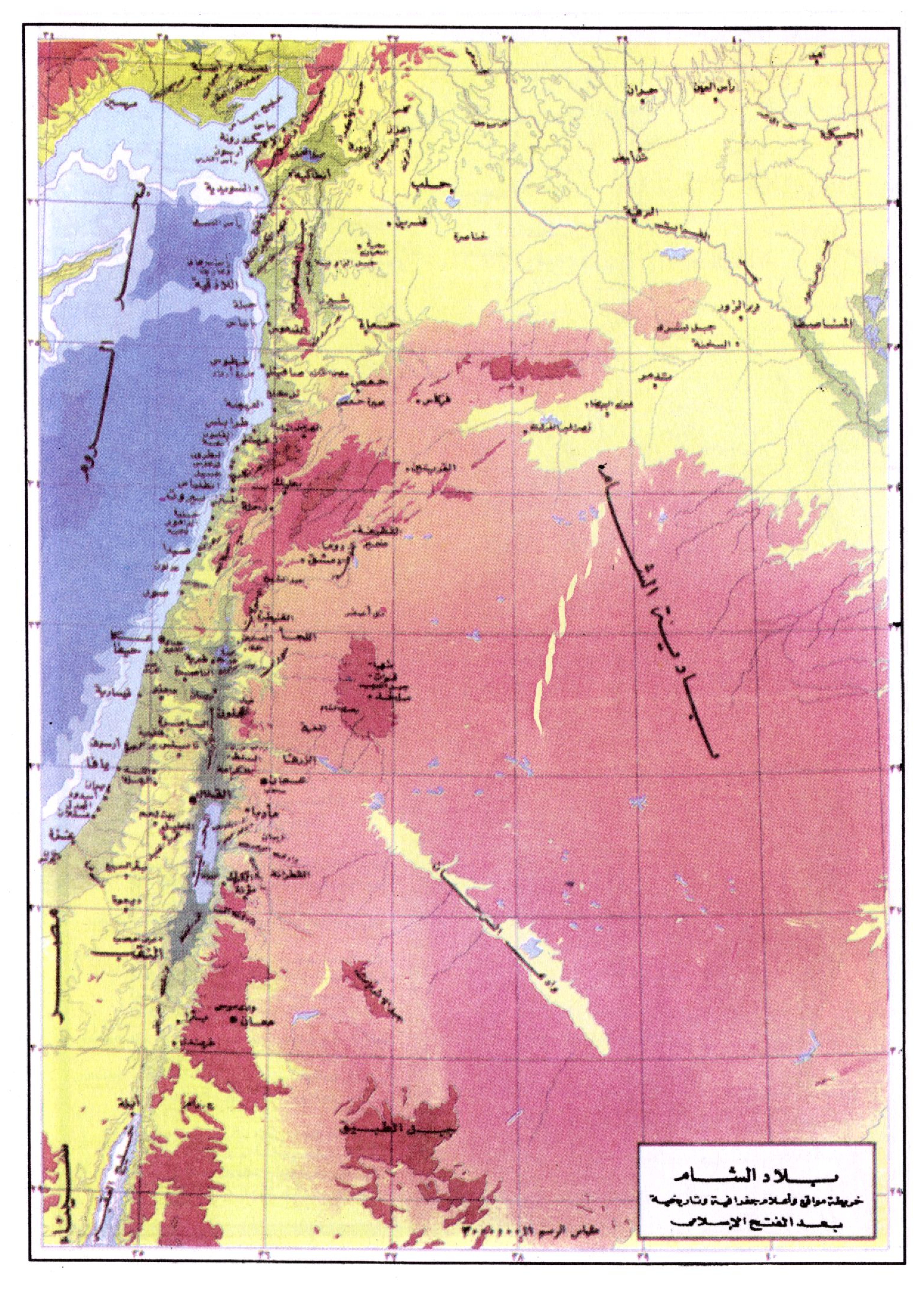
(خريطة : ١٠)

خريطة فتوح الشام (مواقع) عن حسين مؤنس .

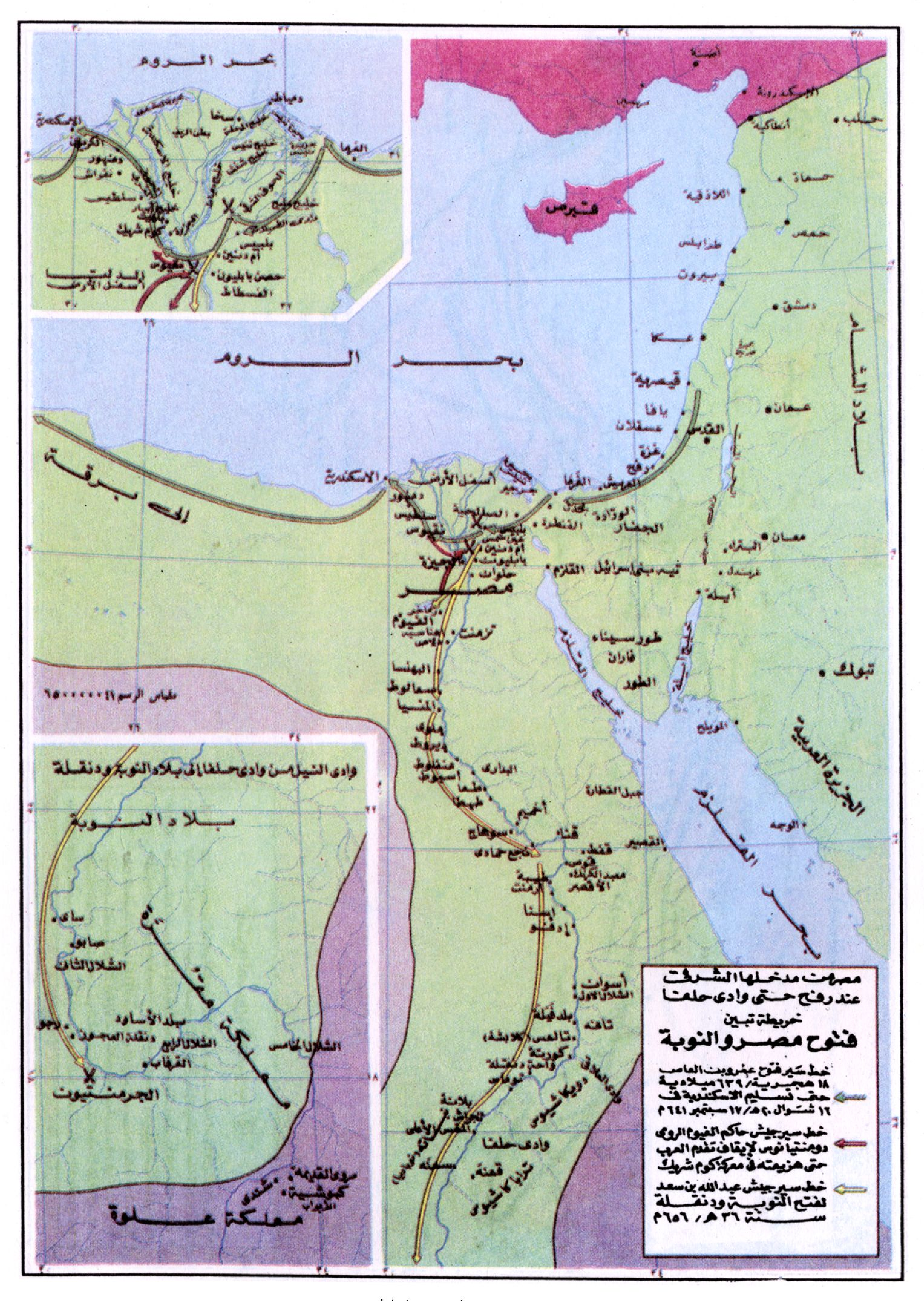


(خريطة : ١١)

خريطة فتح الشام عن حسين مؤنس .

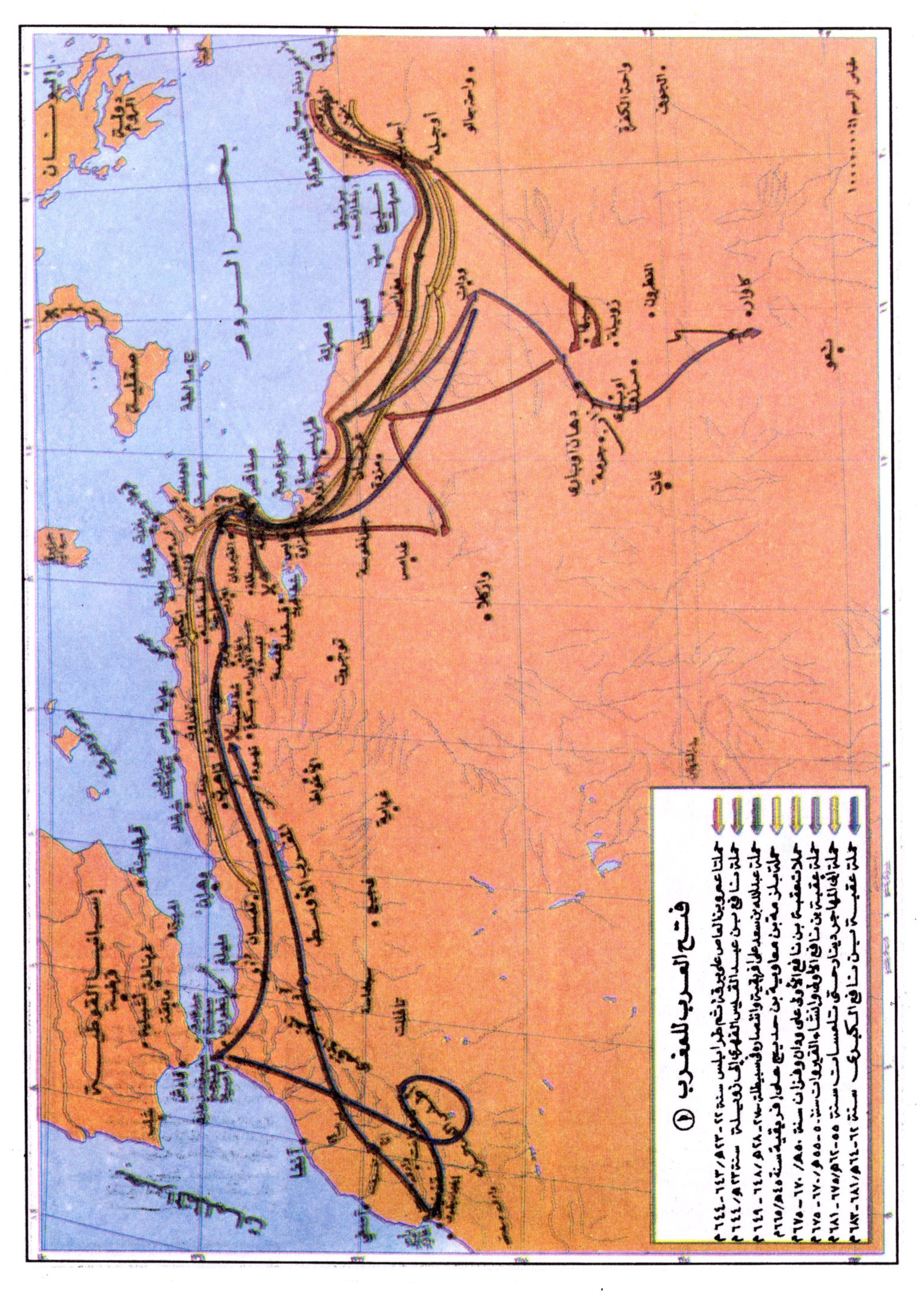


(خريطة : ١٢)
خريطة بلاد الشام بعد الفتح عن حسين مؤنس .



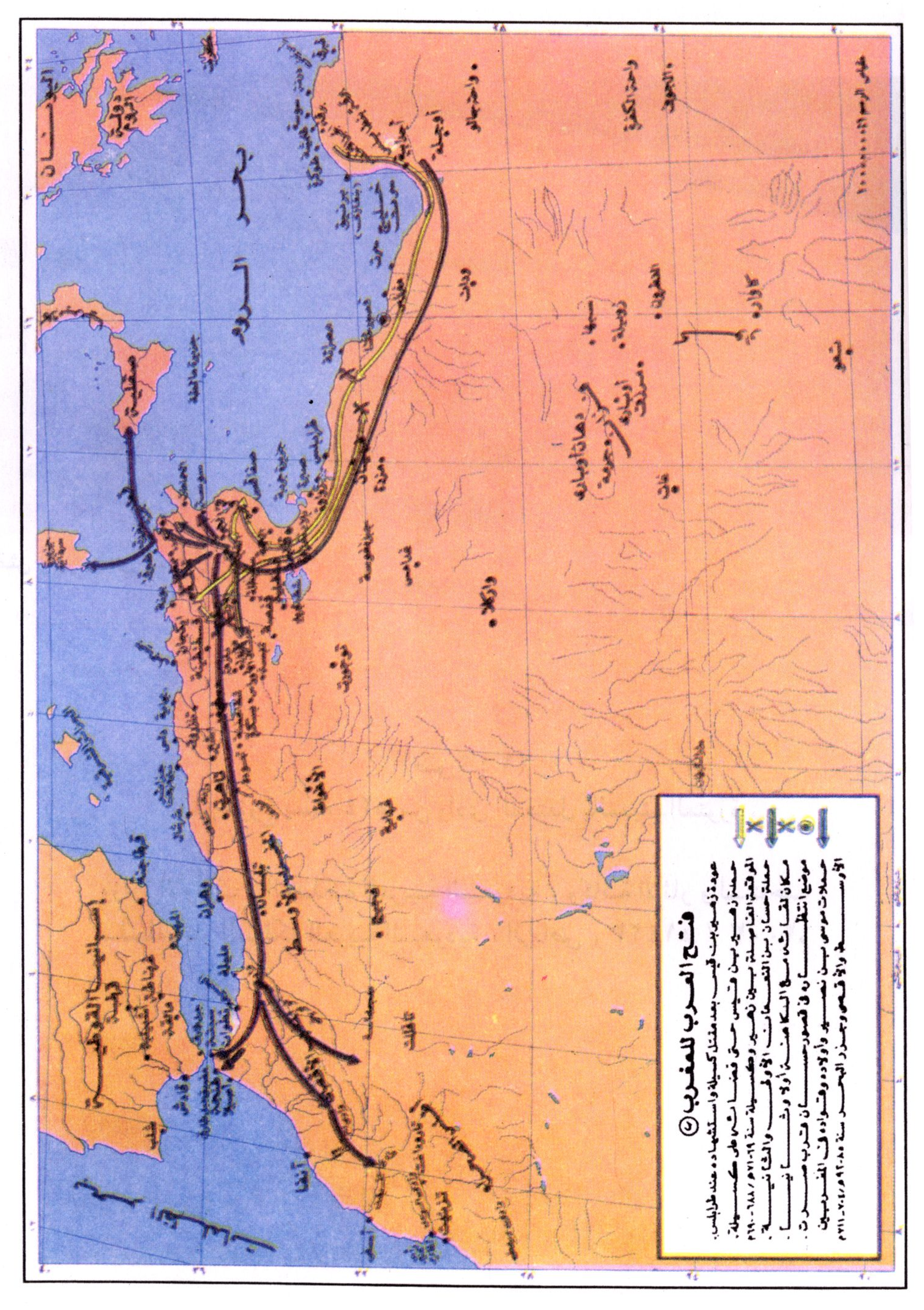
(خريطة : ١٣)

خريطة تبين فتوح مصر والنوبة عن حسين مؤنس .



(خريطة : ١٤)

خريطة فتح العرب للمغرب (أ) عن حسين مؤنس .



(خريطة : ١٥)

خريطة فتح العرب للمغرب (ب) عن حسين مؤنس .



نقش زهير بوادي المعتدل

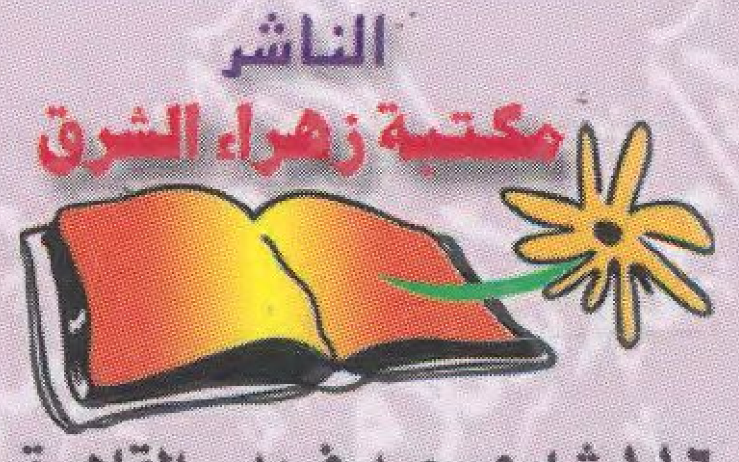
(صورة : ١)

نقش مؤرخ بسنة ٢٤هـ من وادي المعتدل بالمدينة المنورة .

وزارة الأوقاف ، المملكة العربية السعودية ، وكالة الآثار والمتاحف : سلسلة آثار المملكة العربية السعودية ، الرياض ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م .



الناشر



١١٦ شارع محمد فريد - القاهرة
تليفاكس : ٠٠٢٠٢/٢٣٩١٣٣٥٤